

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)

زاد الواعظ

زاد الواعظ في الخطب والمواعظ (الجزء الأول - ١٤٤١هـ / ٢٠٢١م)
جمع وترتيب الأستاذ / ناصر حمد عبدالجواد السمالوسي .
جمهورية مصر العربية - مرسى مطروح - غفر الله له وللمسلمين .



شبكة
الألوكة
www.alukah.net

قال رسول الله ﷺ : « لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ »
(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

(اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)

زاد الواعظ

((أذنت لمن أراد طباعة الكتاب لنشر العلم النافع والخير دون أن ينتفع منه بشئ مادي ويرجى المحافظة على مضمون الكتاب وهيئته)) الأستاذ / ناصر حمد عبدالجواد السمالوسى .

إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أما بعد إهداء لكل خطيب وواعظ ومصالح وداعية يبحث عن ينابيع الخير والحكمة ويحرص على نجات أمتة ومجتمعها من ظلمات الجهل المتركمة نهدي لكم هذه الخطب والمواعظ التي تحمل العقيدة الصحيحة من نبعها الصافي الرقراق بفهم سلف الأمة والأحاديث المسندة بسندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولاندعى في هذا الزاد أننا سبقنا غيرنا في هذا الباب ولكن حسبنا أننا بذلنا مافي وسعنا وطفنا حول بساتين الحكمة والمعرفة لكي نحضر لكم أعذب الألفاظ وأعلى الأسانيد التي تم طبطبها على الموسوعات الحديثية المعتمدة مثل مكتبة الشيخ ((الألبانى رحمه الله)) وستجد بفضل الله أن الآيات القرآنية مطبوعة الشكل كأنك تقرأ من المصحف فإن وجدت ماتسر به فلاتنسنا من صالح دعائك بظهر الغيب وإن وجدت تقصيراً فلاتبخل علينا بالنصيحة عسى الله أن يتجاوز عنا وعنكم سائلين المولى في عليائه أن يتقبل منا ومنكم صالح العمل وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . جمع وترتيب أخوكم / ناصر حمد عبدالجواد السمالوسى - مرسى مطروح .



مقدمة مهمة عن الوعظ وأهميته .

* أهمية الوعظ :

إن الوعظ وسيلة مهمة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، لا يُستغنى عنها بحال ولا يجوز التهوين من تأثيرها على الكثير من الناس، ولا سيما إذا قام بها داعية ذو قلب حي، وعقل نير، فإن الله يهدي به الألوف من الناس. . وقد كان الوعظ جزءاً من مهمة الأنبياء والمرسلين، الذين بعثهم الله مبشرين ومنذرين، وتأتي أهمية الوعظ في أن الناس تصيبهم غفلة ونسيان، فينغمسون في الدنيا وينسون الآخرة والعمل لها. . وهنا تأتي مهمة الواعظ في أن ينبه الناس، ويوقظهم من غفلتهم، ويربطهم بربهم من جديد.

ونعرض في هذا الأسطر لبعض المسائل المتعلقة بالواعظ والواعظين.

* أساليب الوعظ:

لا تظن أن الوعظ لا يكون إلا بخطب رنانة، أو كلام مطول يُجمع له الناس، ويتهيئون له، ثم تُطأطأ الرؤوس ويبدأ الواعظ بسرد موعظته! فكل هذا غير لازم، فقد كان - صلى الله عليه وسلم - يعظ أصحابه بالخطبة، وقد يعظهم بما يناسب الحال، فيذكرهم بحقارة الدنيا حين يرى جدياً أسكّ، ويذكرهم بنعيم الجنة حين يعجب أصحابه من حلة حرير، ويذكرهم برحمة الله حين يرى امرأة تبحث عن صبيها في السبي، ثم تضمه وترضعه، وهكذا. . . فقد تكون الموعظة قصة تُسرد، أو مثلاً يُضرب، أو جملة تقال، أو فعلاً يحتذى به، بدون تكلف أو تقعر.

* طرق الوعظ العام:

- ١- الخطابة: وهي أشد طرق الوعظ أثراً في النفوس إذا كانت صادرة من قلوب مخلصّة، طاهرة طيبة، كان لصاحبها من طلاقة اللسان ما يحسن التعبير عما يكّنه الفؤاد.
- ٢- الدرس: الغالب في الدرس أن يكون شرحاً لآية من القرآن، أو لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، أو بياناً لمسألة أو مسائل من الفقه، كما أنّ الغالب في الدرس أن يحضره عدد قليل من الناس جاءوا قاصدين سماع الدرس، مما يعطي فرصة طيبة للداعي أن يتعرّف عليهم عن كثب، ويوثق علاقته بهم، ويشترط للداعي في درسه أن يحضّر مادته مسبقاً تحضيراً جيداً، وأن لا يستطرد كثيراً وهو يلقي موضوعه؛ لأنّ الاستطراد يبعد السامع عن أصل الموضوع. (أصول الدعوة)

- ٣- الكتابة: المقصود بالكتابة في مجال الوعظ د هي الكتابة الخطابية، والتي ينبغي أن تكتب بأسلوب بسيط مفهوم واضح يدركه أقل الناس قدرة على فهم الخطاب).
- (أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص: ٤٨٢)



* فوائد الوعظ:

- (١) زجر العاصي والفاجر.
- (٢) تذكير الغافل.
- (٣) تجديد الإيمان وتحريكه في النفوس.
- (٤) تثبيت المهتدي بالله.
- (٥) تعريف الخلق بالخالق.
- (٦) تبصير الناس بشرائع الإسلام وحدوده. (فقه الوعظ، خالد سعود البليهد)

* من آداب الواعظ :

وهناك آداب ينبغي للواعظ أن يتحلى بها:

- (١) أن يكون مخلصا في مواعظه.
- (٢) أن يكون عالما بما يعظ به.
- (٣) أن يكون رفيقا في مواعظه.
- (٤) أن يصبر على أذى الناس.
- (٥) أن يكون عاملا بما يأمر الناس وينهاهم به.
- (٦) أن يكون فصيح اللسان لا يلحن في مواعظه.
- (٧) أن يكون متبعا للسنة معظما لأثار السلف.
- (٨) أن يكون ورعا في مسائل الحلال والحرام وقافا عند حدود الله (فقه الوعظ، خالد سعود البليهد)



* تقنيات الواعظ الناجح :

- التخطيط المحكم للدرس قبل تقديمه.
- خطاب الناس على قدر عقولهم.
- توزيع النظر على الحاضرين.
- -تغيير نبرات الصوت ونغماته حسب المعنى.
- الانفعال مع الموضوع ومعايشته.
- استعمال الوسائل الحديثة في الإلقاء، وإن لم يتيسر عوض عنه بضرب الأمثلة وذكر القصص وسير الصالحين. .
- الالتزام بالموضوع وعدم اللجوء إلى التوسع والإطناب الكبيرين المؤديين إلى الملل وعدم الاستفادة. (دليل الواعظ الناجح)

* ضوابط الواعظ:

أولاً: الاعتماد على الكتاب والسنة:

الواعظ حين يحث الناس على أمر ويحذّرهم من آخر ينبغي أن يبين لهم الدليل، ولا يجعل حديثه مجرد أوامر ونواهٍ مجردة عن الدليل .

ثانياً: في الصحيح غنية عن الضعيف:

وعند اعتماد الواعظ الكتاب والسنة، فإنه سيجد في تفسير القرآن كثيراً من الروايات الضعيفة، والإسرائيليات الموضوعية، وسيجد في كتب الحديث كثيراً من الأحاديث التي لا تثبت، وحينئذ: فإن عليه الحيطة والحذر بمراجعة كلام أهل العلم فيها، وهذا التحري دليل على صدق الواعظ؛ ففي حديث مسلم: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» .. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ))



ثالثاً: تعهد الناس بالموعظة:

النفس تمل وتسام فيضعف أثر التذكير فيها؛ وربما كرهته فلم يُنتفع به حينئذ .

رابعاً: الحذر من المبالغة، والتهويل، وتقنيط الناس:

اجتهاداً في محبة الخير للناس والخوف عليهم يقوم الواعظ أحياناً بتضخيم جزاء السيئة، وعقوبة المعصية، فيزيد على الوارد فيها أحياناً، ويهول ويعظم أخرى، حتى يخيل لسامعه أن عذاب الله نازل به لا محالة، وأنه لا توبة له، وأن عمله الصالح لن ينفعه، وأنه لا حيلة له!.

وقد يحدث العكس أحياناً عند بعض الواعظ، فيُهَوِّنون من المعصية ويقللون من شأنها! والمنهج

الشرعي الوسط: الموازنة بين الترغيب والترهيب، والخوف والرجاء، قال تعالى:

{ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) } [الحجر: ٤٩، ٥٠]

خامساً: البلاغة بلا تكلف:

قال ابن رجب: "والبلاغة في الموعظة مستحبة؛ لأنها أقرب إلى القلوب واستجلابها، والبلاغة: هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة، وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة

عليها، وأفصحها وأحلاها للأسماع، وأوقعها في القلوب، وكان - صلى الله عليه وسلم - يقصر خطبته، ولا

يطيلها، بل كان يبلغ ويوجز" (جامع العلوم والحكم)

سادساً: استغلال المناسبات والأحداث:

كان -صلي الله عليه وسلم- يستغل المناسبة أو الحدث ولو كان يسيراً قد لا يوقف عنده، ولا يؤبه به

وينطلق من خلاله مربياً واعظاً، والشواهد كثيرة، منها: قوله يوم النحر:

((أي شهر هذا؟ . . . فأبي بلد هذا؟ . . . فأبي يوم هذا؟ . . .)) ثم قال: ((فإن دماءكم وأموالكم

وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا؛ في بلدكم هذا، في شهركم هذا. . .)). (رواه مسلم)

سابعاً: الوعظ في موضعه الصحيح:

ركز بعض الناس على التربية بالوعظ تركيزاً شديداً، وظنَّ أنَّ الوعظ هو الوسيلة الوحيدة للبناء

والتربية، والصحيح أن الوعظ باب مهم من أبواب التربية، ولكنه ليس الباب الوحيد، فأبواب الدين

كثيرة والله الحمد، كالعلم والتعليم، والنصيحة ونحوها، وهذه الأبواب تكوّن بمجموعها وحدة واحدة

متألّفة، ويجب إعطاء كل باب حقه الشرعي، في وقته الشرعي دون إفراط أو تفريط.

(فن الوعظ أهميته وضوابطه، عبد الحكيم بن محمد بلال)



* منهج السلف في الوعظ :

- اقتصر السلف رحمهم الله في مواعظهم على ما يبلغ المعنى ويفي بالغرض، ولذا جاءت مواعظهم خالية من كل تكلف وتشدق وسجع وإطناب، مهتمين بالمضمون، ومتخولين بالموعظة خشية الإملال، فلم يعيبوا أحداً، ولم يشهروا بمذنب قط.
- أخرج كثير من قصاص العصر الحاضر الوعظ عن مقصوده الشرعي، وتكبوا منهج سلفهم، فعجت مجالسهم بالمنكرات الفعلية ، مع انحراف في العقيدة، ونشر للفتنة، وترويج للخنا، واستحداث طرق بدعية في الوعظ والتذكير، حيث نشأ التمثيل، ومن قبله النشيد، وغدا هؤلاء هم الأعلام المبرزون في مجال الوعظ، وعظمت فتنة الناس بهم.
- إن بعض الدعوات المعاصرة، قد حادت عن منهج السلف في الوعظ، ويرجع مجمل انحرافها إلى إهمال الدعوة إلى التوحيد، بل والدعوة إلى الشرك إحياناً، مع ابتداع وسائل ما أنزل الله بها من سلطان لوعظ الناس وتذكيرهم؛ كالأناشيد والتمثيل، والخروج ، وغيرها كما انحرف مضمون الوعظ عند بعض الدعاة وذلك بالدعوة إلى الاعتزال وهجر المجتمعات وتكفيرها.

* أخطاء شائعة في الوعظ:

- الإطالة في الوعظ لغير داع أو ضرورة، فإن السنة التقصير إلا لشيء عارض.
 - الاعتماد على الأحاديث المنكرة والأخبار الواهية.
 - التوسع في القصص الغريبة والمبالغة في ذكرها.
 - النزول في الأسلوب والإكثار من كلام العامة.
 - المبالغة في ضرب المثال التافهة.
 - تضحيك الناس والتهريج عليهم والاستخفاف بعقولهم.
 - تجريح السامعين والتهجم عليهم.
 - توصيف المنكرات والتوسع في ذكر الفواحش وطرقها.
 - -التحدث بلغة عالية وخطاب فكري في قضايا لاتناسب مدارك الحضور وثقافتهم.
- (فقه الوعظ، خالد سعود البليهد)



* الجمعة فضائل وأحكام وآداب :-

اختص الله - عز وجل - هذه الأمة بخصائص كثيرة، وفضائل جليلة، منها اختصاصه إياها بيوم الجمعة بعد أن أضل عنه اليهود والنصارى، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق} [مسلم].

قال الحافظ ابن كثير: (إنما سُميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة ... وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته فقال - تعالى - ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) [الجمعة: ٩] أي اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي هنا المشي السريع.. فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نُهي عنه..) قال الحسن: (أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع) [تفسير ابن كثير: ٣٨٥/٤، ٣٨٦] وقال ابن القيم: (فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشمس رمضان في الشهور، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان) [زاد المعاد: ٣٩٨/١].

* من فضائل يوم الجمعة:

- ١- أنه خير الأيام. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي قال: {خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة} [مسلم].
 - ٢- تضمنه لصلاة الجمعة التي هي من أكد فروض الإسلام ومن أعظم مجامع المسلمين، ومن تركها تهاونا طبع الله على قلبه كما في الحديث الصحيح «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه» [صحيح الجامع الصغير]...
 - ٣- أن فيه ساعة يستجاب فيها الدعاء، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: {إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه - وقال بيده يقللها} [متفق عليه].
- قال ابن القيم بعد أن ذكر الاختلاف في تعيين هذه الساعة: (وأرجح هذه الأقوال قولان تضمنتها الأحاديث الثابتة:



الأول: إنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، لحديث ابن عمر أن النبي قال:

{هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة} [مسلم].

الثاني: إنها بعد العصر، وهذا أرجح القولين) [زاد المعاد: ٣٩٠/١، ٣٨٩].

٤- أن الصدقة فيه خير من الصدقة في غيره من الأيام. قال ابن القيم: (والصدقة فيه بالنسبة إلى

سائر أيام الأسبوع كالصدقة في شهر رمضان بالنسبة إلى سائر الشهور) وفي حديث كعب:

(... والصدقة فيه أعظم من الصدقة في سائر الأيام) [موقوف صحيح وله حكم الرفع].

٥- إنه يوم يتجلى الله - عز وجل - فيه لأولياءه المؤمنين في الجنة، فعن أنس بن مالك في قوله -

عز وجل -: ((وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)) [ق: ٣٥] قال: (يتجلى لهم في كل جمعة).

٦- أنه يوم عيد متكرر كل أسبوع، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله:

{إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الجمعة فليغتسل...}

[ابن ماجه وهو في صحيح الترغيب والترهيب: ٢٩٨/١].

٧- إنه يوم تكفر فيه السيئات فعن سلمان قال: قال رسول الله: {لا يغتسل رجل يوم الجمعة،

ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين

اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى}

[البخاري].

٨- إن للماشي إلى الجمعة بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها لحديث أوس بن أوس قال: قال

رسول الله: {من غسل واغتسل يوم الجمعة، وبكر وابتكر، ودنا من الإمام فأنصت، كان له بكل

خطوة يخطوها صيام سنة، وقيامها، وذلك على الله يسير} [أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن

خزيمة - صحيح الترغيب والترهيب].

الله أكبر كل خطوة إلى الجمعة تعدل صيام سنة وقيامها؟.

فأين السابقون إلى تلك الهبات، أين المتعرضون لتلك النفحات ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله

ذو الفضل العظيم .

٩- إن جهنم تسجر - أي تحمى - كل يوم من أيام الأسبوع إلا يوم الجمعة، وذلك تشريعاً لهذا

اليوم العظيم. [أنظر: زاد المعاد: ٣٨٧/١].

١٠- إن الوفاة يوم الجمعة أو ليلتها من علامات حسن الخاتمة حيث يأمن المتوفى فيها من فتنه

القبر، فعن ابن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله: {ما من مسلم يموت يوم الجمعة

أو ليلة الجمعة، إلا وقاه الله - تعالى - فتنة القبر} [أحمد والترمذي وصححه الألباني].



* الجمعة أحكام وآداب :-

أخي المسلم: يجب على كل مسلم أن يعظم هذا اليوم ويعتتم فضائله وذلك بالتقرب إلى الله - تعالى - فيه بأنواع القربات والعبادات، فإن للجمعة أحكاماً وآداباً ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم. قال ابن القيم: (وكان من هديه تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره، وقد اختلف العلماء هل هو أفضل أم يوم عرفة) [زاد المعاد: ٣٧٥/١].

فانظر - يا أخي - كم جمعة مرت عليك مرور الكرام، دون أن تعيرها أدنى اهتمام، بل إن كثيراً من الناس ينتظر هذا اليوم ليقوم بمعصية الله - عز وجل - فيه بأنواع المعاصي والمخالفات.

ومن تلك الأحكام والآداب:

- ١- يستحب أن يقرأ الأمام في فجر الجمعة بسورتي السجدة والإنسان كاملتين، كما كان النبي يفعل، ولا يقتصر على بعضهما كما يفعل بعض الأئمة..
 - ٢- ويستحب أن يكثر الإنسان في هذا اليوم من الصلاة على النبي، لحديث أوس بن أوس - رضي الله عنه -، عن النبي قال: {إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ} [أحمد وأصحاب السنن وصححه النووي وحسنه المنذري].
 - ٣- صلاة الجمعة فرض على كل ذكر حر مكلف مسلم مستوطن ببناء، فلا تجب الجمعة على مسافر سفر قصر، ولا على عبد وامرأة، ومن حضرها منهم أجزاءه. وتسقط الجمعة بسبب بعض الأعداء كالمرض والخوف [الشرح الممتع: ٧/٥ - ٢٤].
 - ٤- الاغتسال يوم الجمعة من هدي النبي لقوله - عليه الصلاة والسلام -: {إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل} [متفق عليه].
 - ٥- التطيب والتسوك ولبس أحسن الثياب من آداب المسلم في يوم الجمعة، فعن أبي أيوب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {من اغتسل يوم الجمعة، ومس من طيب إن كان له، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد، ثم يركع إن بدا له، ولم يؤذ أحداً، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي، كانت كفارة لما بينهما} [أحمد وصححه ابن خزيمة].
- وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال: {غسل يوم الجمعة على كل محتلم، وسواك، ويمس من الطيب ما قدر عليه} [مسلم].



- ٦- ويستحب التبكير إلى صلاة الجمعة وهذه سنة كادت تموت، فرحم الله من أحيائها.
- عن أبي هريرة عن النبي قال: {إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على أبواب المسجد، فيكتبون الأول فالأول، فمثل المهجر إلى الجمعة كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كالذي يهدي كبشاً، ثم كالذي يهدي دجاجة، ثم كالذي يهدي بيضة، فإذا خرج الإمام وقعد على المنبر، طوا صحفهم وجلسوا يسمعون الذكر} [متفق عليه].
- إخواني:** أين المتنافسون في الخيرات؟!.. أين المبكرون إلى الصلوات؟!.. أين أصحاب الهمم والعزمات؟
- ٧- ويستحب أن يشتغل المسلم بالصلاة والذكر وقراءة القرآن حتى يخرج الإمام، وحديثاً سلمان وأبي أيوب السابقين يدلان على ذلك.
- ٨- ويجب الانصات للخطبة والاهتمام بما يقال فيها، فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: {إذا قلت لصاحبك: أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت} [متفق عليه]. وزاد أحمد في روايته: {ومن لغا فليس له في جمعته تلك شيء}. وعند أبي داود: {ومن لغا أو تخطى، كانت له ظهراً} [صححه ابن خزيمة].
- ٩- ويستحب قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة لحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: {من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين} [الحاكم والبيهقي و صححه الألباني].
- ١٠- ولا يجوز السفر في يومها لمن تلزمه الجمعة قبل فعلها بعد دخول وقتها [زاد المعاد: ٣٨٢/١].
- ١١- ويكره إفراد يوم الجمعة بصيام وليلته بقيام لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي قال: {لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم} [مسلم].
- ١٢- والواجب على من أراد صيامه أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده لحديث أبي هريرة عن النبي أنه قال: {لا يصوم من أحدكم يوم الجمعة، إلا أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده} [متفق عليه واللفظ للبخاري].
- ١٣- أما سنة الجمعة فقد ورد أن النبي كان يصلي بعد الجمعة ركعتين [متفق عليه]. وورد أنه أمر من كان مصلياً بعد الجمعة أن يصلي أربعاً [مسلم].



- قال إسحاق: (إن صلى في المسجد يوم الجمعة صلى أربعاً، وإن صلى في بيته صلى ركعتين).
وقال أبو بكر الأثرم: (كل ذلك جائز) [الحدائق لابن الجوزي: ١٨٣ / ٢].
- ١٤- وإذا دخل المسلم المسجد يوم الجمعة والإمام يخطب صلى ركعتين خفيفتين قبل أن يجلس.
لحديث جابر بن عبد الله قال: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة، والنبي يخطب، فجلس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: {إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب، فليصل ركعتين، ثم ليجلس} [مسلم].
- ١٥- ويستحب أن يقرأ الإمام في صلاة الجمعة بسورتين: ((الجمعة والمنافقون، أو الأعلى والغاشية، فقد كان النبي يقرأ بهن)) [مسلم].
- * من أخطائنا في الجمعة :-**

أ- أخطاء المصلين:

- ١- ترك بعض الناس لصلاة الجمعة أو التهاون بها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: {لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين} [مسلم].
- ٢- عدم استحضار بعض الناس للنية في اتیان الجمعة، فتراه يذهب إلى المسجد على سبيل العادة، والنية شرط لصحة الجمعة وغيرها من العبادات، لقوله: {إنما الأعمال بالنيات} [البخاري].
- ٣- السهر ليلة الجمعة إلى ساعات متأخرة من الليل مما يؤدي إلى النوم عن صلاة الفجر، فيكون الإنسان بادهاء يوم الجمعة بكبيرة من الكبائر، والنبي يقول: {أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة} [الصحيحة: ١٥٦٦].
- ٤- التهاون في حضور خطبة الجمعة، فيأتي بعضهم أثناء الخطبة، بل ويأتي بعضهم أثناء الصلاة.
- ٥- ترك غسل الجمعة والتطيب والتسوك ولبس أحسن الثياب.
- ٦- البيع والشراء بعد أذان الجمعة والله - تعالى - يقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) [الجمعة: ٩] قال ابن عباس - رضي الله عنه -: (يحرم البيع حينئذ).
- ٧- التعبد لله ببعض المعاصي في يوم الجمعة كمن اعتادوا حلق لحاهم كل جمعة ظناً منهم أن ذلك من كمال النظافة.
- ٨- جلوس بعض الناس في مؤخرة المسجد قبل امتلاء الصفوف الأمامية، وبعضهم يجلس في الملحق الخارجي للمسجد مع وجود أماكن كثيرة داخل المسجد.



- ٩- إقامة الرجل والجلوس مكانه. فعن جابر عن النبي قال:
 { لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة، ثم يخالف إلى مقعده فيقعده فيه، ولكن يقول: افسحوا } [مسلم].
- ١٠- تخطي الرقاب والتفريق بين اثنين وايداء الجالسين والتضييق عليهم. فقد قال النبي لرجل
 تخطى رقاب الناس يوم الجمعة وهو يخطب: { اجلس فقد أذيت وأنيت }
 [صحيح الترغيب والترهيب وصحيح ابن ماجة].
- ١١- رفع الصوت بالحديث أو القراءة، فيشوش على المصلين أو التالين لكتاب الله - تعالى - .
- ١٢- الخروج من المسجد بعد الأذان لغير عذر .
- ١٣- الإنشغال عن الخطبة وعدم الإنصات إلى ما يقوله الخطيب.
- ١٤- صلاة ركعتين بين الخطبتين والمشروع بين الخطبتين هو الدعاء والاستغفار .
- ١٥- كثرة الحركة أثناء الصلاة وسرعة الخروج من المسجد بعد تسليم الإمام والمرور بين يدي
 المصلين والتدافع على الأبواب دون قراءة الأذكار المشروعة بعد الصلاة.

ب- أخطاء الخطباء:

- ١- تطويل الخطبة وتقصير الصلاة، فعن عمار قال: سمعت رسول الله يقول:
 { إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَنِيَّةٌ مِنْ فَهْمِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصِرُوا الْخُطْبَةَ وَإِنْ مِنْ
 الْبَيَانِ سَحْرًا } [مسلم]. والضابط في ذلك هو حاجة الناس ومراعاة أحوالهم. فعن جابر بن سمرة
 قال: (كنت أصلي مع رسول الله، فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً) [مسلم] قصداً: أي وسطاً
 بين الطول والقصر.
- ٢- عدم الإعداد الجيد للخطبة واختيار الموضوع المناسب، وبعده عما يحتاجه الناس.
- ٣- كثرة الأخطاء اللغوية في الخطبة لدى بعض الخطباء.
- ٤- استشهاد بعض الخطباء بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والأقوال المنكرة دون التنبيه على
 ذلك.
- ٥- اقتصار بعض الخطباء في الخطبة الثانية على الدعاء فقط واعتياد ذلك.
- ٦- عدم الاستشهاد بشيء من القرآن أثناء الخطبة وهذا خلاف هدى النبي فقد قالت بنت حارثة بن
 النعمان: (ما حفظت ق والقرآن المجيد إلا من في رسول الله يخطب بها كل جمعة) [مسلم].
- ٧- عدم تفاعل بعض الخطباء مع الخطبة، فعن جابر بن عبد الله قال:
 (كان رسول الله إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه كأنه منذر جيش...)
 [مسلم].



التحذير من مظاهر الشرك

العناصر :

✱ التحذير من الشرك .

✱ بيان بعض مظاهر الشرك .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

اعلم رحمك الله أن من هذه العبادات التي يُعبد الله بها: الدعاء، والاستعاذة بالله، والاستغاثة به وحده، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادات، وقد ابتلي كثير من العوام بالوقوع في بعض مظاهر الشرك التي يجب التحذير منها.

من ذلك تعليق التميمة:

وذلك بأن يتخذ أحدهم خيطاً أو يعلق نعلاً أو حديدة (الحظاظاة وقرن الفلفل وكف اليد وحدوة الحصان وذيل الثعلب وقرن الكبش)، ظاناً أن ذلك يمنع عنه الحسد، وقد وردت الأحاديث بتحريم ذلك، وبيان أنه من الشرك؛ فعند أحمد والحاكم بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((من علق تميمة، فقد أشرك)) [وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٢)].

ومن ذلك التبرك بالأشجار والأحجار والأضرحة :

وهذا مظهر من مظاهر الشرك التي حذر منها رسول الله ﷺ.

فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ:

((الله أكبر؛ إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

(اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) [الأعراف: ١٣٨].

(لتركبُنَّ سننَ من كان قبلكم)) [وصححه الألباني في المشكاة].

ومعنى "السدرة": الشجرة، و"ينوطون": يعلقون، قاصدين بذلك التبرك.



ومنها: الذبح لغير الله:

قال تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر: ٢].

وقال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: ١٦٢] والنُّسُكُ: هو الذبح.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: (لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض)) (رواه مسلم)

فعلى هذا، ما يفعله كثير من الناس بالذهاب إلى الأضرحة - كقبر البدوي والحسين وغيرهما، ويزبحون لهم وينذرون لهم [كمن يذبح على أعتاب البيوت، والآبار، وإطارات السيارات، وتلطixها بالدماء خوفاً من الجن؛ كل هذا ينافي التوحيد، وهو من مظاهر الشرك.

ومنها النذر لغير الله:

لأن النذر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله؛ قال تعالى: (يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [الإنسان: ٧].

وفي الصحيح عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من نذر أن يعصي الله، فلا يعصه)) [البخاري (٦٦٩٦)].

ومنها الاستسقاء بالنجوم والأنواع:

فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: ((هل تدرون ماذا قال ربكم؟))، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فذلك مؤمن بي، كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكواكب)) [البخاري (٨٤٦٥)،

ومعنى النوء: منازل القمر.



(فإن قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا، فلا يخلو: إما أن يعتقد أن له تأثيراً في إنزال المطر، فهذا شركٌ وكفرٌ، وهو الذي يعتقدُه أهل الجاهلية .

وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا وكذا، لكن مع اعتقاد أن المؤثرَ اللهُ وحده، ولكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، والصحيح أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم، ولو على طريق المجاز). [من فتح المجيد: بتصرف]

ومنها: إتيان الكهان أو تصديقهم بما يقولون:

والكاهن هو العرّاف أو المنجم أو الرّمّال، أو من ينظر في الفنجان أو الكف، أو يدّعي الكشف، أو علم الغيب، أو تحضير الأرواح، أو فتح المندل، وغير ذلك.

عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً) [مسلم (٢٢٣٠)].

ويدخل في هذا المعنى ما يقوله الناس: "الحظ"، أو "أنت والنجوم"، فينظر في منازل القمر لما يقوله المنجمون ليعرف هل سيكون اليوم سعيداً أم شقيماً، فلا يجوز قراءة ذلك، فضلاً عن اعتقاده.

ومنها: الاستغاثة والاستعاذة بغير الله:

الاستعاذة: هي الالتجاء والاعتصام.

والاستغاثة: طلب الغوث، ولا تكون إلا من مكروب.

قال ابن القيم رحمه الله: (مَنْ ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به وتقرّب إليه بما يحب فقد عبده، وإن لم يسمّ ذلك عبادة، ويسميه استخداماً وصدقاً! هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدم الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة؛ فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به" [بدائع الفوائد]

وقال أيضاً: (ومن أنواعه - يعني: الشرك - طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم) [مدارج السالكين (١/ ٣٤٦)].



ومن الشرك الأصغر الحلف بغير الله:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك) [صححه الألباني في الإرواء (٢٥٦١)] وهذا من الشرك الأصغر الذي لا يخرج عن الملة؛ فيحرم أن يحلف بأبيه، أو أمّه، أو بالنبي، أو الأمانة، أو بالنار، أو بأي شيء من المخلوقات.

ولا يكون اليمين إلا بالله أو بصفاته أو بأسمائه؛ فإن زلّ لسانه فحلف بغير الله، فكفارة ذلك أن يقول: لا إله إلا الله؛ لما ثبت في الحديث: (من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لأخيه: تعال أقامرك، فليصدّق) [البخاري (٤٨٦٠)].

ومن الشرك الأصغر قول القائل: ما شاء الله وشئت .

ونحو ذلك؛ كقوله: توكلت على الله و عليك، لولا الله وفلان، ونحو ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: (وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله و عليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده).

فمن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان) [السلسلة الصحيحة].

ومن الشرك الأصغر الرياء :

وقد ثبت في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا، قال الله تعالى: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري، تركته وشركه)) [رواه مسلم].

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أصررنا، وما أعلنا وما أنت أعلم به منّا، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ربنا إنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا، لنكونن من الخاسرين، ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.



التحذير من السحر

العناصر :

* ضرر السحر في الدنيا والآخرة .

* علامات يعرف بها الساحر .

* كيف نحسن أنفسنا من السحر والسحرة؟؟؟؟ .

■ ضرر السحر في الدنيا والآخرة .

عباد الله: إن من والجرائم الكبيرة وعظائم الذنوب: السحر، فقد جاء في التهديد على فعله، والوعيد على التعامل به، نصوص كثيرة، في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والسحر -عباد الله- عقدٌ ونفتٌ ورقى، وتعاملٌ مع الشياطين وتقرُّبٌ إليهم، ثم يترتب على ذلك أضرار كثيرة، فمنه ما يقتل، ومنه ما يُمرض، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، إلى غير ذلك من الأخطار والأضرار التي لا تقع إلا بإذن الله، كما قال الله تعالى: (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ).

عباد الله، ولا يكون الإنسان ساحرًا إلا إذا كفر بالله تعالى، ونبذ القرآن الكريم وخالف الشرع الحكيم وتقرَّب للجن والشياطين، يدل على ذلك قول الله جلَّ وعلا: (ولما جاءهم رسولٌ من عند الله مصدِّقٌ لما معهم نبذَ فريقٌ الذين أوتوا الكتاب كتابَ الله وراءَ ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتَّبَعُوا ما تَتَلَّوْا الشَّيَاطِينُ على مُلْكِ سُلَيْمَانَ وما كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) [سورة البقرة، الآية: ١٠١-١٠٢] عباد الله، الساحر كافر بالله جلَّ وعلا، قال تعالى:

(وما يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) [البقرة، الآية: ١٠١] والساحر -عباد الله- لا يُفْلِحُ أَبَدًا قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) [طه: ٦٩] .

عباد الله: والساحر من أعظم المفسدين في الأرض، قال الله تعالى:

(قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبيطه إن الله لا يصلح عمل المفسدين) [يونس: ٨١] .

والسحر - عباد الله - هدمٌ للبيوت العامرة وتفكيكٌ للمجتمعات الآمنة وخلخلةٌ للإيمان ودمارٌ للأديان وفسادٌ للمجتمعات ولا يأتي السحر للناس بالخير أبدا بل هو أضرار عظيمة، وشروخ خطيرة على الأفراد والمجتمعات .



والساحر -عبادَ الله- الواجب قتله لإراحة المسلمين منه وتخليص المجتمع من شرّه، وقد جاء قتل الساحر عن غير واحد من أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه ولهذا -عبادَ الله- الواجب على عموم المسلمين الحذر من ذلك .

■ علامات يعرف بها الساحر:

فمن علامات الساحر -عبادَ الله- أنه يسأل من يأتيه عن اسمه واسم أمه ولربما قبل أن يحدثه أخبره باسمه واسم أمه ومن أين أتى وما هي المشكلة التي يعاني منها.

ومن علاماته -عبادَ الله- أنه يتمم بكلمات لا تفهم وألفاظ مجهولة ولربما يأتي بطلاسم وعبارات غامضة.

ومن علاماته أنه يطلب ممن يأتيه أن يأتيه بملابس خاصة أو بأجزاء من بدن من يريد أن يلحق به الضرر.

فهذه بعض علامات الساحر، وله علامات كثيرة، وعندما يضبط ساحر يوجد دائما في حوزته أمثال هذه الأمور التي ينفث فيها سحره وينفث فيها شروره مما يترتب على وجودها أضرار كثيرة في الأفراد والمجتمعات.

عبادَ الله: ولا يحل أبدا لمسلم يؤمن بالله تبارك وتعالى ويؤمن باليوم الآخر أن يأتي ساحراً ولو كان مراده بإتيانه أن يحل السحر الذي أصابه، فحلُّ السحر بسحر مثله محرّم شرعاً لا يجوز إتيان الساحر بحال من الأحوال، بل إن من يأتي الساحر هو في الحقيقة بائع لدينه.

والساحر -عبادَ الله- لا يقبل ممن يأتيه إلا أن يتقرب إلى الشياطين بأنواع من القرب؛ يطلب ممن يأتيه أن يذبح ذبيحة، ربما دجاجة أو نحو ذلك، ولا يذكر اسم الله عليها، وربما حدّد له مكانا معيناً يذبحها فيه وربما أمره أن يلطخ بدمها مواضع معينة من بيته أو نحو ذلك، فكل ذلك -عبادَ الله- من الشرك بالله، ومن الأعمال المحرمة في شرع الله، ومما جاء في دين الله تبارك وتعالى التحذير منه، وبيان وجوب اجتنابه، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منهن السحر".

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشُّرْكُ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)



عبادَ الله: وفي حال ضعف بعض الناس وتوالي الأمراض عليهم أو نزول بعض المحن في هذه الحالة حالة الضعف ربما يستسلم بعض الناس فينقاد إلى ما يقال له، وربما ذهب إلى أشخاص يجهل حقيقة تعاملهم ولربما ذهب إلى أشخاص يتعاملون بالسحر وهو في قراره يقول إنني في مشكلة عظيمة وأريد أن أتخلص منها كيف ما كان!

أيليق بمسلم -عبادَ الله- أن يُخَلِّصَ نفسه من مشكلة وهو في الحقيقة لن يتخلص منها إلا ببيع دينه وإيمانه وعقيدته؟!!

إنها -عبادَ الله- مصيبة عظيمة وبليّة كبرى كيف يطيب لامرئ مسلم أن يبيع دينه بزعم خاطئ وتوهم كاذب ألا وهو أن تُحلَّ مشكلته أو أن يذهب مرضه على يد ساحر، وهيئات ذلك أن يكون ذلك عباد الله، ألا فلننتق الله عباد الله ولنراقب الله جل وعلا فيما نأتي ونذر ولنعلم عباد الله أن شريعتنا شريعة الإسلام عندما حرّمت السحر حرّمته لما فيه من الأضرار الخطيرة والمفاسد العظيمة وفي مقدمتها انهدام الدين وفساد العقيدة.

ونسأل الله جل وعلا أن يحفظ المسلمين بحفظه وأن يخلصهم من شرور الأشرار وكيد الفجار إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

■ كيف نحصن أنفسنا من السحر والسحرة؟؟؟؟؟

فعلى من ابتلي -عبادَ الله- بشيء من الأمراض أو بشيء من السحر:

أن يكون إقباله على الله جلّ وعلا دعاءً وتضرعاً وسؤالاً وإلحاحاً، والله جل وعلا يقول: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦].

وعليه -عبادَ الله- أن يكون ذا عناية بتلاوة كتاب الله عزّ وجلّ، ولا سيما سورة البقرة، وقد جاء في الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:

" اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ». (رَوَاهُ مُسْلِم)
(البطلة: أي السحرة)).

ومن الأمور المهمة عباد الله المحافظة على الفرائض ولا سيما الصلوات الخمس، ولا سيما صلاة الفجر مع الجماعة.



وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ " (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) . وليس يخفى أن اتقاء السحر قبل وقوعه أولى وأحرى من التعب في استخراجه بعد الوقوع، ويحفظ الناس من مآثر الحكم: (الوقاية خيرٌ من العلاج). وإيكم، إخوة الإسلام، شيئاً من الطرق الوقائية للسحر قبل وقوعه، وما أحرانا جميعاً بتأملها والعمل بها.

أولاً: تجديد الإيمان في النفوس كلما آنس المرء من نفسه ضعفاً، والالتجاء إلى الله كلما خاف المرء على نفسه عدواً، ومن يركن إلى الله فإنما يأوي إلى ركنٍ شديدٍ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وهذا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يدعونا إلى تجديد إيماننا ويقول «إن الإيمان ليُخْلَقُ في جوف أحدكم كما يَخْلَقُ الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم» (صحيح الجامع). وأي قوة مهما بلغت، وأي عدو، مهما كانت شرارته، لا شيء أما قوة الله وجبروته { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (سورة البقرة : ١٣٧).

ثانياً: نشر العلم بقضايا العقيدة، والحرص على سلامتها، وبيان ما يخدشها، وتعميم الوعي بمخاطر السحر والشعوذة، وتحذير الناس منها بمختلف وسائل الإعلام، وتوسيع دائرة الوعي في المساجد والقرى والمدن، وبالطرق المناسبة، واستخدام المحاضرة والندوة والمطوية أسلوباً من أساليب التوعية عن هذه الأدواء.

ثالثاً: إصلاح البيوت وعمارتهما بالذكر والصلاة وتلاوة القرآن، وفي الحديث النبوي «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» (رواه مسلم). وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام موجهاً لأثر صلاة النافلة في البيت «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً» (متفق عليه).

قال النووي معلقاً: (حث على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد عن الرياء؛ وأصون من المحبطات، ولينترك البيت بذلك، وتنزل فيه الرحمة والملائكة وينفر منه الشيطان) (شرح مسلم). ودونكم أثر السلام، وهو نوع من الذكر، أدبنا الله إلى البدء به حين الدخول إلى البيوت فقال جل ذكره { فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً } (سورة النور : ٦١).

وأرشدنا إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم، واعتبره ضمناً على الله للحفظ والأمان فقال: «ثلاثة كلهم ضامنٌ على الله عز وجل، وذكر منهم، رجلاً دخل بيته بسلام فهو ضامنٌ على الله سبحانه وتعالى» (رواه أبو داود بإسناد حسن).

ولا تسأل عن أثر قراءة آخر آيتين من سورة البقرة، { آمَنَ الرَّسُولُ }



{ لَا يُكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه» (رواه البخاري).

ومن المعاني الواردة في قوله (كفتاه) أي من الشيطان

فهل نحضن بيوتنا، ونحفظ أنفسنا وأولادنا وأهلينا بذكر الله والصلاة وتلاوة القرآن ... مع استبعاد كل ما يجمع الشياطين من الصور والكلاب والغناء ونحوها من المنكرات الأخرى ... ذلكم لمن رام النجاة في الدنيا والآخرة.

رابعاً: ومما يدفع الله به الإصابة من السحر، التصبح بسبع تمرات من تمر العجوة، وفي ذلك

يقول صلى الله عليه وسلم «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌ وَلَا سِحْرٌ» (متفق عليه).

وقد اشترط كثير من أهل العلم في التمر أن يكون من العجوة-كما في الحديث- وذهب آخرون إلى أن لفظ العجوة خرج مخرج الغالب، فلو تصبَّح بغيرها نفع، وهو قول قوي، وإن كان تمر العجوة أكثر نفعاً وتأثيراً، هذا - والله أعلم - .

خامساً: ونظراً لسهولة انتشار السحر والشعوذة عند النساء أكثر منه في الرجال فينبغي على

المرأة أن تحفظ نفسها في بيتها ولا تُكثر من الخروج للأسواق، وألا تترتد الأماكن المشبوهة،

وعلى الأزواج أن يحافظوا على أهلهم في بيوتهم ويوفروا لهم حوائجهم.

سادساً: أما الحصن الحصين، والسبب الوافي المنيع- بإذن الله- من كل سوء ومكروه فهو

المحافظة على الأوراد الشرعية في الصباح والمساء، وهي صالحة للاستشفاء قبل وقوع السحر

أو بعد وقوعه، وكيف لا؟ وهي الأدوية الإلهية كما يسميها ابن القيم، رحمه الله، ومع مسيس حاجة

الإنسان لهذه الأذكار فما أكثر ما يقع التفريط فيها! وإليك نماذج منها وأثرها:

(أ) فمن قرأ أية الكرسي حين يأوي إلى فراشه لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى

يصبح. كذلك صح الخبر (البخاري).

(ب) ومن قرأ بالآيتين الأخيرتين من سورة البقرة كفتاه، وقد سبق البيان.

(ج) وقراءة { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } و { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } و { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } حين تُمسي

وحين تصبح ثلاث مرات، يكفيك من كل شيء (رواه أبو داود والترمذي - حسن صحيح -)

(د) وكان عليه الصلاة والسلام يعوذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل

وإسحاق « عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُوذُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ:

«أَعِيذُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»



وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يَعُوذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ). والهامة ذات السموم، وقيل: كل ما له سم يقتل، واللامة: كل داء وآفة تلمّ بالإنسان من جنون وخبل .

(هـ) وصح في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك» (صحيح الجامع الصغير). فهل يصعب عليك ذلك يا أخا الإسلام وأنت محتاجٌ لذلك لكثرة حلولك وارتحالك؟ وهل تعجز أن تقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» ثلاث مرات؟ وهي كفيلة بإذن الله أن لا يضرك أي شيء كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم (صحيح الجامع).

أيها المسلمون: وكتب الأذكار مليئةً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي يدفع الله بها، ويمنع من كل مكروه .. وحري بالمسلم أن يطالعها ويعمل بها ويحافظ على ورده منها صباحاً ومساءً، وأن يعلمها أهله وذويه، ومع المحافظة لابد من الصدق والإيمان والثقة بالله والاعتماد عليه، وانسراح الصدر لما دلت عليه، فبذلك ينفع الله بهذه الأوراد، ويدفع، كما قرره أهل العلم .

أيها المسلمون: وإذا وقع السحر أو حصل الأذى على المسلم بشكل عام فحريُّ به أن يصبر ويحتسب، وتزداد ثقته بالله وتوكله عليه، وأن يضرع إليه بالدعاء لكشف الضر، فلا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا جناح عليه بفعل الأسباب المباحة شرعاً لعلاج السحر ومن هذه الأسباب المشروعة الرقية الشرعية فيرقى نفسه أو مريضه .

ولاشكَّ أن الرقى والتعاويذ الشرعية سبب مهمٌ، وعلاج نافع بإذن الله، كيف لا والله يقول: { وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ } (الإسراء: ٨٢).

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: « .. لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» (رواه مسلم) وفي حديث آخر «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه» (رواه مسلم).

قال أهل العلم: إن الرقى تكون مشروعةً إذا تحقق فيها ثلاثة شروط:

الأول: أن لا يكون فيها شرك ولا معصية كدعاء غير الله.

الثاني: أن تكون بالعربية أو ما يفقه معناه.

الثالث: أن لا يعتقد كونها مؤثرةً بنفسها، أن يكون القارئ لها صالحاً وموقناً بنفعها.

وكذلك عباد الله اجتناب المنكرات والبعد عن المحرمات، فكل ذلك عباد الله من أسباب السلامة والحفظ والوقاية بإذن الله.

الإيمان بالملائكة

العناصر :

- * التعرف بعالم الملائكة .
- * أعمال الملائكة .
- * صفات الملائكة .
- * أثر الإيمان بالملائكة .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد؛

قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١٠-١٢]

يقول الحسن البصري رحمه الله: "يا ابن آدم إن الله خلقك وأوكل بك ملكين عن اليمين وعن الشمال. فأما الذي عن يمينك فيكتب لك الحسنات، والذي عن شمالك فيكتب عليك السيئات فاعمل ما شئت، فإذا مت طويت صحيفةك وعلقت في عنقك وذلك قوله تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: ١٣-١٤] عدل والله من جعلك حسيب نفسك.

ما الملائكة؟ وما هي أعمالهم؟ وما هي صفاتهم؟ وما أثر الإيمان بهم؟

الملائكة: خلق من خلق الله عظيم – طبعهم الله على الخير – مطيعون لأوامر الله سبحانه مسبحون عابدون لا يسأمون ولا يفترون.

وينبغي أن تعلم: أن مادة خلقهم النور: للحديث:

(خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارح من نار، وخلق آدم كما وصف لكم) (رواه مسلم)

ودليل وجودهم ثابت في الكتاب والسنة:-

قال تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً [البقرة: ٣٠].

وللحديث من دعائه صلى الله عليه وسلم: ((اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)) (رواه مسلم)

وجبرائيل: هو أفضل الملائكة وخصه الله بالسفارة بينه وبين رسله، فكان ينزل بالوحي إليهم.

وميكائيل: ومهمته هي المطر والنبات. واسرافيل: ومهمته هي النفخ في الصور يوم القيامة.

وعلى هذه فالإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان – ومن أنكر وجودهم فهو كافر، قال تعالى:

{وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦]

وأما أعمالهم الموكلة إليهم:-

فاعلم أنها أعمال كثيرة مختلفة متنوعة جاء ذكرها في الكتاب والسنة منها:

* حمل العرش: قال تعالى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ} [الحاقة: ١٧]

ويعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عظم خلقهم فيقول: (أذن لي أن أتحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، ومن شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير، سبعمائة عام، فيقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت) (صحيح الجامع: ٨٥٣)

* قبض الأرواح: والموكل بذلك ملك الموت وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب قال تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} [السجدة: ١١]

وقال عن أعوانه: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ} [الأنعام: ٦١]

وجاء في السنة عن صفتهم في الحديث: (إن العبد إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت إليه الملائكة كأن وجوههم الشمس فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان)).

((وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح - ثوب غليظ من الشعر - فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب) [صحيح الجامع]

* خزانة الجنات: وعليها ملك هو (رضوان) فهو خازن الجنة.

القيام بشؤون النار وأهلها: وعليها ملك هو (مالك) فهو خازن النار ورئيس الزبانية وعددهم تسعة عشر ملكا، قال تعالى: وَنَادَوْا يُمَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْتُونَ [الزخرف: ٧٧].

وقال تعالى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ لَوْ اِحْتَسَبَ أَنَّ لُبَّ الشَّيْطَانِ لَشَوَّاهُ لَمَا كُنَّ لَهُ عَلَيْهَا فَتْرَةٌ} [المدثر: ٢٦-٣٠] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خزنة النار تسعة عشر، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة وقوته أن يضرب القمعة، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألفا فيقعون في قعر جهنم. قال تعالى: {عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم: ٦]

* الحفظة: وهم الموكلون بحفظ العبد من الجن والهوام والمصائب إلا شيء أذن الله به فيقع: قال تعالى: {لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّن أَمْرِ اللَّهِ} [الرعد: ١١]

يقول مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكّل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال الملك: وراءك إلا شيء أذن الله أن يصيبه.

وقال أبو مجلد: جاء رجل إلى علي وهو يصلي، فقال: احترس، فإن ناسا يريدون قتلك فقال علي: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه إن الأجل جنة حصينة.

أعمال أخرى مختلفة:

* سياحون يبلغون رسول الله سلام أمته وصلاتهم للحديث: ((إن الله في الأرض ملائكة سياحون يبلغوني عن أمتي السلام)) [السلسلة الصحيحة: ٢٨٥٣]

* ملك موكل بالرحم للحديث: ((إن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكا فيقول: أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقا، قال الملك: أي رب ذكر أو أنثى شقي أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه)) (صحيح الجامع الصغير)

صفات الملائكة :

فإن للملائكة صفاتٍ كريمة تتناسب مع طهارة خلقهم وخلقهم وأعمالهم منها:

الحياء : فهي تستحي استحياء يليق بحالتها فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا كاشفا عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على حاله ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثوبه، فلما قاموا، قالت: يا رسول الله استأذن أبو بكر وعمر فأذنت لهما، وأنت على حالك، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك، فقال: (يا عائشة ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة) [صحيح الجامع]

منزهون عن الأعراض البشرية من نوم وأكل وشرب وتعب:

قال تعالى: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: ٢٠]. وللحديث: (أطَّت السماء وحق لها أن تئنن، ما من موضع أربع أصابع إلا عليه ملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى) [صحيح الجامع]

دعاهم للمؤمنين ولعنهم للكافرين:

قال تعالى: ((الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)) [غافر: ٧]. وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [البقرة: ١٦١]

نفورهم من الروائح الكريهة والبيوت التي فيها مخالقات شرعية:

للحديث: (من أكل الثوم والبصل والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم) [صحيح الجامع: ٦٠٨٩]، وللحديث: (إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة) [صحيح الجامع: ١٩٦٣]

أثر الإيمان بهم:

استشعار لعظمة الله سبحانه وقدرته جل جلاله - فدقة المصنوع تدل على عظمة الصانع - وعظم خلق الملائكة دليل على عظمة الخالق سبحانه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فاطر: ١].

فرح المؤمن بمشاركة هذا الصنف من خلق الله في عقيدته وطاعته وإسلامه وتنفيذه لأوامر الله، فالؤمن يجعل من ملائكة الرحمن مثلا كريما في انقياده وطاعته فهم: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم: ٦].

* عزة واستعلاء بوجود أعوان وأنصار يعينونه وينصرونه بأمر الله قال تعالى: {بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: ١٢٥-١٢٦]. شجاعة وفداء وإنما هي آجال وعليه من ملائكة الرحمن حفظة فلا يصيبه إلا ما أذن به الله وحده جل في علاه. {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١]

العناصر :-

- * تعريف التوكل على الله.
- * ثمرات التوكل على الله .
- * والتوكل على الله تعالى لا يُنافي الأخذ بالأسباب .
- * أمثلة للصادقين في التوكل على الله
- * كيف تُحقق التوكل على الله تعالى؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وبعد؛

أيها المسلمون عباد الله : اعلّموا أن التوكل على الله تعالى عبادة من أفضل العبادات ، ومقام عظيم يرتقي إليه المؤمن ، بل هو من أعلى المقامات وأشرف الأحوال وأجل الصفات ، جعله الله تعالى سبباً لنيل محبته { **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** } [آل عمران : ١٥٩] ، و من فضله ومكانته أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم في آيات من القرآن الكريم ، وكذا أمر به المؤمنين عامة لما له من عظيم الآثار في كل شأن من شؤون حياة المؤمن بل وجعله شرطاً لحصول الإيمان به { **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** } [المائدة : ٢٣] .

والتوكل يا عباد الله: هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح و دفع المضار في كل أمرٍ من أمور الدنيا و الآخرة [ابن رجب جامع العلوم و الحكم] .

- * قال الله تعالى : { **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** } [المائدة : ٢٣]
- * و قال الله تعالى : { **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** } [إبراهيم : ١٢]
- * و قال الله تعالى : { **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** } [الطلاق : ٣]

ثمرات التوكل :

فالعبد إذا أحسن التوكل على الله تعالى، فإنه يحقق بحمد الله تعالى ثمرات ومنافع كثيرة منها:

= طمأنينة القلب و سكون النفس: يعلم المسلم و يُوقن أن الأمور كلها بيد الله تعالى، فيوقن أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن كل ما يحصل له هو ما قدره الله تعالى له، لذا يعيش العبد

المتوكل قرير العين هادئ البال، وهي من أجلّ النعم التي من حرمها تنغصت حياته بالقلق والاضطراب.

= ومنها كفاية الله تعالى للعبد في جميع شئونه:

قال الله تعالى : { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } [الطلاق : ٣].

قال عليه وسلم : [إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ، أَوْ مِنْ بَابِ دَارِهِ، كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلَانِ بِهِ، فَإِذَا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ قَالَا: هُدَيْتَ، وَإِذَا قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَا: وَقَبِيتَ، وَإِذَا قَالَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ قَالَا: كُفَيْتَ، قَالَ: فَيَلْقَاهُ قَرِينَاهُ فَيَقُولَانِ: مَاذَا تُرِيدَانِ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟ "]

((الترمذي وابن ماجه وأبو داود و أحمد - ضعيف الجامع.))

= والتوكل على الله تعالى من أقوى الأسباب في جلب المنافع و دفع المضار:

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ((حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم - عليه وسلم - حين ألقى في النار ، و قالها محمد - عليه وسلم - حينما قالوا له : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.)) (البخاري)

= وبصدق التوكل على الله تعالى يحصل المطلوب بأدنى الأسباب و أيسر السبل:

فقد ورد في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

[لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خِماصًا ، وتروحُ بِطَانًا]

(السلسلة الصحيحة) ولقد طمأن الرسول - عليه وسلم - كل ساعٍ إلى رزقه و هو صادق في التوكل

على ربه أن رزقه مقدر وأنه لن يخطئه، فقال - عليه وسلم : [إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لا تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب] (السلسلة الصحيحة).

= والصادق في توكله على الله تعالى موعود بالأجر العظيم والفضل الكبير:

ففي حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، قال عليه وسلم:

[هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون] (البخاري ومسلم)

وهم أول زمرة تدخل الجنة كما في حديث: [أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة] (البخاري و مسلم)

= المتوكلون الصادقون هم أشجع الناس :

فالذي امتلأ قلبه توكلأ على الله تعالى لا يخاف من أحد ، فهو قوي العزيمة و الثبات قال تعالى:
{ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } [آل عمران : ١٥٩]

• قال بعض السلف: من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله.

ولهذا كان سيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم أشجع الناس و سيد الشجعان، ففي الصحيحين عن أنس – رضي الله عنه – كان النبي صلى الله عليه وسلم : [أحسن الناس و أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة يوماً فخرجوا نحو الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس لأبي طلحة عُرِي، و في عنقه السيف، و هو يقول: لم تراعوا لم تراعوا ...]

= ليس للشيطان على المتوكل سبيلا : قال تعالى { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [النحل : ٩٩] وفي الحديث قال – صلى الله عليه وسلم «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله فيقال له: حسبك قد هديت وكفيت ووقيت فينتحى له الشيطان فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقى؟» [صحيح الجامع: ٤٩٩]

فمن توكل على الله بصدق تنحى عنه الشيطان وسلمه الله تعالى من كيده ومكره وخداعه ووسوسته، وهذا من حفظ الله تعالى لعباده المتوكلين عليه.

والتوكل على الله تعالى لا يُنافي الأخذ بالأسباب

فالجوارح تقوم بالأسباب بينما القلب معتمد على مسبب الأسباب سبحانه وتعالى ، والواجب الأخذ بالأسباب و عدم الاعتماد عليها وهذا مذهب أهل الحق من سلف الأمة – قال تعالى :
{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [الملك : ١٥]

و عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم على ناقة له: قال: يا رسول الله اعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل، قال: اعقلها وتوكل " [صحيح الترمذي: ٢٥١٧]

أمثلة للصادقين في التوكل على الله:

■ قد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما أنه قال: {حسبنا الله ونعم الوكيل} قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار ، وقالها محمد – صلى الله عليه وسلم – حين قالوا : { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }

■ قال أنس بن مالك – رضي الله عنه : إنّ أبا بكر الصديق حدثه قال : نظرتُ إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار ، فقلت يا رسول الله ؛ لو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه ، فقال : [يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما] (البخاري ومسلم)

وفي ذلك يقول ربنا : { إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [التوبة : ٤٠]

فأي ثقةٍ هذه التي امتلأ بها قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخيرا كيف تُحقق التوكل؟

للتوكل في حياة العبد درجات، وعلى العبد الحريص أن يرتقي تلك الدرجات وأن يتحصل على أعلى مقامات التوكل، وكي يفوز بذلك لابد من:

معرفة الله سبحانه وتعالى و أسمائه و صفاته و قيوميته و انتهاء الأمور إلى علمه و صدورها عن مشيئته و قدرته سبحانه و يوقن بكفايته لعبده وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك أبداً .

خذ بالأسباب و توكل على مسببها سبحانه: فليعتمد قلبك على الله بحيث لا يبقى في القلب اضطراب من تشويش الأسباب و لا تركن إليها، وليطمئن قلبك و يثق بالله و تدبيره للأمر.

أحسن الظن بالله تعالى: و فوض أمرك الي الله و اعلم أنه لا تنقضي الأمور إلا بمشيئته و إرادته.

ارض بقضاء الله سبحانه فالعبد إذا توكل حق التوكل رَضِيَ بما يفعله و كيّله.

فالواجب على العبد التوكل على الله و الاستعانة به و دعاؤه و مسألته دون ما سواه؛ فهو الغني ونحن الفقراء إليه؛ وهو المحسن إلى عباده الذي أسبغ نعمه عليهم، فواجب على العبد أن يحب الله و يجتهد في عبادته بما شرع؛ و يتوكل عليه دائماً و أبداً.

فضائل حسن الخلق

العناصر :-

✽ منزلة حسن الخلق في الإسلام.

✽ فضائل حسن الخلق .

✽ الخلق الحسن من أعظم القربات.

الحمد لله الذي فاوت بين خلقه في الخلق كما فاوت بينهم في الخلق، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، الذي قال الله في شأنه:

{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]

✽ منزلة حسن الخلق في الإسلام.

أيها الإخوة المؤمنون: الأخلاق الكريمة، والصفات الحسنة، لها اعتبار كبير في دين الله تعالى. وإذا كانت العلاقة بين الخالق والمخلوق تبنى على الإيمان والإخلاص والمتابعة؛ فإن علاقات المخلوقين فيما بينهم يبنى أغلبها على أساس الأخلاق والسلوك؛ لذا أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن البر حسن الخلق.

✽ فضائل حسن الخلق :

وأن الخلق الحسن من أعظم روابط الإيمان وأعلى درجاته؛ لقوله -صلى الله عليه وسلم- :-
(أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)) [حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي].

و الخلق الحسن من تخلق به كان من أحب الناس إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة: ((إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً))
[صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي].

وكذا الخلق الحسن يجعل المسلم من خيار الناس مطلقاً، ولا يكون كذلك إلا بالتخلق بهذا الخلق العظيم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- :- ((إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً)) (البخاري ومسلم).

وقد أحسن الشاعر إذ يقول: إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا

* الخلق الحسن من أعظم القربات وأجلّ العطايا والهبات، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن فإن الله ليُبغِضُ الفاحشَ البذيء)) (صححه الألباني في صحيح أبي داود).

والخلق الحسن يدرك المسلم به درجة الصائم القائم، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)) (صححه الألباني في صحيح أبي داود).

والخلق الحسن خير من الدنيا وما فيها؛ ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعبد الله بن عمرو: ((أربع إذا كن فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا: حفظُ أمانةٍ، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة)) (صحيح الجامع).

و يحصل بالخلق الحسن جوامع الخيرات والبركات؛ قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((البر حسن الخلق)) (رواه مسلم).

و الخلق الحسن هو وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع المسلمين، فقد أوصى به - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن واليأ، وقاضياً، وداعياً إلى الله فقال له:

((وخالق الناس بخلق حسن)) (حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي)

و الخلق الحسن ذو أهمية بالغة؛ لأن الله - عز وجل - أمر به نبيه الكريم، وأثنى عليه به، وعظّم شأنه الرسول الأمين - صلى الله عليه وسلم -. قال الله - عز وجل -: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} وقال - سبحانه وتعالى -: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: ٤) وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) (الصحيحة للألباني).

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِهِ - صلى الله عليه وسلم - فقالت: (فإن خلق نبيكم - صلى الله عليه وسلم - كان القرآن) (رواه مسلم).

و الخلق الحسن من أعظم الأساليب التي تجذب الناس إلى الإسلام، والهداية، والاستقامة؛ ولهذا من تتبّع سيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وجد أنه كان يلزم الخلق الحسن في سائر أحواله وخاصة في

دعوته إلى الله تعالى، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً بفضل الله تعالى ثم بفضل حسن خلقه - عليه وسلم -، فكم دخل في الإسلام بسبب خلقه العظيم.

فهذا يُسلم ويقول: ((والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلها إليّ)) (البخاري ومسلم).

وذاك يقول: ((اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً)) (رواه البخاري)، تأثر بعفو النبي - عليه وسلم - ولم يتركه على تحجيره رحمة الله التي وسعت كل شيء، بل قال له: (لقد تحجرت واسعاً).

والآخر يقول: (فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه) (صححه الألباني في صحيح النسائي).

والرابع يقول: (يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة) (رواه مسلم).

والخامس يقول: (والله لقد أعطاني رسول الله - عليه وسلم - ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحبّ الناس إليّ) (رواه مسلم).

والسادس يقول: بعد عفو النبي - عليه وسلم - عنه: (جئكم من عند خير الناس)، ثم يدعو قومه للإسلام فأسلم منهم خلق كثير (فتح الباري، ٧/٤٢٨)، وهناك أمثلة كثيرة جداً.

و الخلق الحسن هو أمنية كل مسلم وكل داعية مخلص خاصة؛ لأنه بذلك ينجو ويفوز وينجح في جميع أموره الخاصة والعامة؛ ولهذه الأهمية كان - عليه وسلم - يدعو ربه أن يهديه للخلق الحسن، فكان - عليه وسلم - يقول في استفتاحه لصلاة الليل:

((واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت) (رواه مسلم).

وكان يقول: (اللهم كما أحسنت خلقي فحسن خلقي) (صححه الألباني في إرواء الغليل).

و الخلق الحسن يحبّب المسلم إلى الناس جميعاً حتى أعدائه، ويتمكن بذلك من إرضاء الناس على اختلاف طبقاتهم، وكل من جالسه أو خالطه أحبه، وبهذا يسهل على الداعية إدراك مطالبه السامية بإذن الله تعالى؛ لأنّ الدعاة إلى الله - عز وجل - لا يسعون الناس بأموالهم ولكن ببسط الوجه وحسن الخلق.

و من لم يتخلق بالخلق الحسن من المسلمين ينفر الناس من دعوته، ولا يستفيدون من علمه وخبرته؛ لأن من طباع الناس أنهم لا يقبلون ممن يستطيل عليهم أو يبدو منه احتقارهم، واستصغارهم، ولو كان ما يقوله حقاً. قال - عز وجل - للنبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - :
{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} ، وقال - عز وجل - : {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ،
وقال عز وجل - ممتناً على عباده:

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} .
وقال الله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} ، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} ، وقال - عز وجل - : {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} .

وقال - عز وجل - : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا} .

ولا شك أنه يتعين على كل داعية أن يتخذة - صلى الله عليه وسلم - قدوة وإماماً لقوله تعالى:

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} .

و إن صلاح الأمة وهدايتها والنهوض بها لا يكون سليماً نقيماً إلا بالأخذ من المنبع الصافي، والبعد عن الأفكار الهدامة المنحرفة، والتزام المسلمين بالخلق الحسن ودعوة الناس إليه هو من هذا المنبع، وتطبيق ذلك على أنفسهم قبل الدعوة إليه، قال الله - عز وجل - : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} ؛ ولهذا أمر الله بالعلم قبل العمل، وبالعمل قبل الدعوة إليه، فقال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} ، وقال: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} ، فقدم العمل قبل الدعوة إلى الحق.

و الخلق الحسن يجعل المسلم مستنير القلب، ويفتح مداركه، فيتبصر به مواطن الحق، ويهتدي به إلى الوسائل والأساليب الصحيحة في دعوة الناس الملائمة للظروف والأحوال، والأشخاص
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} .

و الخلق الحسن من أعظم الأسباب التي تُنجي من النار وتُورث الفوز بأعلى الدرجات في جنات النعيم، وهذا هو غاية كل مسلم بعد رضى الله - عز وجل -؛ ولهذا عندما سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً فقال له: (ما تقول في الصلاة) قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار. أما والله! ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((حَوْلَهَا نُدْنِدُنُ)) (صحيح ابن ماجة) وهذا يدل أن جميع الأقوال والدعوات والأعمال؛ إنما هو من أجل الفوز بالجنة والنجاة من النار بعد رضى الله - عز وجل - و تَكْفَلُ النبي - صلى الله عليه وسلم - ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه. فقال: ((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحَقَّقًا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)) (السلسلة الصحيحة).

و الخلق الحسن أكثر ما يدخل به الناس الجنة: فقد سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: ((تقوى الله وحسن الخلق)) (حسنه الألباني في صحيح الترمذي).

و الخلق الحسن من أسباب النجاة من النار: فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((ألا أخبركم بمن يحرم على النار، -أو بمن تحرم عليه النار؟ - على كُلاً قريب هين سهل)) (السلسلة الصحيحة).

و صاحب الخلق الحسن خير أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)) (السلسلة الصحيحة).

و الخلق الحسن موضوع واسع جداً يشمل: الحلم، والأناة، والجود والكرم، والعفو والصفح، والرفق واللين، والصبر والعزيمة، والثبات، والعدل والإنصاف، والصدق، والبر، والوفاء بالعهد، والإيثار، والرحمة، والعفة، والتواضع، والزهد، والكيس والنشاط، والسماحة، والمروءة، والشجاعة، والأمانة، والإخلاص. وهذا هو الخلق الحسن في الدعوة إلى الله تعالى وما يتفرع منه.

و أما الخلق العظيم الذي مُدح الله به النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو الدين كله، والخلق الحسن جزء منه كما ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى، وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى في مدارج السالكين: ((حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، ومنتشاً جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة)).

فاختر لنفسك ما شئت، وعامل الناس كما تحب أن يعاملوك به، واعلم بأنه لا يبقى للعبد في الدنيا إلا الذكر الجميل، فكن حسن الأخلاق مع الناس؛ حتى تنال محبة الله تعالى ومحبتهم، وحتى تذكر بخير حياً وميتاً. اللهم كما حسنت خلقنا فحسن أخلاقنا، اللهم صل على محمد وآله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين

التَّوْبَةُ فِي سَلَامَةِ الصَّدْرِ

* العناصر :-

- * الحفاظ على المجتمع المسلم من الشحناء والأحقاد.
- * بيان مخاطر الحقد والحسد والغل.
- * التحذير من اقتراف الكبائر العظام من الذنوب والآثام.
- * لبيان المسلك الصحيح مع الذين يفسدون بين الناس.
- * لحسن التأسي بالسلف الصالح.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.... فقد جاءت هذه الشريعة بالأمر بالتحاب بين المؤمنين، وسلامة صدور بعضهم لبعض، (كونوا عباد الله إخواناً)، ووفرت الشريعة كل فرصة فيها تقوية لرابطة الأخوة، كما نهت عن كل أمر فيه إيذاء لهذه الرابطة.

قال ابن رجب رحمه الله : (أفضل الأعمال سَلَامَةُ الصَّدْرِ من أنواع الشَّحْنَاءِ كُلِّهَا، وَأَفْضَلُهَا السَّلَامَةُ من شحْنَاءِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالدُّعَى، الَّتِي تَقْتَضِي الطَّعْنَ عَلَى سَلْفِ الْأُمَّةِ، وَبَعْضُهُم وَالْحَقْدُ عَلَيْهِمْ، وَاعْتِقَادُ تَكْفِيرِهِمْ أَوْ تَبْدِيْعِهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ، ثُمَّ يَلِي ذَلِكَ سَلَامَةُ الْقَلْبِ مِنَ الشَّحْنَاءِ لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِرَادَةُ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَنَصِيْحَتُهُمْ، وَأَنْ يَحِبَّ لَهُمْ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَمُومًا بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (الحشر: ١٠) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن غرٌّ كريم، والفاجر خبٌّ لنيم" ((حسنه الألبانى)). قال المناوي رحمه الله: "المؤمن غرٌّ" (أي: يغُرُّه كلُّ أحد، و يغُرُّه كلُّ شيء، ولا يعرف الشرُّ، وليس بذي مكر ولا فطنة للشرِّ، فهو يَنخَدِعُ لِسَلَامَةِ صَدْرِهِ، وَحَسَنَ ظَنِّهِ، وَيَنخَدِعُ لَانْقِيَادِهِ وَلِينِهِ) "كريم" (أي: شريف الأخلاق)

"والفاجر" (أي: الفاسق) "خبٌّ لنيم" (أي: جريء، فيسعى في الأرض بالفساد. فالمؤمن المحمود: من كان طبعه العَرَاةَ، وَقَلَّةَ الْفِطْنَةِ لِلشَّرِّ، وَتَرَكَ الْبَحْثَ عَنْهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُ جَهْلًا، وَالفاجر من عادته الخُبْتُ وَالدَّهَاءُ وَالتَّوْغُلُ فِي مَعْرِفَةِ الشَّرِّ، وَلَيْسَ ذَا مِنْهُ عَقْلًا.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أي النَّاس أفضل؟ قال : كلُّ مَخْموم القلب، صدوق اللِّسان، قالوا : صدوق اللِّسان نعرفه، فما مَخْموم القلب؟ قال : هو النَّقِيُّ التَّقِيُّ، لا إثم عليه، ولا بَغْي ولا غُلٌّ ولا حسد" [صححه الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجة]
قال علي القاري رحمه الله: أي سليم القلب، لقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشُّعراء: ٨٩] من خَمَمَت البيت، إذا كنسته، على ما في وغيره، فالمعنى: أن يكون قلبه مكنوساً من غبار الأغيار، ومُنْظَفًا من أخلاق الأقدار) [مرقاة المفاتيح، لملا على القارى]
من أقوال السلف والعلماء في سلامة الصِّدر:

قال ابن العربي: (لا يكون القلب سليماً إذا كان حقوداً حسوداً معجباً متكبراً، وقد شرط النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم في الإيمان، "أن يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه" [أحكام القرآن، لابن العربي]
وسئل ابن سيرين - رحمه الله تعالى - ما القلب السَّليم؟ فقال: "النَّاصح لله في خلقه"
[الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكى بن أبى طالب]

وقيل : القلب السَّليم الذي يحبُّ للنَّاس ما يحبُّه لنفسه، قد سلِّم جميع النَّاس من غشِّه وظلمه، وأسلِّم الله بقلبه ولسانه، ولا يعدل به غيره [أحكام القرآن، لابن العربي].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "فالقلب السَّليم المحمود، هو الذي يريد الخير لا الشر، وكمال ذلك بأن يعرف الخير والشر، فأما من لا يعرف الشر، فذاك نقص فيه لا يُمدح به" [الفتاوى الكبرى]
وقال الأکفاني وعبد الكريم رحمهما الله: "وأصل العبادة مكابدة اللَّيل، وأقصر طرق الجنَّة سَلامة الصِّدر" [تاريخ دمشق، لابن عساكر].

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة، جمع ولده، وفيهم مَسَلمة، وكان سيِّدهم، فقال: أوصيكم بتقوى الله، فإنَّها عِصمة باقية، وجُنَّة واقية، وهي أحسن كهف، وأزین حلية، ليعطف الكبير منكم على الصَّغير، وليعرف الصَّغير منكم حقَّ الكبير، مع سَلامة الصِّدر، والأخذ بجميل الأمور.."
[تاريخ دمشق، لابن عساكر].

وقال سفيان بن دينار رحمه الله: قلت لأبي بشير - وكان من أصحاب علي- : أخبرني عن أعمال من كان قَبَلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيراً، ويؤجرون كثيراً، قلت: ولم ذاك؟ قال : لسَلامة صدورهم" [الزهد، لهناد بن السرى].

من فوائد سلامة الصدر:

من أعظم فوائد سلامة الصدر : أنها سبيل لدخول الجنة، فهي صفة من صفات أهلها، ونعت من نعتهم، قال تعالى: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء ٨٨-٨٩].

تستر العيوب :، وتقطع أسباب الذنوب، فمن سلم صدره، وطهر قلبه عن الإرادات الفاسدة، والظنون السيئة، عفّ لسانه وجوارحه عن كلّ قبيح.

أنها تجمع القلب على الخير والبرّ والطاعة والصّلاح، فلا يجد القلب راحة إلا فيها، ولا تقرّ عين المؤمن إلا بها.

من صور سلامة الصدر:

سلامة الصدر مع عامّة الناس، فلا يحمل لهم في قلبه غلاً ولا حسداً، ولا غيرها من الأمراض والأدواء القلبية، التي تقضي على أواصر المحبّة، وتقطع صلوات المودّة

سلامة الصدر مع خاصّة إخوانه ومقرّبيه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا" [رواه البخاري ومسلم]

موانع اكتساب سلامة الصدر:

نزغات الشيطان، ووساوسه، فالشيطان حريص على إيغار الصدور، وإفساد القلوب، لذا حذر الله - تبارك وتعالى - منه، وأمر عباده بانتقاء القول الحسن، قال -تبارك وتعالى :
{ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا }
[الإسراء: ٥٣]

وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ" [رواه مسلم].

إصابة القلب ببعض الأمراض الخُفَيّة، والتي تُفسد القلب، كالحسد والغلّ والحقد، وإذا اشتمل القلب على هذه الأدواء لم يُعتبر سليماً، فهي تضادّ سلامة القلب.

التنافس على الدنيا فعن عمرو بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم، فتَنَافَسُواها كما تَنَافَسُواها، وتَهْلِكُكم كما أهْلَكْتهم" [رواه البخارى ومسلم].

الوسائل المعينة على اكتساب سلامة الصدر:

الإخلاص لله - تبارك وتعالى - وهذا تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: ثلاث لا يغلُ عليهنَّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإنَّ الدَّعوة تحيط من ورائهم" [صححه الألبانى]

قال ابن الأثير: "إنَّ هذه الخِلال الثلاث تُستَصلح بها القلوب، فمن تمسَّك بها طهر قلبه من الخيانة والدَّخْل والشَّر" [النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير]

الإقبال على كتاب الله تعالى قراءةً وتعلُّماً وتعليماً، فهو شفاء لما في الصدور، كما قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: ٥٧].

الدُّعاء، فهو العلاج النَّاجع والدَّواء النَّافع، فيدعو العبد مولاه أن يجعل قلبه سليماً من الضغائن والأحقاد على إخوانه المؤمنين، قال الله تعالى:

{ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }

نماذج من السلف:

وعن زيد بن أسلم، أنَّه دخل على ابن أبي نُجانة، وهو مريض، وكان وجهه يتهلَّل، فقال له: ما لك يتهلَّل وجهك؟ قال: ما من عملٍ شيءٍ أوثق عندي من اثنين: أمَّا أحدهما، فكانت لا أتكلَّم بما لا يعنيني، وأمَّا الأخرى: فكان قلبي للمسلمين سليماً

[رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى]

وأثر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يدعو لسبعين من أصحابه، يسمِّيهم بأسمائهم، وهذا العمل علامة على سلامة الصدر [ذكره ابن بطال فى شرح صحيح البخارى]

وقد كان أبو موسى الأشعري صَوَّامًا قَوَّامًا، رَبَّانِيًّا، زَاهِدًا، عَابِدًا، مَمَّنَّ جَمَعَ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ وَالْجِهَادَ
وَسَلَامَةَ الصَّدْرِ، لَمْ تَغْيِرْهُ الْإِمَارَةُ، وَلَا اغْتَرَّ بِالذَّنْبِ [سير أعلام النبلاء، للذهبي].

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - فذكر له عن رجل شيئًا، فقال له عمر: إن
شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبًا، فأنت من أهل هذه الآية

{إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات: ٦]

وإن كنت صادقًا، فأنت من أهل هذه الآية: {هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم: ١١] وإن شئت عفونا

عنك، فقال: العفو، يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا [إحياء علوم الدين]

وعن الفضل بن أبي عيَّاش، قال: كنت جالسًا مع وهب بن منبّه، فأتاه رجل، فقال: إنني مررت
بفلان وهو يشتمك. فغضب، فقال: ما وجد الشيطان رسولًا غيرك؟ فما برحت من عنده حتى جاءه
ذلك الرجل الشاتم، فسلم على وهب، فردَّ عليه، ومدَّ يده، وصافحه، وأجلسه إلى جنبه)

[صفة الصفوة، لابن الجوزي].

فضائل الكلمات الأربع ((سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر))

* العناصر :-

* مقدمة عن ذكر الله تعالى .

* فضائل الكلمات الأربع .

ليس بعد تلاوة القرآن عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر الله سبحانه وتعالى، ورفع الحوائج بالأدعية الخالصة إليه تعالى، ويدل على فضل الذكر قوله تعالى:

{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢] وقوله: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٩٠] وقوله: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ} [الأحزاب: ٣٥].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

ولا يخفى على جميع المسلمين ما للكلمات الأربع:

((سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)) من مكانة في الدين عظيمة، ومنزلة في الإسلام رفيعة، فهنَّ أفضل الكلمات وأجلهنَّ، وهنَّ من القرآن، وهنَّ أطيب الكلام وأحبَّه إلى الله، وأحبُّ إلى رسوله ﷺ من كلِّ ما طلعت عليه الشمس، وفيهنَّ رفعٌ للدرجات وتكفيرٌ للذنوب والسيئات، وجنَّةٌ لقائلهنَّ من النار، ويأتين يوم القيامة مُنجياتٍ لقائلهنَّ ومقدّماتٍ له، إلى غير ذلك من صنوف الفضائل وأنواع المناقب، ممَّا يدلُّ على عظيم شرف هؤلاء الكلمات عند الله وعلوُّ منزلتهنَّ عنده، وكثرة ما يترتَّب عليهنَّ من خيرات متواصلة وفضائل متوالية في الدنيا والآخرة،

ذكر النصوص الدالة على فضل هؤلاء الكلمات الأربع :

لقد ورد في فضل هؤلاء الكلمات الأربع نصوصٌ كثيرةٌ تدلُّ دلالةً قويةً على عظم شأنهنَّ وجلالة قدرهنَّ، وما يترتَّب على القيام بهنَّ من أجورٍ عظيمةٍ وأفضالٍ كريمةٍ، وخيراتٍ متواليةٍ في الدنيا والآخرة، وفيما يلي جملة من فضائل هذه الكلمات:

أولاً: فمن فضائل هؤلاء الكلمات: أنهنَّ أحب الكلام إلى الله، فقد روى مسلم في صحيحه عن سَمْرَةَ بِنْتِ جُنْدُبٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللهُ أَكْبَرُ) ((السلسلة الصحيحة)) (٣/ ٤٨٥).

ثانياً: ومن فضائلهنَّ: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنَّهنَّ أحبُّ إليه ممَّا طلعت عليه الشمس (أي: من الدنيا وما فيها) ، لما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ " (رواهُ مُسلم)

ثالثاً: ومن فضائلهنَّ: ما ثبت في مسند الإمام أحمد، وشعب الإيمان للبيهقي بإسناد جيد عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أم هانئ بنت أبي طالب

قالت: مرَّ بي رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ذاتَ يومٍ، فقُلْتُ: يا رسولَ الله! قد كَبُرْتُ وضَعُفْتُ -أو كما قالت- فمُرني بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وأنا جالِسةٌ. قال:

"سَبِّحِي الله مئةً تَسْبِيحَةً؛ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مئةَ رَقِبةٍ تَعْتِقُهَا مِنْ وَادِ إِسْمَاعِيلِ، واحمِدي الله مئةً تَحْمِيدَةً؛ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مئةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وكَبِّرِي الله مئةً تَكْبِيرَةً؛ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مئةَ بَدَنَةٍ مُقْلَدَةٍ مُتَقَبِّلَةٍ، وهَلِّلي الله مئةً تَهْلِيلَةً -قال ابنُ خَلْفٍ: أحسبه قال:- تَمَلُّ ما بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لأحدٍ عَمَلٌ ؛ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ ما أَتَيْتَ".
(رواه أحمد بإسناد حسن)

رابعاً: ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أنَّهنَّ مكفِّرات للذنوب، فقد ثبت في المسند، وسنن الترمذي، ومستدرك الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: " مَا عَلَى الأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِلاَّ كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ البَحْرِ " (حسنه الترمذي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وحسنه الألباني) .

والمراد بالذنوب المكفِّرة هنا أي: الصغائر، لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفِّراتٌ ما بينهنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكبائرُ" فقيد التكفير باجتناب الكبائر؛ لأنَّ الكبيرة لا يُكفِّرُها إلا التوبة.

وفي هذا المعنى ما رواه الترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه: مَرَّ عَلَى شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ
الْوَرَقُ فَضْرَبَهَا بِعَصَاهُ فَتَنَاطَرَ الْوَرَقُ فَقَالَ: «إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ
تُسَاقَطُ دُنُوبَ الْعَبْدِ كَمَا يَتَسَاقَطُ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» (حسنه الألباني).

خامساً: ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أنهن غرس الجنة، روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود،
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ
أَفْرِي أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ
اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ " "

(سنن الترمذي وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة) .

والقيعان جمع قاع، وهو المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء، فيمسكه
ويستوي نباته، كذا في النهاية لابن الأثير ، والمقصود أن الجنة ينمو غراسها سريعاً بهذه الكلمات
كما ينمو غراس القيعان من الأرض ونباتها.

سادساً: ومن فضائلهن: أنه ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام يكثر تكبيره
وتسبيحه وتهليله وتحميده: روى الإمام أحمد، والنسائي في عمل اليوم والليلة بإسناد حسن عن
الله بن شداد قال إن نفرا من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«مَنْ يَكْفِيهِمْ؟» قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا. فَكَانُوا عِنْدَهُ فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا فَخَرَجَ فِيهِ أَحَدُهُمْ فَاسْتَشْهَدَ ثُمَّ
بَعَثَ بَعْثًا فَخَرَجَ فِيهِ الْآخَرُ فَاسْتَشْهَدَ ثُمَّ مَاتَ الثَّلَاثُ عَلَى فِرَاشِهِ. قَالَ: قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ هَؤُلَاءِ
الثَّلَاثَةَ فِي الْجَنَّةِ وَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ وَالَّذِي اسْتَشْهَدَ آخِرًا يَلِيهِ وَأَوَّلُهُمْ يَلِيهِ فَدَخَلَنِي مِنْ
ذَلِكَ فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي
الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله» (صحيح الترغيب والترهيب)

وقد دلّ هذا الحديث العظيم على عظم فضل من طال عمره وحسن عمله، ولم يزل لسانه رطباً
بذكر الله عز وجل.

سابعا: ومن فضائلهنَّ: أن الله اختار هؤلاء الكلمات واصطفاهنَّ لعباده،

ورتب على ذكر الله بهنَّ أجورا عظيمة، وثواباً جزيلاً، ففي المسند للإمام أحمد ومستدرک الحاكم بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد - رضي الله عنهما -: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله اصطفى من الكلام أربعاً: (سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر). فمن قال: (سبحان الله)؛ كتبت له عشرون حسنة، وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال: (الله أكبر)؛ فمثل ذلك، ومن قال: (لا إله إلا الله)؛ فمثل ذلك، ومن قال: (الحمد لله رب العالمين) من قبل نفسه؛ كتبت له ثلاثون حسنة، وحطت عنه ثلاثون خطيئة" (صحيح الجامع)

وقد زاد في ثواب الحمد عندما يقوله العبد من قبل نفسه عن الأربع؛ لأن الحمد لا يقع غالباً إلا بعد سبب كأكلٍ أو شربٍ، أو حدوث نعمة، فكأنه وقع في مقابلة ما أسدي إليه وقت الحمد، فإذا أنشأ العبد الحمد من قبل نفسه دون أن يدفعه لذلك تجدد نعمة زاد ثوابه.

ثامنا: ومن فضائلهنَّ: أنهنَّ جنة لقائلهنَّ من النار، ويأتين يوم القيامة منجيات لقائلهنَّ ومقدمات له، روى الحاكم في المستدرک، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خذوا جنتكم ". قالوا: يا رسول الله! [أمن] عدو [قد] حصر؟ قال: " لا، ولكن جنتكم من النار؛ قولوا: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)؛ فإنهنَّ يأتين يوم القيامة منجيات ومُعَقَّبات، وهُنَّ الباقيات الصالحات (جنتكم) بضم الجيم وتشديد النون؛ أي: ما يسترکم ويقيکم و (مجنَّبات) بفتح النون؛ أي: مقدمات أمامكم. وفي رواية الحاكم "منجيات" بتقديم النون على الجيم. ورواه في "الصغير" من حديث أبي هريرة، فجمع بين اللفظين فقال:

"ومنجيات ومجنَّبات". (قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصححه العلامة الألباني).

ووصفت هذه الكلمات بأنهنَّ الباقيات الصالحات، وقد قال الله - تعالى -:
{ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً } والباقيات أي: التي يبقى ثوابها، ويدوم جزاؤها، وهذا خير أمل يؤمله العبد وأفضل ثواب.

تاسعاً: ومن فضائلهنَّ: أَنَّهُنَّ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ وَلَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يَذْكُرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، فِي الْمَسْنَدِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَسَنَّ ابْنُ مَاجَةَ، وَمُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ؛ التَّسْبِيحُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّحْمِيدُ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا. أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ - أَوْ لَا يَزَالُ لَهُ - مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ ". "

قال البوصيري في زوائد سنن ابن ماجه: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وصححه الحاكم .

فأفاد هذا الحديث هذه الفضيلة العظيمة، وهي أن هؤلاء الكلمات الأربع ينعطفن حول العرش أي: يملن حوله، ولهنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ؛ أي: صوتٌ يشبه صوتَ النحل يذكرن بقائلهنَّ، وفي هذا أعظم حضٍّ على الذِّكْرِ بهذه الألفاظ، ولهذا قال في الحديث: "ألا يحب أحدكم أن يكون له أو لا يزال له من يذكر به". (صححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب)

عاشراً: ومن فضائلهنَّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُنَّ ثَقِيلَاتٌ فِي الْمِيزَانِ، رَوَى النَّسَائِيُّ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ، وَالْحَاكِمُ، وَغَيْرُهُمْ عَنِ أَبِي سَلْمَى رَاعِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ:

"بَخٍ بَخٍ لَخْمَسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: " (لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر)، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ؛ فَيَحْتَسِبُهُ". (رواه النسائي واللفظ له، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم وصححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب) وقوله في الحديث: "بَخٍ بَخٍ" هي كلمة تُقال عند الإعجاب بالشيء وبيان تفضيله.

حادي عشر: ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أَنَّ الْعَبْدَ بِقَوْلِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ صَدَقَةٌ، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ:

"أو ليسَ قد جَعَلَ اللهُ لَكُمْ ما تصدَّقون بِهِ؛ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صدقةً، وِكلِّ تَكْبِيرَةٍ صدقةً، وِكلِّ تحميدةٍ صدقةً، وأمر بالمعروف صدقةً، ونهي عن منكر صدقةً، وفي بضع أحديكم صدقةً قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال:

"أرايتم لو وَضَعَهَا في حَرَامٍ، أَكانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذا وَضَعَهَا في الحلالِ كانَ لَهُ أَجرٌ".
(رواه مسلم وابن ماجة)

(الدُّثُور) بضم الدال: جمع دُثْرٌ بفتحها: وهو المال الكثير.

و (البُضْعُ) بضم الموحدة: هو الجماع؛ وقيل: هو الفرج نفسه. " و ظنَّ الفقراء أن لا صدقة إلا بالمال، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبي ﷺ أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقةً، وذكر في مقدّمة ذلك هؤلاء الكلمات الأربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

ثاني عشر: ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أن النبي ﷺ جعلهنّ عن القرآن الكريم في حقّ من لا يُحسنه، روى أبو داود، والنسائي، والدارقطني، وغيرهم وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا فَعَلَّمَنِي مَا يُجْزئُنِي قَالَ: «قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لِلَّهِ فَمَاذَا لِي؟ قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي». فَقَالَ هَكَذَا بِيَدَيْهِ وَقَبَضَهُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَانْتَهَتْ رِوَايَةُ النَّسَائِيِّ عِنْدَ قَوْلِهِ: «إِلَّا بِاللَّهِ»

قال المحدث أبو الطيب العظيم آبادي في تعليقه على سنن الدارقطني:
(سنده صحيح. وقال الألباني سنده حسن).

فهذه بعض الفضائل الواردة في السنة النبوية لهؤلاء الكلمات الأربع، ، ومن يتأمل هذه الفضائل

المتقدّمة يجد أنّها عظيمةٌ جدًّا، ودالّةٌ على عِظَمِ قدرِ هؤلاء الكلمات، ورفعة شأنهنّ وكثرة فوائدهنّ

وعوائدهنّ على العبد المؤمن، ولعلّ السرّ في هذا الفضل العظيم - والله أعلم - ما ذكر عن بعض أهل العلم أنّ أسماء الله - تبارك وتعالى - كلّها مندرجة في هذه الكلمات الأربع، فسبحان الله يندرج تحته أسماء التنزيه كالقدّوس والسلام، والحمد لله مشتملة على إثبات أنواع الكمال لله - تبارك في أسمائه وصفاته -، والله أكبر فيها تكبير الله وتعظيمه، وأنّه لا يُحصي أحدُ الثناء عليه، ومن كان كذلك ف (لا إله إلا هو) أي: لا معبود حق سواه .

فله ما أعظم هؤلاء الكلمات، وما أجلّ شأنهنّ، وما أكبرَ الخير المترتب عليهنّ، فنسأل الله أن يوفّقنا للمحافظة والمداومة عليهنّ، وأن يجعلنا من أهلّهنّ الذين أسنتهم رطبةً بذلك، إنّه وليّ ذلك والقادر فأوصيكم ونفسي بحفظ اللسان والإكثار من ذكر الله لاسيما هذه الكلمات الأربع

والكيسُ مَنْ دانَ نفسه، وعَمِلَ لما بعد الموتِ، والعاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نفسه هواها، وتمنّى على الله الأمانى ونسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته

وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله محمد .

شهر الله المحرم

* العناصر:-

* خصائص شهر الله المحرم .

* صيام يوم عاشوراء

* التاريخ الهجرى وعلاقته بالهلال .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد؛

عباد الله : أنتم في شهر الله المحرم أحد الأشهر الأربعة الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وهذا الشهر فيه من الفضائل ما ليس في غيره ومن ذلك فضل الصيام فيه فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)) [مسلم]

ومن خصائص هذا الشهر أن فيه فضيلة صيام عاشوراء وهو العاشر من محرم ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية وكان النبي يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزلت فريضة شهر رمضان كان رمضان هو الذي يصومه فترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء أفطره)

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما هذا اليوم الذي تصومونه؟" قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن نصومه،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله وأمر بصيامه"

وعن سلمة بن الأكوع أن النبي صلى الله عليه وسلم : ((أمر رجلاً من أسلم أن أذن في الناس من أكل فليصم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء)) [صحيح الجامع: ٨٥٠]

وعن أبي قتادة أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صيام عاشوراء فقال: ((أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله)) [مسلم].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله : ((لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع))
[رواه مسلم]، مخالفة لليهود،

فاجتهد أيها المسلم في صيام التاسع مع العاشر وإن لم تفعل فصم العاشر في هذا الشهر الحرام
واجتهد فيه بصيام غير عاشوراء كالإثنين والخميس وأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر
والخامس عشر وتزود من الخيرات لتقدم لنفسك زاداً تجده غداً أمامك والله يقول:
{فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره}

واعلموا يا عباد الله أن شهركم هذا شهر نصر وعز لنبي الله موسى عليه السلام وقومه على
فرعون الطاغية المتجبر على رغم كثرة عددهم وعدتهم وخيلائهم فإن الله ينصر أوليائه الداعين
إليه ولا يخذلهم ويجيب رجاءهم قال تعالى:
{إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}

فتفطن أيها المسلم في هذا الشهر وأنت تصلي وتصوم لله وتسارع في الخيرات صائماً مخلصاً
تفطن أنك منصور وأن الله راض عنك يحفظك ويؤيدك واستشعر عندما تكون في طاعة ربك فإن
الله يحبك وسيجزيك أحسن الجزاء لأن الله لا يوفق لطاعته إلا من يحب ولا يهدي إليه إلا من
ينيب، فكم حرم من الخلق من حرم من نعمة الصلاة والزكاة والصيام والحج وأنت فرَضَ اللهُ عليك
بتوقيفه فوهبك هذا الخير من العبادات التي أنت فيها وتأتي إليها مسرعاً حريصاً على مرضاة ربك
فافرح بهذا الخير واحرص عليه ولا تتهاون فيه وخف عليه من الحبوط والرد والنقصان وخف من
سوء الخاتمة واحرص على حسن الختام فإن الأعمال بالخواتيم، قال رسول الله :
((فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه
وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)) [متفق عليه].
وقال تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل
أتينا بها وكفى بنا حاسبين} .

وإن من رحمة الله أن جعل الحساب الشرعي العربي مبنياً على الشهور الهلالية لأن لها علامة
حسية يفهمها الخاص والعام وهي رؤية الهلال في المغرب بعد غروب الشمس فمتى روي الهلال
فقد دخل الشهر المستقبل وانتهى الشهر الماضي فابتداء التوقيت اليومي من غروب الشمس لا من
زوالها فأول الشهر يدخل بغروب الشمس، ولقد كان ابتداء التاريخ الإسلامي منذ عهد أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث جمع الناس سنة ست عشرة أو سبع عشرة من الهجرة فاستشارهم من أين يبدأ التاريخ فقال بعضهم: يبدأ من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم: يبدأ من بعثته وقيل: يبدأ من هجرته وقيل: من وفاته، ولكنه رجح أن يبدأ من الهجرة لأن الله فرق بها بين الحق والباطل فجعلوا مبتدأ تاريخ السنين في الإسلام سنة الهجرة لأنها هي التي كان فيها قيام كيان مستقل للمسلمين وفيها تكوين أول بلد إسلامي يحكمه المسلمون، ثم شاور عمر رضى الله عنه الصحابة من أي شهر يبدأون السنة فقال بعضهم: من ربيع الأول لأنه الشهر الذي قدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة وقال بعضهم: من رمضان، واتفق رأي عمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم على ترجيح البداء بالمحرم لأنه شهر حرام ويلى ذي الحجة ويلى الشهر الذي بايع فيه النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار على الهجرة، فكان أولى الشهور بالأولية شهر المحرم،

عباد الله إن علينا أن نشكر الله على ما يسره لنا من هذا الحساب البسيط الميسر في معرفة التاريخ اليومي الذي يبدأ من الهجرة (هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة) وأن علينا جميعاً فرادى وأمة مسلمة أن نكون أمة متميزة بأخلاقها ورأيها ومعاملاتها تميزاً عن سائر الأمم الكافرة غير المهتدية بهدي الإسلام الطاهر النقي لنكون أمة عدل وخير وأمة صدق مع الله في كل تصرفاتنا ليحصل لنا صلاح أحوالنا مع أنفسنا فنعيش الرضى والطمأنينة والسكينة وانشراح الصدر وقرة العين بالإيمان الصادق ويحصل لنا صلاح أحوالنا مع الناس جميعاً، لأن من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن توكل على الله كفاه ويحصل لنا النصر على الأعداء المقبوحين المرذولين فتعيش الأمة حياة العزة والإباء ويتحقق قول الله تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} فإن الخيرية والرفعة والسؤدد والتوفيق من الله يحصل بالإيمان الصادق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها،

فجددوا أيها المسلمون إيمانكم في بداية عامكم هذا وتوبوا إلى ربكم وصلوا قلوبكم فيه تفوزوا بجنته ورضوانه في الدنيا والآخرة فإن الله يحب المستجيبين لأمره وينصرهم ويرحمهم ويشرح صدورهم ويقوي قلوبهم بالتوكل عليه قال تعالى: {وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون}.

{ تَذْكِيرُ الْأَحْيَاءِ بِخُلُقِ الْحَيَاءِ }

* العناصر:-

* التذكير أو التأكيد على أهمية وفضل خلق الحياء .

* من مظاهر قلة الحياء .

* كَيْفَ يَكُونُ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟

* نَمَازِجُ مِنَ حَيَاءِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا؛ وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ، وَإِنَّ الْقَلْبَ لَيَحْزَنُ، عَلَى قِلَّةِ الْحَيَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِي أَنْحَاءِ الْبِلَادِ.

الْحَيَاءُ خُلُقٌ رَفِيعٌ يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْإِتِّصَافِ بِالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ.

الْحَيَاءُ هُوَ أَسَاسُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَنْبَعُ كُلِّ فَضِيلَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْقَوْلُ الطَّيِّبُ، وَالْفِعْلُ الْحَسَنُ ، الْحَيَاءُ دَلِيلُ الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَسِمَةُ الصَّلَاحِ الشَّامِلِ، وَعُنْوَانُ الْفَلَاحِ الْكَامِلِ.

يَأْتِي الْحَدِيثُ عَنِ الدُّرَّةِ النَّفِيسَةِ «الْحَيَاءُ»، فِي وَقْتٍ تُنْحَرُ فِيهِ الْفَضِيلَةُ، وَتُذْبَحُ فِيهِ الْأَخْلَاقُ مِنَ الْوَرِيدِ إِلَى الْوَرِيدِ، عَبْرَ أَجْهَزَةِ الْفَسَادِ السَّمْعِيَّةِ مِنْهَا وَالْبَصْرِيَّةِ، الَّتِي تَنْسِفُ الْحَيَاءَ نَسْفًا، وَتُدَمِّرُهُ تَدْمِيرًا، فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُّ!

تَعْرِيفُ الْحَيَاءِ

• الْحَيَاءُ شَرَعًا: خُلُقٌ يَكْفُ الْعَبْدَ عَنِ ارْتِكَابِ الْقَبَائِحِ وَالرَّدَائِلِ، وَيَحْتَنُ عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ، وَيَمْنَعُهُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الْحَقِّ، وَهُوَ مِنَ أَعْلَى مَوَاهِبِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ.

فَضَائِلُ الْحَيَاءِ :

أَوَّلًا الْحَيَاءُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ:

الحياء كله خير ولا يأتي إلا بخير، ففي الصحيحين عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ». وفي رواية لمسلم: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» قَالَ أَوْ قَالَ «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ» ، وأخرج الدارقطني والبيهقي عن قُرَّةِ بْنِ إِيَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ عِنْدَهُ الْحَيَاءَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ الْحَيَاءُ مِنَ الدِّينِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ» (صحيح الترغيب للألباني)

ثَانِيًا: الْحَيَاءُ إِيْمَانٌ :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «الْحَيَاءُ وَالْإِيْمَانُ قُرْنَا جَمِيْعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ». رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

الْحَيَاءُ وَالْإِيْمَانُ مَقْرُونَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ إِلَّا جَمِيْعًا؛ لِاسْتَوَائِهِمَا فِي الْحَثِّ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ، وَالزَّجْرِ عَنِ كُلِّ شَرٍّ وَقَبِيْحٍ مِنَ الْفُحْشِ وَالْفَوَاحِشِ، وَالْكَذِبِ وَالْفُجُورِ وَالْآثَامِ. فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْمَرْءِ رُفِعَ مِنْهُ الْآخَرُ. وَهَذَا مُشْعِرٌ بِعَظَمَةِ الْحَيَاءِ، وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ!

في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «الإيمان بضغ وسبعون أو بضغ وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» يعني: شعبة عظيمة ومهمّة من الإيمان، يدلُّ على ذلك: التَّنْبِيْهُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ بَقِيَّةِ الشُّعْبِ ، وَإِنَّمَا خَصَّهُ هُنَا بِالذِّكْرِ، «لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مِثْلَ الْإِيْمَانِ مِنْ ارْتِكَابِ مَا لَا يَحِلُّ، وَمَا يُعَدُّ مِنَ الْفُحْشِ وَالْفَوَاحِشِ»، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعْظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيْمَانِ» .

ثَالِثًا: الْحَيَاءُ أَبْهَى زِينَةً :

إِنَّ الْوَجْهَ الْمَصُونَّ بِالْحَيَاءِ، كَالْجَوْهَرَ الْمَكْتُونِ فِي الْوِعَاءِ، وَكَاللَّائِلِيَّ فِي الْبِحَارِ، وَكَاللُّبَابِ فِي الثَّمَارِ، وَلَنْ يَتَزَيَّنَ إِنْسَانٌ بِزِينَةٍ، هِيَ أَبْهَى وَلَا أَجْمَلُ مِنَ الْحَيَاءِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » رواه الترمذي وحسنه الألباني .

فَلَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، إِلَّا زَيْنُهُ وَجَمَلُهُ وَحَسَنَتُهُ؛ وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا شَانُهُ وَعَابَهُ وَقَبَحَهُ، وَجَرَّ إِلَيْهِ الْعَيْبَ وَالْفُجْحَ ، الْحَيَاءُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ. وَالْفُحْشُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ.

رَابِعًا: الْحَيَاءُ خُلِقَ يُحِبُّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

عَنْ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ [لِي] النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ» قُلْتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ» (رواه مسلم)

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَارِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِّيْرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِئِرْ» (صحيح أبي داود للألباني)

عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَيْنِ» أخرجه الترمذي والبيهقي وحسنه الألباني .

خَامِسًا: الْحَيَاءُ يَقُودُ إِلَى الْجَنَّةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ؛ وَالْبَدَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ». (صحيح الترغيب والترهيب)

* «الْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ»: هُوَ أَهْلُ الْإِيمَانِ فِي الْجَنَّةِ. وَمَعْنَى الْبَدَاءِ فِي النَّارِ: هُوَ أَهْلُ الْبَدَاءِ فِي النَّارِ.

* «الْبَدَاءُ»: الْفُحْشُ فِي الْقَوْلِ، وَالسُّوءُ فِي الْخُلُقِ. وَالْكَلامُ الْبِدْيِيُّ: الْكَلامُ الْقَبِيحُ.

* «مِنَ الْجَفَاءِ»: أَي أَهْلُهُ التَّارِكُونَ لِلْوَفَاءِ، التَّابِتُونَ عَلَى غَلَاظَةِ الطَّبَعِ وَقَسَاوَةِ الْقَلْبِ. وَهَذَا يُورِثُ تَرَكَ الصَّلَةِ وَالْبِرِّ.

سَادِسًا: الْحَيَاءُ خُلُقُ الْإِسْلَامِ:

الْحَيَاءُ هُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ وَأَجْلَاهَا، وَأَعْظَمِهَا قَدْرًا، وَأَكْثَرِهَا نَفْعًا ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»

(أخرجه ابن ماجة و حسنه الألباني) وَمَعْنَاهُ: أَنَّ كُلَّ دِينٍ لَهُ طَبَعٌ وَسَجِيَّةٌ؛ وَإِنَّ طَبَعَ هَذَا الدِّينِ،
وَسَجِيَّتَهُ الَّتِي بِهَا قِوَامُهُ: الْحَيَاءُ ، وَذَلِكَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ حُسْنُ الْخُلُقِ.

إِذَا فَالْحَيَاءُ تَرَكَ الْقَبَائِحَ وَالسَّيِّئَاتِ، وَاتَّيَانِ الْمَحَاسِنِ وَالْخَيْرَاتِ، وَهَذَا خُلُقُ الْإِيمَانِ ، وَلَوْلَا هَذَا
الْخُلُقُ لَمْ يُكْرَمَ ضَيْفٌ، وَلَمْ يُؤْفَ بِوَعْدٍ، وَلَمْ تُؤَدَّ أَمَانَةٌ، وَلَمْ تُقْضَ حَاجَةٌ، وَلَمْ تُصَلِّ رَحِمٌ؛ وَلَا بُرٌّ
وَالِدٌ، وَلَا رُحِمَ صَغِيرٌ، وَلَا يُقَرَّ كَبِيرٌ؛ وَلَا تَحْرَى الرَّجُلُ الْجَمِيلُ فَآثَرَهُ، وَالْقَبِيحُ فَتَجَنَّبَهُ، وَلَا سَتَرَ لَهُ
عُورَةً، وَلَا امْتَنَعَ مِنْ فَاخِشَةٍ .

سَابِعًا: الْحَيَاءُ شَرِيعَةٌ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ :

بَيَّنَّ ﷺ أَنَّ الْحَيَاءَ لَمْ يَزَلْ مُسْتَحْسَنًا فِي شَرَائِعِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَوَّلِينَ، وَأَنَّهُ لَمْ يُرْفَعْ وَلَمْ يُنْسَخْ فِي جُمْلَةٍ
مَا نَسَخَ اللَّهُ مِنْ شَرَائِعِهِ، بَلْ تَدَاوَلَهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ، وَتَوَارَثُوهُ عَنْهُمْ، وَتَوَاصَوْا بِهِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ ؛ عَنْ
أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنْ مِمَّا أُدْرِكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى :
إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » (رواه البخاري)

رَفَعَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَجْلَاهَا، وَعَظَّمَ شَأْنَهَا ؛ لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِخَيْرِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ
فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ » (رواه البخاري)

ثَامِنًا: الْحَيَاءُ مَانِعٌ مِنْ فِعْلِ الْمَعَاصِي :

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أُدْرِكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى:
إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» (رواه البخاري)

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الرَّادِعَ عَنِ الْقَبِيحِ إِنَّمَا هُوَ الْحَيَاءُ، وَبِغِيَابِ الْحَيَاءِ: تَتَدَمَّرُ الْأَخْلَاقُ، وَتُرْتَكَبُ الْفَوَاحِشُ
وَالْمُؤَبَقَاتُ

لِذَلِكَ تَرَاهُ يَرْضَى بِتَبَرُّجِ زَوْجَتِهِ وَابْنَتِهِ وَأَخْتِهِ، وَمُخَالَطَتِهِنَّ لِلرِّجَالِ، وَدُخُولِهِنَّ عَلَيْهِمْ، وَدُخُولِهِمْ عَلَيْهِنَّ؛ حَتَّى عَظُمَ الشَّرُّ، وَعَظُمَ الْبَلَاءُ، وَهَكَذَا النَّاسُ يَعِيشُونَ فِي حَيَاةٍ وَسَعَادَةٍ، مَا دَامَ فِيهِمْ خُلُقُ الْحَيَاءِ؛ وَإِذَا فَقَدُوهُ فَقَدَ هَلَكُوا، فَلَيْسَ فِيهِمْ وَلَا فِي حَيَاتِهِمْ خَيْرٌ. فَلَا حَيَاةَ إِلَّا بِحَيَاءٍ.

كَيْفَ يَكُونُ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ؛ قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلِتَذْكَرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى؛ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ، تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ)

نَعَمْ! هَذَا هُوَ الْإِسْتِحْيَاءُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ نَبِيُّ الْإِسْلَامِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ الْإِنْسَانُ حَوَاسَّهُ، يَحْفَظَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَى فُحْشٍ، وَغِنَاءٍ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مُحَرَّمٍ أَوْ شَهْوَةٍ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِقَبِيحٍ أَوْ مُنْكَرٍ؛ وَكَذَلِكَ يَحْفَظُ بَطْنَهُ فَلَا يُدْخِلُ إِلَيْهِ حَرَامًا، وَيَحْفَظُ فَرْجَهُ فَلَا يَرْتَكِبُ فَاحِشَةً. وَيَذْكَرُ الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ، فَيَسْتَعِدُّ لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَاتَّرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، فَاتَّرَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا. وَهَكَذَا يَكُونُ قَدْ تَحَقَّقَ بِمَعْنَى الْإِسْتِحْيَاءِ؛ الَّذِي هُوَ مُبَالِغَةٌ فِي الْحَيَاءِ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي؟ قَالَ: «أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَسْتَحْيِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ»

(قَالَ الْأَلْبَانِيُّ صَحِيحٌ انْظُرْ حَدِيثَ رَقْمِ: ٢٥٤١ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ.)

يَا لَهَا مِنْ وَصِيَّةٍ: مَا أَجْلَهَا وَأَعْلَاهَا! لِمَنْ وَفَّقَ لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا.

فَمِنْ وَقَارِ اللَّهِ: أَنْ يَسْتَحْيِيَ الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى «فِي الْخُلُوةِ، أَعْظَمَ مِمَّا يَسْتَحْيِي مِنَ أَكَابِرِ النَّاسِ» .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَاطِرٌ إِلَيْكَ، مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ، فَقُلْ لِنَفْسِكَ: لَوْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِي قَوْمِي يَرَانِي، لَأَسْتَحَيْتُ مِنْهُ، فَكَيْفَ لَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثُمَّ لَا أَمُنُ تَعَجِيلَ عُقُوبَتِهِ وَكَشْفَ سِتْرِهِ؟!

فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ حَيْثُ كَانَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَاسْتَحْضَرَ ذَلِكَ فِي خُلُوتِهِ، أَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ تَرَكَ الْمَعَاصِي فِي السِّرِّ.

قَالَ الْفَحْطَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَإِذَا خَلُوتَ بِرَبِيَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ --- وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ .

فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا --- إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَدْرُ؟ قَالَ: «أَحْفَظُ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرِيَنَّهَا أَحَدٌ، فَلَا يَرِيَنَّهَا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًّا؟ قَالَ: «اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَى مِنْهُ مِنَ النَّاسِ»
(رواه ابو داود وحسنه الألبانى)

فَقَدَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّجُلَ: أَنْ يَسْتَرَّ عَوْرَتَهُ، وَإِنْ كَانَ خَالِيًّا لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، تَأَدُّبًا مَعَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاسْتِحْيَاءً مِنْهُ؛ فَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَيَاءُ الْإِنْسَانِ مِنْهُ تَعَالَى، إِذَا رَأَهُ حَيْثُ نَهَاهُ؟! لَمَّا غَابَ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، تَجَرَّؤُوا عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ!

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ، بَيْضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؛ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ، إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»
(صحيح الترمذي والترهيب)

فَهُؤُلَاءِ قَامُوا بِأَعْمَالٍ ظَاهِرَةٍ، وَاعْتَنَوْا بِالْمَظَاهِرِ، وَجَعَلُوهَا زَاهِيَةً؛ وَأَهْمَلُوا سَرَائِرَهُمْ، وَبَوَاطِنَهُمْ، وَجَعَلُوهَا خَاوِيَةً، فَلَمْ يَرَأِقِبُوا اللَّهَ فِي خَلْوَاتِهِمْ.

أَفَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ يَخْلُونَ بِمَحَارِمِ اللَّهِ وَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَوَاقِعِ الْإِبَاحِيَّةِ، وَيُشَاهِدُونَ الْأَفْلَامَ الْخَلِيْعَةَ، أَنْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَيُحْصَلُ فِيهِ مَا فِي الصُّدُورِ. يَوْمَ يَدُومُ فِيهِ النَّدَمُ، لِمَنْ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ الْمُذْنِبُ: رَبِّ ارْجِعْونَ. فَيُقَالُ لَهُ: هَيْهَاتَ، فَاتَ مَا فَاتَ، وَكَانَ مَا كَانَ، وَأَتَى مَا هُوَ أَتَى، وَقَدْ بَعُدَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ الْمَسَافَاتُ.

نَمَازِجُ مِنْ حَيَاءِ السَّلَفِ الصَّالِحِ :

انظر رحمك الله إلى هذه النماذج في الحياء!

أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: «يُرْخِيْنَ شِبْرًا» فَقَالَتْ: إِذَا تَنَكَّشِفُ أَقْدَامَهُنَّ! قَالَ «فَيْرْخِيْنُهُ ذِرَاعًا، لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ» (صحيح النسائي للألباني)

يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «يُرْخِيْنَ شِبْرًا»، وَلَكِنَّهَا تَقُولُ: إِنَّ النِّسَاءَ لَا تُطِيقُ هَذَا، لِأَنَّ أَقْدَامَهُنَّ سَتَنُكَّشِفُ عِنْدَ الْمَشِيِّ، فَلَمْ تَرْضَ أَنْ يُرْخِيَ الثَّوْبَ شِبْرًا يُجْرَجُ فِي الْأَرْضِ؛ وَلَكِنَّ فَنِيَّاتِ هَذَا الزَّمَانِ رَضِيْنَ بِهَذَا الشَّبْرِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ شِبْرًا يُجْرَجُ فِي الْأَرْضِ، لَكِنَّهُ شِبْرٌ فَوْقَ الرُّكْبَتَيْنِ، الْمَرْأَةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَيَاءِ، فَإِذَا فَدَّتِ الْمَرْأَةُ حَيَاءَهَا؛ فَفَدَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَفَعَلَتْ كُلَّ شَيْءٍ. وَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَهَا مِنْ ظَهْرِهَا.

الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَنْتِ النَّبِيَّةُ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ - الصَّرْعُ: عِلَّةٌ فِي الْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ تَصْحَبُهَا غَيْبُوبَةٌ وَتَشْنُجٌ فِي الْعَضَلَاتِ، وَقَدْ تَكُونُ بِدُخُولِ الْجَنِّيِّ فِي بَدَنِ الْمَصْرُوعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) [البقرة: ٢٧٥] -، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ - أَي: خَشِيْتُ أَنْ تَظْهَرَ عَوْرَتَهَا وَهِيَ لَا تَشْعُرُ -، فَادْعُ اللَّهَ لِي - أَي: بِالْعَافِيَةِ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ -؛ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكَ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا (متفق عليه)

حَرَصَتْ عَلَى عَدَمِ التَّكْشِفِ وَسَتَرَ الْعَوْرَةَ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ مَا لَا يَخْفَى.

فَهَذِهِ الْمَرْأَةُ سَوْدَاءُ، لَكِنَّ قَلْبَهَا أَبْيَضُ. قَدْ تَصَبَّرُ عَلَى الْمَرَضِ، وَلَكِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَلَى خَدَشِ الْحَيَاءِ، وَجَرَحِ الْعَفَافِ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِهَا.

أَلَمْ يَأْنِ لِلنِّسَاءِ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْعَصِيبِ: أَنْ يَفْتَدِينَ بِهَذِهِ الْمَرْأَةِ، وَيَتَرَبَّبْنَ عَلَى الْعَفَافِ وَالْحَيَاءِ؟!

وهذا الصّدّيق رضي الله عنه : الذي خطب في المسلمين يوماً فقال: " أيها الناس استحيوا من الله، فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم أريد الغائط، إلا وأنا مقنع رأسي حياءً من الله تعالى [مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص ٢٠] .

وهذا عثمان رضي الله عنه، يقول عنه الحسن البصري رحمه الله: إنه ليكون في البيت والباب عليه مغلق ، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه .

عثمان رضي الله عنه الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم :

[ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة] (السلسلة الصحيحة للألباني).

وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول: إني لأغتسل في البيت المظلم، فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياءً من ربي عز وجل ، وعن قتادة قال: كان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم، تجاذب وحنى ظهره حتى يأخذ ثوبه ولا ينتصب قائماً .

وها هو ابن عباس رضي الله عنه يحكي عنه عكرمة فيقول: إنه لم يدخل الحمام إلا وحده، وعليه ثوب صفيق ، وكان يقول : إني أستحي الله أن يراني في الحمام متجرداً .

رزقنا الله وإياكم خلق الحياء وجعلنا من أهل محاسن الأخلاق ..

بدعة الاحتفال بالمولد النبوي

العناصر :-

* تذكيراً بحقيقة محبة النبي صلى الله عليه وسلم.

* متى أحدثت بدعة الاحتفال بالمولد النبوي؟

* هل عرف السلف هذه البدعة؟

إِنَّ فِيمَا شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ تَعْظِيمِ رَسُولِهِ وَوَسَائِلِ مَحَبَّتِهِ مَا يَغْنِي عَنْ كُلِّ وَسِيلَةٍ تُبْتَدَعُ وَتُحَدَّثُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاسْتَغْنُوا بِمَا شَرَعَهُ اللهُ عَمَّا لَمْ يَشْرَعْهُ، وَبِمَا سَنَّهَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ تَعَالَى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

حقيقة محبة النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد أحبّ الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً عظيماً، وعظموه واقتدوا به حباً حقيقياً وليس ادعاءً، يقول المشركون لخبيب بن عدي رضي الله عنه وقد أسروه ثم صلبوه ثم عذبوه عذاباً شديداً؛ يقول له أحدهم: أتحب لو أن محمداً مكانك؟ فيقول: والله، إني لا أتمنى أن أكون في أهلي آمناً مطمئناً ويصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوكة.

وكيف لا يحبوه وقد علموا منزلة حبه من الإيمان وقد نقلوا عن قوله عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) متفق عليه؛ وللحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن هشام قال: كنامع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال عمر: فإنه الآن لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الآن يا عمر)؛ ومما يدل على هذا من كتاب الله عز وجل قوله تعالى:

{ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } ؛ ففي هذه الآية توعد الله من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بقوله:

{ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } ومعلوم أن الله لا يتوعد أحداً بمثل هذا الوعيد الشديد إلا على ترك واجب، أو فعل محرم ؛ هكذا كان عِظْمُ حُبِّ الصَّحَابَةِ لِلرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وترجموا ذلك الحب باتِّباع سنته وتطبيق أوامره واجتناب نواهيه ، وعندما ضَعُفَ نور النبوة في حياة الأمة وقلَّ تمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها ضَعُفَ هذا التعظيم في حياة الأمة، وحُرِّفَت محبةُ النبي صلى الله عليه وسلم حين حاول بعض الغيورين جهلاً أو غفلة جبر هذا الضعف بإحداث بعض المظاهر والاحتفالات التي لم يعرفها ولم يقمها خيرٌ من عِظْمِ المصطفى صلى الله عليه وسلم، وضاعف المأساة أن سوقَ الجهل في الأمة أصبحت رائجةً وأهمَلَ العلماء وهُمِّشَ دورهم، فكان الأثر على أمة الإسلام واضحاً في انتشار البدع ورواجها .

أول من ابتدع هذه البدعة :

ظهر ذلك جلياً عندما برز الاتجاه الرافضي المتمثِّلُ في الدولة العبيدية في القرن الرابع الهجري والتي تُسمَّى بهتناً الدولة الفاطمية وقاموا بإقامة هذه الموالد فإن أول من سن وابتدع الاحتفال بالموالد هم الرافضة ملوك الدولة الفاطمية التي انتسبت كذباً وزوراً إلى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، ففي القرن الرابع الهجري ابتدع الخليفة الفاطمي العبيدي فكرة الاحتفال بالموالد، وأحدث مع المولد النبوي أربعة موالد أخرى: مولد لعلي، وآخر لفاطمة، وثالث للحسن والحسين ورابع لمن يحكم من العبيديين، ثم توسعوا في إحداث الموالد والمناسبات البدعية الأخرى.

عباد الله: إن هذه الدولة التي أحييت وابتدعت المولد النبوي دولة شيعية باطنية ضالة منحرفة عن عقيدة المسلمين بإجماع المحققين من أهل العلم، عطلت الإسلام وجحدت السنن والآثار، وفي ولايتهم أرغم المصريون على سب أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، ومنع الناس من صلاة التراويح، ومن السعي لطلب الرزق نهارا وانتشر الرعب والقتل حتى أكل الناس في زمانهم بعض البهائم والحيوانات ، وهذه

الدولة يرى بعض العلماء -ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- أنها تتحدر من أصل يهودي أو مجوسي، ولم تعرف الأمة هذا الموالد قبل هذه الدولة فهل هي أهلٌ للاقتداء بها.

أيها المسلمون: في يوم المولد المزعوم يتم الاحتفال بنظام وتقليد معين، حيث تقام فيه شعائر مخصوصة وتلقى أشعار تتضمن الشرك الصريح والكذب الواضح وعند مقاطع معينة من هذا الشعر يقوم الحاضرون قياماً على أرجلهم زاعمين أن النبي صلى الله عليه وسلم يدخل عليهم في هذه اللحظة فيمدون أيديهم للسلام عليه.

ويوضع كأس للنبي صلى الله عليه وسلم ليشرّب منه حين قدومه إليهم، ويجعلون مكاناً خاصاً ليجلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم بجانب كبيرهم الذي يدعي أنه من نسله، ثم بعد ذلك يبدأ التذكير بقراءة سيرته وحياته صلى الله عليه وسلم ويصاحب القراءة هز للراس والجسم شمالاً ويميناً، وربما اجتمع الرجال والنساء جميعاً مع مشاركة للمعازف وآلات الموسيقى في مثل هذه الاحتفالات، فهل بمثل هذه المنكرات والمخالفات يكون إحياء ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم؟

عباد الله: إن أصحاب هذه الموالد البدعية يتشبهون من حيث لا يشعرون بأعداء الله النصارى حيث كان في البلاد التي جاور فيها المسلمون النصارى كالشام ومصر، يحتفل النصارى بعيد ميلاد المسيح في يوم مولده، وميلاد أسرته، فسرت تلك البدعة إلى المسلمين، قال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى: "كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيداً أكبر" أ.هـ ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التشبه بأعداء الدين فقال صلى الله عليه وسلم:

((من تشبه به بقوم فهو منهم))
(أخرجه الإمام احمد وأبو داوود وحسنه الحافظ ابن حجر والألباني رحمه الله)

لقد كان أعداء الله من الكفار والمنافقين وغيرهم يفرحون بإقامة مثل هذه البدع؛ لأنهم يعلمون أنه متى أحدثت في الدين بدعة ماتت مقابلها سنة من سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأوضح نموذج لذلك ما ذكره الجبرتي من أن نابليون أمر الشيخ البكري بإقامة الاحتفال بالمولد، وأعطاه ثلاثمائة ريال فرنسي، وأمده بتعليق الزينات، بل وحضر بنفسه الحفل من أوله إلى آخره، ويعلق الجبرتي على اهتمام الفرنسيين بالاحتفال بالموالد عموماً بما

رأه الفرنسيون في هذه الموالد من الخروج عن الشرائع، واجتماع النساء، وإتباع الشهوات والرقص وفعل المحرمات... أهـ

أيها المسلمون: إن البعض إذا أبصر هنا أعداد المحتفلين داخله الشك وقال لو كان منكر ما فعله الناس كلهم فيقال: إن فعل الكثير من الناس لا يدل على أنه حق بل قد ذم الله سبحانه الكثرة في القبر أن فقــــــــــــــــال ســــــــــــــــبحانه: (وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) [الأنعام: ١١٦] الآية، قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: "ولما كانت البدع والمخالفات وتواطأ الناس عليها صار الجاهل يقول: ولو كان هذا منكراً لما فعله الناس".

ثم نقل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم: "إن من اعتقد أن أكثر هذه العادات المخالفة للسنن مجمع عليها بناء على أن الأمة أقرتها ولم تنكرها فهو مخطئ في هذا الاعتقاد، فإن لم يزل ولا يزال في كل وقت من ينهى عن عامة العادات المحدثة المخالفة للسنة ولا يجوز دعوى إجماع عمل بلد أو بلاد من بلدان المسلمين فكيف بعمل طوائف منهم... الخ كلامه رحمه الله تعالى.

هل عرف السلف هذه البدعة ؟

عباد الله: إن النبي صلى الله عليه وسلم وهو صاحب الشأن لم يحتفل بمولده في حياته، بل ولم يأمر بذلك أحداً من الناس وهو المبلغ للدين، ولم يمت صلى الله عليه وسلم حتى أكمل الله به الدين ، قال الإمام مالك رحمه الله: " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة" لأن الله تعالى قال: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) الآية [المائدة: ٣] فما لم يكن يوماً ديناً، فلا يكون اليوم ديناً" انتهى كلامه رحمه الله.

لقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم المثل الأعلى في حبهم للحبيب صلى الله عليه وسلم؛ فما هو عمر بن العاص رضي الله عنه -كما في صحيح مسلم- يقول: "ما كان أحد أحب إلي من رسول صلى الله عليه وسلم، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له ولو سألت أن أصفه ما أطق لأني لم أكن أملاً عيني منه"، هذا مثال واحد لحب الصحابة

رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ؛ فلماذا لم يحتفلوا بمولده، ثم أليس في عدم احتفالهم اتهام لهم عند من يرى الاحتفال بأنهم لا يحبون النبي ﷺ .

وقَصُرَ محبة النبي ﷺ على مجرد كلماتٍ مدائحٍ يتغنى بها المنشدون في الموالد والمناسبات من غير أن يكون لهذه الكلمات أي أثر من عمل واتباع لمن يزعمون محبته وتعظيمه وإقامة المولد له، وكلما اشتد الجهل والغفلة زاد الغلو والانحراف الذي حذر منه المصطفى ﷺ، ومع الزمن ينتشر هذا الحب الزائف والغلو المنظم بين قطاعاتٍ عريضة في الأمة، وتتخذ هذه الحفلاتُ والموالدُ أشكالاً ووسائلَ شعبيةً ومجالاً للترفيه والترويح، وقد يشتمل بعضها على عدد من الأمور المنكرة كاختلاط الرجال بالنساء والغناء أو وربما شركاتٍ كالاستغاثة بالنبي ﷺ أو ادعاء حضوره وما يسمى بالحضرة النبوية.

أيها المسلمون : هذا مبدأ حدوث الاحتفال وإحيائه بمناسبة ذكرى المولد النبوي، فهو إنما حدث متأخرًا عن القرون الثلاثة الفاضلة والقرن مائة سنة، وقد قال النبي ﷺ في هذه القرون الفاضلة: « خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والله أعلم أذكر الثالث أم لا ثم يظهر قوم يشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويخونون ولا يؤتمنون » (من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وصححه إسناده الألباني)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم: (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم) قال: "ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاةً للنصارى في ميلاد عيسى وإما محبةً للنبي وتعظيمًا له من اتخاذ مولد النبي عيدًا مع اختلاف الناس في تاريخ مولده فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع، ولو كان خيرًا محضًا أو راجحًا كان السلف أحق منا بفعله، فإنهم كانوا أشد محبة وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كانت محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته ظاهرًا وباطنًا ونشر ما بُعث به؛ والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حرصاء على هذه البدع تجدهم فاترين في أمر الرسول مما أمروا بالانشاط فيه، وإنما هم بمنزلة من يحمل مصحفًا ولا يقرأ فيه ولا يتبعه) انتهى كلامه رحمه الله.

إخوة الإسلام : جمهور العلماء على أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، أما تاريخ ذلك اليوم فقال البعض ولد في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول، وقيل بل ولد في اليوم التاسع منه، والتاريخ الذي رجحه المحققون من أهل التاريخ والسير أنه الثامن أو التاسع من شهر ربيع الأول إن عدم معرفة تاريخ المولد بدقّة لأكبر دليل على أن الصحابة ومن بعدهم من القرون الفاضلة لم يقيموه، ولم يكن دليل صدقهم في حب النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به مولدًا يصنعونه لرسول الله أو ذكرى يهيمون بها أيامًا وليالي ثم ينسون سيرته وسنته وهدية بعد ذلك، لقد كان دليل صدقهم وإيمانهم ومحبتهم هو اتباعهم لسنته، { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: ٢١]. بل وجعل الله اتباع رسوله برهانًا على محبته جل وعلا كما قال جل وعلا: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل عمران: ٣١]. فالمحبة تقتضي الاتباع وليس الإحداث والابتداع، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله أحد ركائز دين الإسلام وأساسياته ومن أعظم مسلمات الشريعة، { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر: ٧].

عباد الله : أما وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهي محل اتفاق بين أهل العلم حيث توفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة النبوية، وعلى هذا يقال للمحتفلين بالمولد النبوي: إن احتفالكم في يوم الثاني عشر من ربيع الأول إساءة أدب وجفوة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ كيف تحتفلون بيوم وفاته صلى الله عليه وسلم؛ فإن الأمة ما أصيبت بأعظم من فقده صلى الله عليه وسلم.

كثيرًا ما يوجد عددٌ من المنكرات في الأمة أسبابها الغلو، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو؛ ولو كان هذا الغلو في مقامه صلى الله عليه وسلم، كالأستغاثة به وطلب المدد منه، أو اعتقاد أنه يعلم الغيب، وربما كان ذلك على سبيل المدح في القصائد وغيرها للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» [صحيح ابن حبان: ٣٨٧١]، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» [صحيح البخاري: ٣٤٤٥].

إخوة الإسلام : إننا في الوقت ذاته الذي ننكر فيه الغلوّ في رسول الله صلى الله عليه وسلم ونستنكر تلك الممارسات المبتدعة التي اختُزل فيها حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم؛ مع كل ذلك فإننا نستنكر كذلك الجفاء في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه، نستنكر الجفاء في محبته صلى الله عليه وسلم وعدم معرفة فضله على الأمة وأنه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، هداهم إلى الصراط المستقيم، ولم يترك سبيلاً لهدايتهم إلا سلكه، ولا علماً إلا بذله.

فمعرفة حقه على كل مسلم واجب عظيم، لا ينبغي تركه وإهماله، وكما أن الغلو مردود فكذاك الجفاء مرفوض بكل صورته وأشكاله، وإن من أعظم وصاياه صلى الله عليه وسلم لأُمَّته كانت في التمسك بالدين وعدم الإحداث فيه، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة» [صحيح الجامع: ٢٥٤٩]. إنَّ فيما شرعه الله تعالى من تعظيم رسوله ووسائل محبته ما يغني عن كل وسيلة تُبتدع وتُحدث، فاتقوا الله عباد الله، واستغنوا بما شرعه الله عما لم يشرعه، وبما سنَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عما لم يسنه. قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

أسباب تحصيل البركة

العناصر :-

- * أهمية البركة.
- * مفهوم البركة.
- * وسائل تحقيق البركة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

كم من الناس من يشكوا قلة البركة ، ويظن أنه أحيط به ، فلا بركة في المال ، ولا بركة في الرزق ، ولا بركة في الولد ، ولا بركة في الزوجة ، ولا بركة في الدار ، ولا بركة في العمر ، ولا بركة في الوقت وهكذا ، ومن الناس من على النقيض من ذلك ، فالبركة في كل شؤون حياته ، بركة في العمر والوقت ، وتنعم في المال ، وخير في الأولاد وهكذا دواليك .

والبركة : هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء؛ فإنها إذا حلت في قليل كثرته، وإذا حلت في كثير نفع، ومن أعظم ثمار البركة في الأمور كلها استعمالها في طاعة الله - عز وجل -.

والبركة إذا أنزلها الله - عز وجل - تعم كل شيء: في المال، والولد، والوقت، والعمل، والإنتاج، والزوجة، والعلم، والدعوة، والدابة، والدار، والعقل، والجوارح، والصديق ولهذا كان البحث عن البركة مهما وضروريا!

كيف نستجلب البركة؟

أولاً: تقوى الله - عز وجل - مفتاح كل خير، قال تعالى:

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) [الأعراف: ٩٦]

ولو أن أهل القرى صدّقوا رسلهم واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، لفتح الله لهم أبواب الخير من كل وجه، ولكنهم كذبوا، فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم ومعاصيهم.

إذاً ما هي التقوى؟

لقد عرف جمع من أهل العلم التقوى بتعريفات مختلفة في المعنى ، متوافقة في المضمون .

والتقوى : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية ، بفعل الطاعات ، واجتناب المنهيات .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : التقوى : العمل بالتنزيل ، والخوف من الجليل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

قال تعالى : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } [الطلاق ٢-٣] .
فالتقوى تزيد في بركة العمر والرزق ، ويحصل المتقي مطلوبه منها .

ثانياً / قراءة القرآن الكريم :

قال تعالى : { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } [الأنعام ٩٢] .

وقال تعالى : { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ } [ص ٢٩] .

فتلاوة القرآن الكريم من جملة الأعمال الصالحة النافعة المباركة بإذن الله تعالى ، فهل نحن قمنا بقراءته وتدبره وتعقله والتفكر في آياته ؟

الجواب : أن أكثر الناس اليوم انساقوا وراء مغريات الحياة ، واهتموا بسفاسفها وتركوا معاليها ، ومن أعظم ما صدهم الشيطان عنه ، هجر كتاب الله تعالى قراءة وتدبراً ، وغفلوا أن القرآن العظيم يأتي شفيعاً لأصحابه وقرائه وحفظته يوم القيامة ، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه " [رواه مسلم] .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ ، يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهْوَةَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، قَالَ : فَيُشْفَعَانِ " [رواه أحمد والطبراني - صحيح الجامع] .

بل معظم الناس اليوم لا يعرفون القرآن إلا في رمضان ، فنسأل الله السلامة والعافية ، وبئس القوم الذين لا يعرفون القرآن إلا في رمضان ، وقد جاء التهديد والوعيد من الله في ذلك ، في قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ : { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } [الفرقان ٣٠] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف ، يحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة " [أخرجه مسلم] .

ثالثاً / الصدق في البيع والشراء :

كم من التجار من إذا أتيته لتشتري منه شيئاً ، حلف لك أيماناً مغلظة أنه اشترى السلعة بكذا _ وهو كاذب _ وربحه فيها كذا _ وهو كاذب _ فهذا محقق البركة والعياذ بالله . ومن التجار من يقول أن السلعة أصلية وهي ليست أصلية ، بل مقلدة ، ومنهم من يغش في بيعه وشرائه ، فأولئك بركة بيعهم محققة والعياذ بالله .

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

" الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُ بَيْعِهِمَا " [متفق عليه] .

فمن كذب في بيعه وشرائه ، فهذا محقق البركة ، والعياذ بالله ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُرَكِّبُهُمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : حَابُوا وَخَسِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ ، وَالْمَنَّانُ ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ " [أخرجه مسلم]

وكم نجد من الباعة من يؤكد للمشتري أن السلعة صناعتها في دولة كذا _ وهو كاذب _ وربما حلف بالله كذباً وزوراً أن السلعة اشتراها بكذا ، ومربحه فيها كذا ، وهو كاذب ، فهل هذا يسعى للبركة ، أم لمحقتها ؟

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ " [أخرجه مسلم]

[قال الترمذي : حديث حسن وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب] .

فما أن أراد أن يستجلب البركة في بيعه وشرائه ، فليصدق في قوله ، وليبين ما فيها من عيب فالرزاق هو الله تعالى ، فإن صدق مع الناس زادت بركة تجارته ، ورزقه الله من حيث لا يعلم .

رابعاً/ البكور في كل أمر :

عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم بارك لأمتي في بكورها " [أخرجه أحمد - صحيح الترغيب والترهيب] .

فالبكور فيه خير وبركة ، ومن أعظم البكور ، أن تصلي صلاة الفجر في وقتها مع جماعة المسلمين ، ولا تؤخرها إلى ما بعد طلوع الشمس ، فليس ذلك ببكور ، بل ذلك تأخير وقتور وضمور .

ومن البركة أن تعمل بتجارتك وأعمالك باكراً ، وتسافر باكراً ، فكل ذلك مجلبة للبركة ، وفوز بحصول بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم .

عن صخر الغامدي رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اللهم بارك لأمتي في بكورهم " قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية بعثها أول النهار ، وكان صخر رجلاً تاجراً ، وكان لا يبعث غلمانة إلا من أول النهار ، فكثرت ماله حتى كان لا يدري أين يضع ماله " [أخرجه أحمد وأخرجه الترمذي وقال : حديث حسن] ؛ فهذه بركة في المال والرزق بسبب البكور فما أعظم البكور في العمل ، لبركة الرزق والراتب المترتب على ذلك ، فكم من الناس من حصل الملايين وأكثر جراء البكور في العمل ، وعلى العكس من ذلك ، فكم من الناس من خسر بسبب التكاثر ، وعدم الاستيقاظ مبكراً ، فلا يأتي عمله إلا متأخراً ، حتى نزع البركة من ماله والعياذ بالله ؛ فليكن البكور هو همك ودأبك ، لتنال الدعوة المحمدية ، والبركة النبوية .

خامساً / الاستخارة :

قيل : ما خاب من استشار ، وما ندم من استخار ، فالإنسان قبل أن يُقدم على أمر ما ، كشراء سيارة ، أو شراء أرض أو منزل ، أو أقدم على الزواج من امرأة أو أسرة معينة ، فإنه ينبغي له ألا يقدم على ذلك حتى يستشير أهل الخبرة من الناس في ذلك ، ليدلوه على الطريق الصواب ، وإن كان رأيهم يحتمل الخطأ والصواب ، لكن يسأل الثقات الأثبات ؛ وتعالى الله عن عباده علواً كبيراً ، فليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، ينبغي لكل مسلم ألا يقدم على أمر حتى يستخير

الله تعالى ، فعند الله الخيرة ، وعنده الخير لعباده ، وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، فإذا أراد المسلم أن يقدم على أمر من الأمور ، فعليه بالاستخارة ، يستخير رب الأرض والسماء ، فهو سبحانه أعلم بما ينفع عباده ، وهو سبحانه الهادي إلى أفضل الطرق ، وأقوم السبل .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : " كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الاستخارةَ في الأمورِ كما يُعَلِّمُنَا السورةَ من القرآنِ يَقُولُ : " إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - ثُمَّ يَسْمِيهِ بِعَيْنِهِ - خَيْرٌ لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - قَالَ : أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْني عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ " [أخرجه البخاري] .

فهل عملنا بوصية رسولنا وحبیبنا صلى الله عليه وسلم ، أم أننا تخلينا عن هذه السنة العظيمة ؟

الحقيقة أن الوقائع والشواهد تدل على أننا لم نحظ بالعمل بهذه السنة المحمدية ، ولذلك ترى النكبات والنكسات التي يقع فيها كثير من المسلمين اليوم ، وبما أن حديث الساعة هو الأسهم وما ينتابها من هبوط حاد ، سبب أزمت قلبية ، وجلطات دماغية ، وتخلفات عقلية ، وأمراض نفسية وأسهم في شيوع الجريمة ، وكثرت السرقات نسأل الله العفو والسلامة ؛ بل بسبب التخلي عن هذه السنة ، والحرص كل الحرص على دخول بوابة الأسهم ، لجني المال بطرق سهلة ميسرة محرمة أو شبه محرمة ، كانت النتيجة كما نرى ونسمع من قصص واقعية سببت انهيار في القيم ، وتفسخ في الأخلاق ؛ وماذا نخسر عندما نستخير ربنا ، ونسأله بعلمه ومن فضله أن يدلنا على الخير وطرقه ، والبر وأبوابه ؟ لن نخسر شيئاً ، بل سيكون لنا الفضل والسبق والخير وفتح أبواب الرزق ، وإغداق الأموال الحلال ، كل ذلك بسبب استخارة الله تعالى ، وسؤاله الهداية لطريق الصواب ، وتجنب طريق الخطأ والضلال ؛ ولكن الشيطان يبأس أن يُعبد في جزيرة العرب ، ولكنه رضي بالتحريض على الحرام بكل أنماطه وطرقه ، فانتبهوا أيها المسلمون ، وخذوا حذرکم من عدوكم .

والدعاء من أجلّ العبادات ، وأرفعها منزلة عند ملك الأرض والسموات ، فالدعاء هو العبادة ، والدعاء صلة بين العبد وربّه ، فيجب على العبد ألا يغفل عن هذا الباب العظيم ، والحبل الممدود بين الله وبين عبده

■ الدعاء لمن أكل عندهم بالبركة :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ قَالَ : نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى أَبِي قَالَ : فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَاماً وَوَطْبَةً ، فَأَكَلَ مِنْهَا ، ثُمَّ أَتَى بِتَمْرٍ فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إصْبَعَيْهِ ، وَيَجْمَعُ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى قَالَ شُعْبَةُ : هُوَ ظَنِّي ، وَهُوَ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِلْقَاءُ النَّوَى بَيْنَ الإصْبَعَيْنِ ، ثُمَّ أَتَى بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ ، ثُمَّ نَاولَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ ، قَالَ فَقَالَ أَبِي ، وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ : ادْعُ اللَّهَ لَنَا ، فَقَالَ : " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ ، وَاعْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ " [أخرجه مسلم] .

[وَوَطْبَةً طَعَامٌ مَخْلُوطٌ مِنَ التَّمْرِ وَالسَّمَنِ وَالْإِقْطِ]

■ الدعاء بعد الطعام :

عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع مائدته قال : " الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه ، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا " [متفق عليه] .

■ بيان بركة الطعام :

عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : " إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا ، فَلْيَمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَىٍّ وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ ، وَلَا يَمْسَحَ يَدَهُ بِالْمُنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبِرَكَةُ " [أخرجه مسلم]

وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَاماً لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ ، قَالَ : " إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَمِطْ عَنْهَا الأَدَى ، وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ " وَأَمَرَنَا أَنْ نَسَلُتَ الْقُصْعَةَ ، قَالَ : " فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبِرَكَةُ " [أخرجه مسلم] .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ " [رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذي ، واللفظ له : حديث حسن صحيح] .

ولفظ أبي داود وغيره : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَأْكُلُ مِنْ أَعْلَى الصَّحْفَةِ ، وَلَكِنْ لِيَأْكُلَ مِنْ أَسْفَلِهَا ، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَنْزِلُ مِنْ أَعْلَاهَا " .

■ الدعاء لمن رأى شيئاً جميلاً : العين حق ، فمن رأى شيئاً يعجبه قدم البركة من الله لصاحبه ، ليبارك له فيما رزقه الله ، ولا يضره شيء بعد ذلك بإذن الله تعالى

عن أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حُنَيْفٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ : اغْتَسَلَ أَبِي ، سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ بِالْحَرَّارِ ، فَتَزَعُ جَبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ يَنْظُرُ ، قَالَ : وَكَانَ سَهْلٌ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِدِّ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِدَدَ عَذْرَاءَ ، قَالَ : فَوَعِكَ سَهْلٌ مَكَانَهُ ، وَاشْتَدَّ وَعْكَهُ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَ : أَنَّ سَهْلًا وَعِكَ ، وَأَنَّهُ غَيْرُ رَاحٍ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَأَتَاهُ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ سَهْلٌ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ عَامِرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ ؟ أَلَا بَرَكْتَ ، إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ ، تَوْضَأُ لَهُ " فَتَوْضَأُ لَهُ عَامِرٌ ، فَرَأَى سَهْلٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ " [أخرجه أحمد ومالك واللفظ له وصححه الألباني في مشكاة المصابيح]

■ الدعاء للزوجين :

عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي جُسَيْمٍ ، فَقَالُوا بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ ، فَقَالَ : لَا تَقُولُوا هَكَذَا ، وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ ، وَبَارِكْ عَلَيْهِمْ " [أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني رحمه الله] .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَأَ الْإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ قَالَ : " بَارَكَ اللَّهُ لَكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ " [أخرجه الدارمي وابن حبان واللفظ لهما ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح] .

سابعا / السحور :

السحور هو ما يأكله الصائم قبل طلوع الفجر الثاني ليتقوى به على صيام النهار ، وهو سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا شك أن في اتباعه عليه الصلاة والسلام أجراً وفضلاً وخيراً وبركة .

قال عليه وسلم : " تسحروا فإن في السحور بركة " [متفق عليه] .

وقال عليه الصلاة والسلام : " السحور أكله بركة ، فلا تدعوه ، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين " [أخرجه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٦٨٣] .

ثامنا / السلام على الأهل :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم ، يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك " [رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، وقال الألباني : حسن لغيره] .

البدعة

العناصر :-

- * معرفة معنى وحقيقة البدعة .
- * التحذير من البدع .
- * معرفة أنواع البدع في الدين .
- * بيان حكم البدعة في الدين .
- * هل هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة ؟

تعريف البدعة ، أنواعها وأحكامها

١ - تعريف البدعة :

البدعة في اللغة : مأخوذة من البدع، وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [البقرة: ١١٧] . أي مبدعهما وخالفهما على غير مثال سبق ، قوله تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٩] . أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل. ويقال: ابتدع فلان بدعة، يعني: ابتداء طريقة لم يسبق إليها.

والبدعة في الشرع :

طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.

التحذير من البدع :

قد أكمل الله لهذه الأمة دينها، وأتمّ النعمة فلا حاجة لها إلى الابتداع في دين الله والزيادة فيه مما لم يشرعه الله قال الله - عز وجل -:

{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }

وقال سبحانه وتعالى :- { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَآلَا كَلِمَةٌ الْفَصْلُ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

وقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من البدع، وصرح بأن كل بدعة ضلالة، وأنها مردودة على صاحبها ،
ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال:
((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)) ، وفي رواية لمسلم:
((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ))

وحذر السلف رضي الله عنهم من البدع ومن أمثلة ذلك :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

(قَالَ: مَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِنْ عَامٍ، إِلَّا أَحَدَثُوا فِيهِ بَدْعَةً، وَأَمَاتُوا فِيهِ سُنَّةً، حَتَّى تَحْيَا الْبَدْعَةُ،
وَتَمُوتَ السُّنَّةُ)

وَعَنْ لُقْمَانَ بْنِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ:

(أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَا أَحَدَّثْتُ أُمَّةً فِي دِينِهَا بَدْعَةً إِلَّا رُفِعَ بِهَا عَنْهُمْ سُنَّةٌ. وَعَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: مَا
أَحَدَّثْتُ قَوْمٌ بَدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا، ثُمَّ لَمْ يُعِدْهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفِي بَعْضِ
الْأَخْبَارِ: لَا يُحَدِّثُ رَجُلٌ بَدْعَةً إِلَّا تَرَكَ مِنَ السُّنَّةِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا)

قول ابن مسعود - رضي الله عنه - : ((اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُمْ))

(رواه الدارمي في سننه (٦٩/١) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨١/١) ، وقال: رواه
الطبراني في الكبير رجال الصحيح)

وقال معاذ بن جبل - رضي الله عنه - : ((إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن،
حتى يأخذها المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قائل أن
يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره؛ فإياكم وما
ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة!)

(المصدر : كتاب السنة موقوفاً على معاذ)

وقال سفيان الثوري رحمه الله : (البدع أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها، والمعصية يتاب منها)

قال الإمام الشافعي في الأثر الصحيح (من استحسَن فقد شرع) .

وسئل الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : (الرجل يصوم ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل)

(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨ / ٢٣١) .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (أن تحذير الأمة من البدع والقائلين بها واجب باتفاق المسلمين) (مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣١)) . فموقف السلف من البدع صريح وواضح، وهو التحذير من البدع والحرص الشديد على التمسك بالسنة والاعتصام بها .

والابتداع على قسمين:

ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة، وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة.

وابتداع في الدين ، وهذا مُحَرَّم؛ لأن الأصل فيه التوقيف، قال - صلى الله عليه وسلم - :

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية:

«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» . (أخرجه البخاري ومسلم)

٢ - أنواع البدع: البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية، كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة، وسائر الفرق الضالة، واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات، كالتعبّد لله بعبادة لم يشرعها .

وأقسام البدع في العبادات :

القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث

صلاة غير مشروعة أو صيامًا غير مشروع أصلًا، أو أعيادًا غير مشروعة كأعياد الموالد

وغيرها.

القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة؛ بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مُطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

القسم الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع، كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

٣ - حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها:

كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة، لقوله - صلى الله عليه وسلم -:

«وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» أخرجه أبو داود وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة، فمنها ما هو كفر صراح، كالطواف بالقبور تقريباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكأقوال غلاة الجهمية والمعتزلة. ومنها ما هو من وسائل الشرك، كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية، ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس، وترك الزواج واعتزال النساء.

تنبيه: من قَسَمَ البدعة في الدين إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فهو مخطئ ومخالف لقوله -

صلى الله عليه وسلم -: «فإن كل بدعة ضلالة» رواه مسلم؛ لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة؛ بل هناك بدعة حسنة، قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين: (فقوله - صلى الله عليه وسلم -: «كل بدعة ضلالة» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين.

وهو شبيه بقوله - صلى الله عليه وسلم - : « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » ، فكل من أحدث شيئاً ونسبهُ إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين رجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة) انتهى.

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر - رضي الله عنه - في صلاة التراويح: نعمت البدعة هذه ، وقالوا أيضاً: إنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف، مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة

الحديث وتدوينه ؛ والجواب عن ذلك : أن هذه الأمور لها أصل في الشرع، فليست مُحدثة، وقول عمر: (نعمت البدعة) يريدُ البدعة اللغوية لا الشرعية، فما كان له أصل في الشرع يُرجعُ إليه، إذا قيل: إنه بدعة، فهو بدعةٌ لغَةً لا شرعاً؛ لأن البدعة شرعاً: ما ليس له أصل في الشرع ، وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوباً متفرقاً، فجمعه الصحابة - رضي الله عنهم - في مصحف واحد حفظاً له ؛ والتراويح قد صلاها النبي - صلى الله عليه وسلم - بأصحابه ليالي، وتخلفَ عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم، واستمرَّ الصحابةُ - رضي الله عنهم - يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعد وفاته، إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على إمام واحد كما كانوا خلف النبي - صلى الله عليه وسلم - وليس هذا بدعة في الدين وكتابة الحديث أيضاً لها أصل في الشرع، فقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه؛ لما طلب منه ذلك، وكان ابن عمر وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - رضي الله عنه - يكتبان الحديث في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان النهي في بادئ الأمر خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه وإن كان قد أذن للبعض بالكتابة ، فلما تُوفي - صلى الله عليه وسلم - انتفى هذا المحذور؛ لأن القرآن قد تكامل، وضبط قبل وفاته - صلى الله عليه وسلم - فدوّن المسلمون الحديث بعد ذلك حفظاً له من الضياع، فجزاهمُ الله عن الإسلام والمسلمين خيراً؛ حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - من الضياع وعبث العابثين .

لماذا نحب رسول الله ﷺ؟!؟

العناصر :-

* محبة الرسول ﷺ من الإيمان.

* مظاهر محبة الله لرسوله ﷺ .

* ثمار محبة النبي ﷺ .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد

محبة الرسول ﷺ من الإيمان :

إن محبة الرسول ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان يتوقف على وجوده وجود الإيمان، فلا يدخل المسلم في عداد المؤمنين الناجين حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه بل ومن الناس أجمعين وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) (متفق عليه) وللحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال عمر : فإنه الآن لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ : (الآن يا عمر) ، وفي الحديث المتفق عليه عن أنس أيضا قال قال رسول الله ﷺ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) ؛ ومما يدل على هذا من كتاب الله عز وجل قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} ؛ ففي هذه الآية توعدهم الله من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بقوله: { فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } ومعلوم أن الله لا يتوعد أحدا بمثل هذا الوعيد الشديد إلا على ترك واجب، أو فعل محرم ، وتتعدد دوافع الحب وتتنوع بحسب

تنوع المحبوبات واختلافها، فمن الحب ما تدفع إليه البواعث الحسية، أو العقلية، أو القلبية وذلك لوجود صفات قامت بالمحبوب واتصف بها من كمال، أو جمال، أو إحسان، أو غير ذلك من الدواعي والأسباب الباعثة على الحب. وإذا نظرنا إلى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فسنجد أن البواعث عليها متنوعة ومتعددة، وذلك لكثرة ما خصه الله به من أنواع الفضائل، وما أجراه على يديه من الخير لأمة ونسأل أنفسنا لماذا نحب الرسول صلى الله عليه وسلم؟!
والجواب على ذلك لهذه الأمور التي اجتمعت فيه صلى الله عليه وسلم :

أولاً: أن حب المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم تابع لربه الله عز وجل:

وذلك لأن محبة الله تعالى هي أساس المحبة الشرعية، لأن الله هو المحبوب لذاته، وكل ما سواه مما يحب شرعاً فمحبه تابعة لمحبة الله عز وجل. وذلك كمحبة أنبيائه ورسوله وملائكته وعباده الصالحين، وكذلك محبة الأعمال والأخلاق التي يحبها الله ويرضاها فمحبة ذلك كله تبع لمحبة الله عز وجل وهي من لوازم محبته فإن محبة الله توجب محبة ما يحبه الله؛ وعلى ذلك فمن أحب الله أحب رسوله صلى الله عليه وسلم لأجل حب الله عز وجل، فإن الرسول إنما يجب لأجل الله، ويطاع لأجل الله، كما قال الله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } .

ثانياً: أن الله تعالى أحبه واختاره من خلقه فحب ما يحبه الله من لوازم محبته:

ذلك أن الله اصطفاه على الناس برسالاته، وجعله خاتم النبيين وأفضل الخلق أجمعين وحبيب رب العالمين، كما روى مسلم بسنده عن واثلة بن الأسقع قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل. واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» (صحيح مسلم)؛ وأخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض» قال ابن حجر:

(المراد بالقبول في حديث الباب: قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله) وإذا كان هذا الشأن في عامة عباد الله فأولى بهذه المحبة وذلك القبول أفضل الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد تحقق هذا وأضعاف أضعافه، إذ لم تعرف الدنيا رجلا فاضت القلوب بحبه وفدته النفوس بكل عزيز وغال مثلما عرف ذلك عن رسول الله ﷺ حتى أولئك الذين ناصبوه العداة لم يملكوا أنفسهم من سيطرة الإعجاب برسول الله ﷺ وإجلاله ؛ فرسول الله ﷺ أهل لأن يُحب، لحب الله له واختياره لهذا الخير العميم.

✽ ومظاهر حب الله لرسوله ﷺ كثيرة جدا منها :

• اختياره واصطفاه لمقام النبوة والرسالة :

إذ لا يختار الله لهذا الأمر إلا من أحبهم وارتضاهم كما قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} وقال تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}. وقال تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا - وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا}

• تشريفه ﷺ بإنزال القرآن عليه:

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}

• إكرامه ﷺ بشرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره وإعلاء قدره :

قال تعالى:

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ - وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ - الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ - وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} .

• تكريمه بصلاة الله وملائكته عليه في الملائكة الأعلى إلى يوم الدين

كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} والصلاة من الله تتضمن الثناء عليه ومن الملائكة الدعاء له ﷺ.

• تشريفه بمقام الخلعة ، وهي أرفع درجة من المحبة :

ولم ينلها من الأنبياء سوى إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام أن رسول الله ﷺ خليل الرحمن كما كان إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ؛ أخرج مسلم بسنده عن جندب قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا

الا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» .

• إن الله جعله رحمة للعالمين الإنس والجن :

رحمة للمؤمنين منهم بالعز في الدنيا والنجاة في الآخرة، وللكافرين بإمهالهم وتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة. كما قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } .

• ما خصه الله به وفضله على سائر الأنبياء:

كإحلال الغنائم له، ونصرته بالرعب مسيرة شهر كما في الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»

• تشریفه وتكريمه يوم القيامة بكونه صاحب المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى:

في أن يقضي الله بين الخلائق. وكونه أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وأول من تفتح له أبواب الجنة إلى غير ذلك من وجوه التكريم لنبينا

صلى الله عليه وسلم والتي تعد من أقوى الدوافع إلى محبته.

ثالثا: كمال رأفته ورحمته بأمتة وحرصه على هدايتها وإنقاذها من الهلكة:

حتى كادت أن تذهب نفسه أسفا على قومه ألا يكونوا مؤمنين كما قال تعالى: { لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ

أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } وقال الله تعالى في وصف رسوله صلى الله عليه وسلم : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } ، وقال تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } ، وقال تعالى: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } وقوله { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ؛ وقد جاءت أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى. منها ما أخرجه البخاري ومسلم

بسنديهما عن عبد الله بن زيد قال: «لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفات قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم رسول الله (فقال: يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة

فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله آمن. قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله آمن. قال: لو شئتم قلتم: جئنا كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم؟ لولا الهجرة، لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها. الأنصار شعار، والناس دثار. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»، ومنها ما أخرجه البخاري ومسلم - واللفظ له.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته. وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تبين حب النبي صلى الله عليه وسلم وشفقته على أمته ورحمته بها؛ وجدير بمن كان بمثل هذه الشفقة والرحمة أن تتوجه قلوب المسلمين بكليتها إلى محبته وأن تجعل من حبه وسيلة قربي وزلفى إلى الله عز وجل.

رابعاً: كمال نصحه لأمته وهدايته لها وإحسانه إليها:

إذ دل الأمة على كل خير يقربها إلى ربها، وحذرها من كل شر يجلب لها الذل والخزي في الدنيا والعذاب والنكال في الآخرة، وإذا كان الإنسان بفطرته يحب من نصحه أو أحسن إليه مرة أو مرتين فما بالنا بالناصح الأمين البر الشفيق على أمته والذي كانت حياته كلها نصحا لأمته وتعلماً لها وتزكية لأرواحها وأبدانها. وهو الذي هدى البشرية - بإذن ربها - إلى الصراط المستقيم بعدما كانت تعيش في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، ولولا رحمة الله للناس ببعثته ورسالته لعاش الناس في بحار الظلمات تتقاذفهم الأمواج فلا يجدون إلى ساحل الهداية سبيلاً يقول الله عز وجل:

{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}

وقال تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ - فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}؛ لأجل هذا كانت المنة ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم عظيمة، والنعمة بذلك جسيمة. ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من أدرك الفرق بين الهدى والضلال وبين الجاهلية والإسلام وبين رضى الله وسخطه؛ فمن عرف هذا الفرق وأدركه إدراكاً يقينياً علم عظم هذه النعمة التي لا تعادلها نعمة على ظهر الأرض، وأحب الرسول صلى الله عليه وسلم بكل قلبه حبا صادقا يترجم إلى الاتباع وعدم الابتداع ويحرص على العمل

بطاعته، والسعي في إظهار دينه، ونصر ما جاء به، ومجاهدة ما خالفه. و هو التصديق فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتفاء عما عنه نهى وزجر، والموالاتة والمعاداة والحب والبغض لأجله، وتحكيمه وحده، والرضى بحكمه، ويؤثر محبة الله ورسوله على ما سواهما، ولأجل هذا كان الصحابة أشد الخلق حبا لرسول الله ﷺ، لأنهم عاشوا الجاهلية وعابنوها عن قرب فلما جاء الإسلام وأدركوا الفرق بين الظلمات والنور ازداد تمسكهم بالإسلام واشتد حبهم على مر الأيام لنبيهم ﷺ أما عظيم إحسانه إلى أمته : فلأنه كان سبب انتفاع هذه الأمة بحياتها وأرواحها وأبدانها.

بل كان هو السبب - بإذن ربه - في حياة هذه الأمة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}، وإذا كان الإنسان يحب أبويه لكونهما وسيلة وجوده، ولأنهما منحاه الرعاية والعناية حتى استطاع شق طريقه في الحياة، فرسول الله أولى بذلك الحب لأنه كان سبب انتفاع الإنسان بحياته وبدنه وروحه. فلولا الإيمان به واتباع دينه لكان الإنسان في درجة الحيوانات أو أخط كما كانت حال الجاهلية قبل أن تشرق عليهم شمس النبوة وهكذا الشأن في كل جاهلية قديما وحديثا.

خامسا: ما خصه الله به من كريم الخصال ورفيع الأخلاق مما ميزه على سائر الخلق أجمعين:
ولو لم تكن له معجزة إلا أخلاقه العظيمة لكفت دليلا على صدق نبوته وسمو تعاليم رسالته. والمطالع في سيرته ﷺ ومواقفه المتعددة يجد أن رسول الله ﷺ قد حاز من كل خلق أرفع، وتسمن ذروة الأخلاق

حتى سما بها، فكان كما وصفه ربه بقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} .

ثمار محبة النبي ﷺ :

يجني المسلم من تحقيق محبة رسول الله ﷺ الثمار النافعة في الدنيا والآخرة منها :

• **يتحصل المسلم على محبة الله تعالى :** قال الله تعالى
{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين))
(متفق عليه)

• يتحصل المسلم على كمال وحلاوة الإيمان :

في الحديث المتفق عليه عن أنس أيضا قال قال رسول الله ﷺ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) ؛ وللحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال عمر : فإنه الآن لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ : (الآن يا عمر).

• يتحصل المسلم على مرافقته ﷺ في الآخرة :

قوله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) فإن طاعته ﷺ دليل محبته .
ولحديث ابن مسعود قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال المرء مع من أحب) (متفق عليه).

• يتحصل المسلم جميع ثمار طاعته ﷺ إجمالا : والتي هي علامة صدق محبته ﷺ ومنها قبول عمل المحب لرسوله ﷺ ؛ وحصوله على الهداية والرحمة ومغفرة الذنوب والفوز في الدارين .

- * التعرف على اعتقاد العرب في صفر قبل الإسلام.
- * التذكير بخطر التشاؤم في الدنيا والآخرة .
- * التنبيه على بعض البدع في شهر صفر .
- * تذكر بعض الأحداث والغزوات التي وقعت في صفر .
- * التحذير من بعض الأحاديث المكذوبة في صفر .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

شهر صفر هو أحد الشهور الإثني عشر الهجرية وهو الشهر الذي بعد المحرم قال بعضهم : سَمِّي بذلك لإصفار مَكَّة من أهلها (أي خلَّوها من أهلها) إذا سافروا فيه ، وقيل : سَمَّوا الشهر صفراً لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفراً من المتاع (أي يسلبونه متاعه فيصبح لا متاع له) .

ما ورد فيه عند العرب في الجاهلية :

كان للعرب في شهر صفر منكران عظيمان : الأول : التلاعب فيه تقديماً وتأخيراً الثاني : التشاؤم منه . أيها المسلمون عباد الله من المعلوم لديكم أن الله تعالى خلق السنة وعدة شهورها اثنا عشر شهراً ، وقد جعل الله تعالى منها أربعة حراماً ، حرَّم فيها القتال تعظيماً لشأنها ، وهي : ذو القعدة ، ذو الحجة ، المحرم ، ورجب

ومصدق ذلك في كتاب الله قوله تعالى : ((إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)) (التوبة : ٣٦)

وقد علم المشركون ذلك ، لكنهم كانوا يؤخرون فيها ويقدمون على هواهم ، ومن ذلك : أنهم جعلوا شهر صفر بدلاً من المحرم ! وكانوا يعتقدون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض ، ويجعلون المحرم صفرأ ، ويقولون : إذا برأ الدبر ، وعفا الأثر ، وانسلخ صفر : حلت العمرة لمن اعتمر . (رواه البخارى ومسلم) .

أيها المسلمون : عباد الله و أما التلاعب فيه تقديمًا وتأخيرًا فهو النسيء وله عدة صور

الأولى : التأخير فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جنادة بن عوف بن أمية الكنانى كان يوافق الموسم كل عام ، فينادى : إن صفرأ العام الأول حلال ، فنحرمه عاما ، ونحلّه عاما ، وفي لفظة : أنه كان يقول : إنا قدمنا المحرم وأخرنا صفرأ ، ثم يأتي العام الثانى فيقول : إنا حررنا صفرأ وأخرنا المحرم ؛ فهو هذا التأخير .

الثانية : الزيادة : قال قتادة : عمد قوم من أهل الضلالة فزادوا صفرأ في الأشهر الحرم ، فكان يقوم قائمهم في الموسم فيقول : ألا إن آلهتكم قد حرمت العام المحرم ، فيحرمونه ذلك العام ، ثم يقوم في العام المقبل فيقول : ألا إن آلهتكم قد حرمت صفرأ فيحرمونه ذلك العام ، ويقولون : الصفران . وروى ابن وهب ، وابن القاسم عن مالك نحوه قال : كان أهل الجاهلية يجعلونه صفرين ، فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا صفر)) .

الثالثة : التبديل وهو تبديل الحج : قال مجاهد رحمه الله بإسناده : ((إنما النسيء زيادة في الكفر)) قال : حجوا في ذي الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ، ثم حجوا في صفر عامين ، فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتى وافت حجة أبى بكر رضى الله عنه .

ثم حج النبي في ذي الحجة ، فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح في خطبته : ((وإن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا إلى قوله ما حرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض ، إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان)) (رواه البخارى) .

أما التشاؤم من شهر صفر فقد كان مشهوراً عند أهل الجاهلية ولا زالت بقاياها في بعض الناس فمنهم من لايسافر فى صفر ومنهم من لايتزوج ولايحتفل بمناسباته السعيدة فى شهر صفر وهذا وقع فى محذور شرعى من الطيرة والتشاؤم .

فمن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من
المجنوم كما تفر من الأسد)) رواه البخاري ومسلم قال الشيخ ابن عثيمين : و (صفر)
فُسِّر بتفاسير :

الأول : أنه شهر صفر المعروف ، والعرب يتشاءمون به .

الثاني : أنه داء في البطن يصيب البعير ، وينتقل من بعير إلى آخر .

الثالث : صفر : شهر صفر ، و المراد به النسيء الذي يُضل به الذين كفروا ، فيؤخرون تحريم
شهر المحرم إلى صفر ، يحلونه عاماً و يحرمونه عاماً . و أرجحها شهر صفر ، حيث كانوا
يتشاءمون به في الجاهلية .

و الأزمنة لا دخل لها في التأثير وفي تقدير الله عز وجل ، فهو كغيره من الأزمنة يُقدَّر فيه الخير
والشر والمسلم يعيش في هذه الحياة متوكلاً على الله في أمر الدين والدنيا أقدامه فوق الأرض وقلبه
متوكلاً على الله مؤمناً بقدره أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه يعيش وقد
جمع بين الأسباب الأرضية والعلوية متفانلاً مطمئناً مقتفياً أثر النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يعجبه الفأل
الحسن مبتعداً عن خلق الجاهلية التي كانت تحركها في الحرب والسلم ، الطيرة حيث يتشاءمون
من أصوات الطيور ومن بعض الأيام ويستقسمون بالأزلام وهذه اعتقادات تصل بصاحبها الى
اليأس والقنوط في الدنيا وتسلط الشيطان وأعدائه على العبد وربما كانت سبباً لعذاب الله في الدنيا
والآخرة والتطير محرّم، وشرك أصغر ويستثنى منه الفأل الحسن، وهو: أن يكون الإنسان قد
عزم على أمر معين فيرى أو يسمع أمراً حسناً من غير قصد له، فيسر به ويستبشر به، ويزيده
ذلك اطمئناناً بأن ما كان قد عزم على فعله سيكون فيه خير وبركة بمشيئة الله تعالى، ويعظم
رجاؤه في الله تعالى في تحقيق هذا الأمر، من غير اعتماد على هذا الفأل، فهذا حسن، فالفأل حسن
ظن بالله تعالى، ورجاء له، وباعث على الاستعانة به، والتوكل عليه، وعلى سرور النفس،
وانشراح الصدر، وهو مسكن للخوف، باعث للأمال، والطيرة على النقيض من ذلك: فهي سوء
ظن بالله، وتوكل على غيره، وقطع للرجاء، وتوقع للبلاء، وقنوط للنفس من الخير، وهو مذموم
وباطل شرعاً وعقلاً.

وقد وردت أدلة كثيرة تدل على بطلان التطير، وتحريمه، ومن ذلك ما ثبت عن ابن مسعود رضي
الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الطيرة شرك " (صحيح الجامع).

ومما يدل على تحريم الطيرة أيضاً وإباحة الفأل: وقوله صلى الله عليه وسلم: " لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل الحسن " قالوا: وما الفأل؟ قال: " الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم ". (رواه البخاري ومسلم).

والفأل الحسنُ يَخْتَلَفُ عَنِ الطَّيْرَةِ مِنْ أَوْجُهٍ:

(١) الفأل الحسنُ لا يُقصدُ؛ بِخِلافِ الطَّيْرَةِ فَقد تُقصدُ.

(٢) الفأل الحسنُ لَيْسَ مُؤثراً فِي العَمَلِ أوِ المَنعِ عَلى صَاحِبِهِ، فَهُوَ مُجَرَّدُ بُشْرَى، بِخِلافِ الطَّيْرَةِ فَهِيَ مُؤثَرَةٌ فِي العَمَلِ .

(٣) الفأل الحسنُ لا يُعتمدُ عَلَيْهِ فِي القَلْبِ، فَيَبْقَى القَلْبُ مُتَعَلِّقاً بِاللَّهِ تَعَالَى ، بِخِلافِ الطَّيْرَةِ؛ فَإِنَّ المُتَطَيِّرَ يَعمَدُ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا.

(٤) الفأل الحسنُ نَاجِمٌ عَن نَظْمٍ وَبَيَانٍ يَدُلَّانِ عَلى الاسْتِثْبارِ؛ بِخِلافِ الطَّيْرَةِ فَلا يَسَبُّ لَهَا سَبَبٌ صَحيحٌ مِنْ نَظْمٍ أوِ بَيَانٍ.

و بعض الناس إذا انتهى من عمل معين في اليوم الخامس و العشرين - مثلاً - من صفر أرخ ذلك وقال : انتهى في الخامس والعشرين من شهر صفر الخير ، فهذا من باب مداواة البدعة بالبدعة ، فهو ليس شهر خير و لا شر ؛ و لهذا أنكر بعض السلف على من إذا سمع البومة تتعق قال : (خيراً إن شاء الله) ، فلا يقال خير و لا شر ، بل هي تتعق كبقية الطيور .

ما يوجد في هذا الشهر من البدع و الاعتقادات الفاسدة عند بعض الناس

ومن البدع التي حذر منها العلماء في بعض البلاد نافلة تصلى يوم الأربعاء آخر شهر صفر وقت صلاة الضحى أربع ركعات ، بتسليمة واحدة تقرأ في كل ركعة : فاتحة الكتاب وسورة الكوثر سبع عشرة مرة ، وسورة الإخلاص خمسين مرة ، والمعوذتين مرة مرة ، تفعل ذلك في كل ركعة ، وتسلم ، و تسلم وتشرع في قراءة قوله تعالى:

((الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) ثلاثمائة وستين مرة ، وتختتم بسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين وتتصدق بشيء من الخبز إلى الفقراء ، وخاصية هذه الآية لدفع البلاء الذي ينزل في الأربعاء الأخير من شهر صفر . ويقولون إنه ينزل في كل سنة ثلاثمائة وعشرون ألفاً من البليّات

وكل ذلك يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر ، فيكون ذلك اليوم أصعب الأيام في السنة كلها ، فمن صلى هذه الصلاة بالكيفية المذكورة : حفظه الله بكرمه من جميع البليّات التي تنزل في ذلك اليوم

و النافلة المذكورة لا يعلم لها أصلاً من الكتاب ولا من السنّة ، ولم يثبت لدينا أنّ أحداً من سلف هذه الأمة وصالحي خلفها عمل بهذه النافلة ، بل هي بدعة منكورة .

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) .
فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»
(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

و من نسب هذه الصلاة و ما ذُكر معها إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم :
فقد أعظم الفرية ، و عليه من الله ما يستحق من عقوبة الكذّابين . اهـ .

ومن البدع التي يعتقدها بعض الناس :

كتابة آيات السلام كـ ((سلام على نوح في العالمين)) إلخ في آخر أربعاء من شهر صفر ثم يضعونها في الأواني و يشربون و يتبركون بها و يتهادونها لاعتقادهم أن هذا يذهب الشرور ، و هذا اعتقاد فاسد ، و تشاؤم مذموم ، و ابتداع قبيح يجب أن يُنكره كل من يراه على فاعله .

ما حدث في هذا الشهر من غزوات وأحداث :

وبعض المسلمين لا يحدث سفراً أو زواجا في هذا الشهر مع أن النبي صلى الله عليه وسلم سافر وتزوج في شهر صفر .

(١) قال ابن القيم رحمه الله : ثم غزا بنفسه غزوة (الأبواء) ويقال لها ودّان ، وهي أول غزوة غزاها بنفسه ، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مهاجره .

(٢) وقال ابن القيم : فإن خروجه - (أي : إلى خيبر) - كان في أواخر المحرم لا في أوله وفتحها إنما كان في صفر .

(٣) زواجه صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها: "قال ابن إسحاق: في شهر صفر كان زواج السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها من النبي محمد صلى الله عليه وسلم (سبل الهدى والرشاد)

(٤) زواج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالسيدة فاطمة رضي الله عنها: قال ابن كثير: "وأما فاطمة رضي الله عنها فتزوجها ابن عمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفر سنة اثنتين،

فولدت له الحسن والحسين، ويقال: ومحسن، وولدت له أم كلثوم وزينب"
(السيرة النبوية لابن كثير؛ [٤/١١٦])

ما ورد من أحاديث مكذوبة عن شهر صفر :

١ (حديث : ((من بشرني بخروج صفر بشرته بالجنة)) أنظر : كتاب الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة

٢ (حديث : ((يكون صوت في صفر ثم تتنازع القبائل في شهر ربيع ثم العجب كل العجب بين جمادى و رجب)) قال ابن القيم رحمه الله : فصل أحاديث التواريخ المستقبلية : ومنها : أن يكون في الحديث تاريخ كذا وكذا ، مثل قوله إذا كانت سنة كذا وكذا وقع كيت وكيت ، وإذا كان شهر كذا وكذا وقع كيت وكيت .

المطر آداب وأحكام

العناصر :

✽ نعمة الماء .

أحكام تتعلق بالمطر .

✽ آداب وأذكار عند نزول المطر .

الحمد لله باسط اليدين بالعطايا، كثير البركات والهدايا، يرسل الرياح مبشرات بالخير والرزق والأمطار (الحمد لله الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) (الشورى: ٢٨) (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) (الأعلى: ٤-٥) وأنزل من السماء ماءً فأنبت به الأرض بعد موتها، نحمده على نعمه، ونشكره على جوده وفضله، فهو يجيب من دعاه، ويسقي من استسقاها، سبحانه ما أحلمه على عباده، وما أكرمه وشرهم إليه صاعد، وخيره إليهم نازل، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له رحيم غفور حلیم شكور، هذا الماء الذي خلق الله منه الحياة، فهو أصلها وأساسها، وضرورة من ضروراتها، فإذا امتنع نزل الضرر بالناس والبهائم، فكم من هذه النعمة من فائدة (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (الأنبياء: من الآية ٣٠).

□ وهو فرحة للناس بعد جذبهم: (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (الروم: من الآية ٤٨).

□ فهو سبب رزقهم: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ) (البقرة: ٢٢).

□ وهو سبب لإحياء الأرض : (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) (سورة البقرة: ١٦٤).

□ وهو سقيا للناس : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ) (النحل: ١٠)

□ وهو صحة الأجواء، وطرد الأدواء ؛ وهو الغيث، (يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) (الشورى: ٢٨) .

□ وهو ماء طهور، (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) (الفرقان: ٤٨)

□ وهو مطهر (وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) (الأنفال: ١١)

□ وهو بركة، (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا) (ق: ٩).

□ وهو عذب، (وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا) (المرسلات: ٢٧)

يصب صباً من رحمة الله على عباده دون مقابلٍ منهم، (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا) (النبأ: ١٤)؛ حتى إذا أخذت الأرض منه حاجتها، وأقلع عنها ظهرت خيراتها، واكتنزت للناس سقياهم، فيحفرونها لحاجتهم، وتخرج منه الحبوب والثمار والخضار، ولو دام الصحو لغيض الماء وانقطعت العيون والآبار، وعظم الضرر وجفت الأبدان، وكثرت الأمراض، وهذا الماء يكون منه أيضاً تارةً أخرى عقاب وعذاب، عذب الله به أقواماً، فأغرق به قوم نوح، (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) (القمر ٨-١٢) : الماء : ماء السماء وماء الأرض .

□ وعذب به أيضاً قوم عاد، (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ) (الأحقاف: ٢٤-٢٥). فظنوه مطراً فإذا هو ريحٌ عاتية.

□ وأما قوم لوط فقد أمطر عليهم مطراً حجارةً من سجيل، وأما قوم فرعون فقد أغرقهم في البحر فانطبق ماؤه عليهم، وأما سبأ فلما أعرضوا أرسل الله عليهم سيل العرم، ففاض عليهم . (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) (العنكبوت: من الآية ٤٠)

□ فهذه الأمطار قد يهلك به أقوام، ويكون منها أمواج البحار العاتية المغرقة، وكذلك الفيضانات والسيول التي تأتي على ما تأتي عليه فتبتلع ما يكون في طريقها.

أيها المسلمون : إنّ الأمطار ونزولها على الأرض وما فيها من مخلوقات لمن أجلّ نعم الله، وأعظم ما وهب، فبالماء الذي نزله الله من السماء أحيا كل شيء، فقال سبحانه: { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } .

وقال - عز وجل - مُمْتَنًا: { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا } ، وقال تعالى مُتَفَضِّلًا:
{ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ } .

أيها المسلمون:

إننا نعيش أيامًا نَنعم فيها بنزول الأمطار، وإنَّ الأحكام المتعلقة بنزول المطر عديدة، وتدخل في أبواب عدَّة من الدين والشريعة.

□ أولاً : فَمِنْ أَحْكَامِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِبَابِ الْعَقِيدَةِ :

إنَّ الله هو المتفضِّل على عباده بالمطر، رحمة منه لهم، وجُودًا به عليهم، وإحسانًا إليهم، لدفع حاجتهم، وسدِّ ضرورتهم، وإصلاح معيشتهم، ونسبته إليه وحده إيمان، ونسبته إلى غيره كالنجوم والكواكب كُفْر، فقد صحَّ ((عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى أَثَرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)) (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

إنَّ الله هو المتفضِّل على عباده بالمطر، رحمة منه لهم، وجُودًا به عليهم، وإحسانًا إليهم، لدفع حاجتهم، وسدِّ ضرورتهم، وإصلاح معيشتهم، ونسبته إليه وحده إيمان، ونسبته إلى غيره كالنجوم والكواكب كُفْر، فقد صحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((قَالَ اللَّهُ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِرِزْقِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي)) (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الاستسقاء بالأنواء ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : شرك أكبر وله صورتان.

الصورة الأولى: أن يدعو الأنواء بالسقيا، كأن يقول: "يا نوء كذا اسقنا" أو "أغثنا" وما أشبه ذلك، فهذا شرك أكبر، قال الله تعالى: {ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون}، وقال الله تعالى: {وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً}، وقال عز وجل:

{ولا تدع من دون الله ما لا ينفك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين} ، وهذا شرك في العبادة والربوبية.

الصورة الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذا النوع ولو لم يدعها على أنها هي الفاعلة لنفسها دون الله، بأن يعتقد أنها هي التي تنزل المطر دون الله فهذا شرك أكبر في الربوبية.

القسم الثاني: شرك أصغر وهو أن يجعل هذه الأنواء سبباً، والله هو الخالق الفاعل، وإنما كان شركاً أصغر لأن كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه، ولا بقدره، فهو مشرك شركاً أصغر.

وهذا بخلاف من يقصد بالباء في كلمة (بنوء) الظرفية أي في نوء كذا فهذا جائز وتركه أولى سداً للذريعة ، ونسبته إلى غيره سبحانه من عقائد أهل الكفر والجاهلية الأولى، حيث صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أَرَبُّعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ - وَذَكَرَ مِنْهَا -: الْأَسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ)) ، ولا ريب أن النجوم لا علاقة لها بنزول الأمطار، لا في اجتماعها ولا افتراقها، ولا في طلوعها ولا غروبها؛ ولا في سقوطها، بل هي سائرة كما أمرها الله ، وكما سيرها، ولمَّا سيرها.

ومن أحكامه المتعلقة بباب العقيدة أيضاً : أن العلم بوقت نزول المطر إلى الأرض خاص بالله وحده؛ فلا يعلمه أحد، لا من الأنبياء، ولا من الصالحين، ولا من أهل الفلك، ولا من أهل الأرصاد، ولا من الكهَّان والمنجِّمين والسحرة، ولا من غيرهم؛ لما صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ - وَذَكَرَ مِنْهَا -: وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ)) (رواه البخارى)؛ ونسبته إلى غيره سبحانه من عقائد أهل الكفر والجاهلية الأولى، حيث صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أَرَبُّعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ : الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالْإِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ " . وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَنْبُ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ وَدَرَعٌ مِنْ جَرَبٍ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) أي: اعتقاده نزول المطر بسبب سقوط نجم في جهة، وطلوع آخر في الجهة التي تقابله ؛ ولا ريب أن النجوم لا علاقة لها بنزول الأمطار، لا في اجتماعها ولا افتراقها، ولا في طلوعها ولا غروبها؛ ولا في سقوطها، بل هي سائرة كما أمرها الله ، وكما سيرها، ولمَّا سيرها.

ثانيًا : ومن أحكامه المتعلقة بباب الطهارة:

□ أن ماء المطر طاهر في نفسه، ومُطَهَّرٌ لغيره، فهو يرفع الحدث الأصغر والأكبر، ويُطَهِّرُ الأبدان والثياب وأماكن الصلاة من النجاسة والقدر، حيث قال الله سبحانه مُمتنًا على عباده: { وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ }؛ وقال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا }.

□ ثالثًا : ومن أحكامه المتعلقة بباب الزكاة:

□ أن ما سُقِيَ مِنَ الحبوب والثمار بماء المطر فزكاته العُشر، لأنه لا كُفَّة في سَقِيَّة، وما سُقِيَ بكُفَّة ومَشَقَّة فزكاته نصف العُشر، لِمَا صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ العُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ)) (رواه البخاري).

□ والعُشر هو : عشرة من المئة، ونصف العشر: خمسة من المئة.

□ أن منع النَّاسِ زكاة أموالهم من أسباب منع المطر عنهم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا البَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا)) (رواه الحاكم وحسنه: الألباني).

□ رابعًا : ومن أحكامه المتعلقة بباب الأذكار والآداب :

□ وقد كان في الشرع آداب لنزول المطر، فإذا اشتدت الرياح ينبغي أن يتذكر العبد عقاب الله، فيسأله الرحمة، قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالغَيْمِ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا مَطَرَتْ سُرَّ بِهِ وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ فَسَأَلَتْهُ ، فَقَالَ: (إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سَلَطَ عَلَى أُمَّتِي. مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ قَدْ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ العَذَابَ فَقَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطِّرُنَا) (صححه الألباني في الصحيحة) .

□ كان النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا رَأَى نَاشِئًا فِي أَفْقِ السَّمَاءِ [سَحَابًا لَمْ يَتَّكَمَلِ اجْتِمَاعَهُ] تَرَكَ العَمَلَ وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاةٍ ثُمَّ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا) (صححه الألباني في الصحيحة).

□ أنه يُسْتَحَبُّ للعبد أن يقول إذا رأى المطر: «اللهم صَيِّبًا نَافِعًا»، لِمَا صحَّ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى المطر قال: ((اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا)) (رواه البخاري) .

□ وصَحَّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((قَالَ اللهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ)) . (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

□ أنه يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ سَمَاعِ الرَّعْدِ مَا صَحَّ عَنْ ابْنِ الزَّبِيرِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: ((أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ)) (صححه الألباني في الأدب المفرد).

□ وثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه : (كَانَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ قَالَ: "سُبْحَانَ الَّذِي سَبَّحْتَ لَهُ". قَالَ: "إِنَّ الرَّعْدَ مَلَكٌ يَنْعِقُ بِالْغَيْثِ، كَمَا يَنْعِقُ الرَّاعِي بَغَنَمِهِ".) (حسنه الألباني في الأدب المفرد) .

□ أنه يُسْتَحَبُّ التَّيْمُنُ بِالْمَطَرِ بِكُشْفِ شَيْءٍ مِنَ اللِّبَاسِ عَنِ الْبَدَنِ كَالذِّرَاعِ أَوْ الرَّأْسِ أَوْ غَيْرِهِمَا لِيُصِيبَهُ الْمَطَرُ، وَتَعْرِيزُ شَيْءٍ مِنَ الثِّيَابِ لَهُ، لِمَا صَحَّ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: ((أَصَابَنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَطَرٌ، فَحَسَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ثَوْبَهُ عَنْهُ حَتَّى أَصَابَهُ الْمَطَرُ. قُلْنَا: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: "لِأَنَّهُ حَدِيثٌ عَهْدٍ بِرَبِّهِ")) (صححه الألباني في الأدب المفرد) (فَحَسَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ثَوْبَهُ: أَي كَشَفَ عَنْ بَعْضِ بَدَنِهِ).

□ وصَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: ((أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَطَرَتِ السَّمَاءُ يَقُولُ: يَا جَارِيَّةُ أَخْرِجِي سَرَجِي أَخْرِجِي ثِيَابِي، وَيَقُولُ: { وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا } (صحیح الإسناد موقوفاً - الأدب المفرد) .

خامسًا : ومن أحكامه المتعلقة بباب الدعاء:

□ يجوز لخطيب الجمعة أن يدعو في الخطبة بنزول المطر إذا احتاج الناس ، ويؤمنوا على دعائه،
لِمَا صَحَّ: ((أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
هَلَكْتَ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:
«اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

□ وإذا كثرت المطر وخشي الضرر به : فإنه فيقول: (اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا) (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) ،
وهذا يسمى عند العلماء بدعاء الاستصحاء، يعني إيقاف المطر وانكشاف السحاب، فتوقف المطر
وانكشاف السحاب وإقلاعه هو الاستصحاء ودعاؤه : (اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا) (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).
□ أنه نُقِلَ عن جماعة من السلف الدعاء عند نزول المطر ؛ فقال الإمام الشافعي - رحمه الله - :
«وَقَدْ حَفِظْتُ عَنْ غَيْرٍ وَاحِدٍ طَلَبَ الْإِجَابَةَ عِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ» انتهى .

□ وثبت عن عطاء - رحمه الله - وهو من تلامذة أصحاب النبي ﷺ أنه قال:
((ثَلَاثٌ خِلَالِ تَفْتِيحِ فِيهِنَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَاعْتَنِمُوا الدُّعَاءَ فِيهِنَّ: عِنْدَ نُزُولِ الْمَطْرِ، وَعِنْدَ التَّقَاءِ
الرَّجْفَيْنِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ))

فضل الشكر وجزاء الشاكرين

العناصر:

- * حقيقة الشكر وأركانه.
- * فضل الشكر و الشاكرين.
- * كيف نكون من الشاكرين؟

الحمد لله رب العالمين واشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين واشهد أن محمداً عبد الله ورسوله،
وبعد:

حقيقة الشكر وأركانه :

الشكر هو " الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع " .

وقال ابن القيم رحمه الله: (الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة)

(مدارج السالكين: (٢ / ٢٤٤)

أركان الشكر :

أ- الاعتراف بنسبة النعمة إلى الله :

أي تقر وتعترف وتوقن وتجزم أن الذي أسداك تلك النعمة هو الله؛ وما العبد إلا وسيلة فقط للحصول عليها؛ فلا تنسب النعمة للعبد وتنسى الرب؛ لأن هذا فعل الجهال الذين في عقيدتهم زيف وضلال؛ فهم ينسبون النعم لغير بارئها؛ فعن زيد بن خالد الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) (متفق عليه).

ب- التحدث بها والثناء على المنعم : بما أولاك من نعم وأسداك من معروف فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا** (رواه مسلم)

وقال تعالى: (**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**) [الضحى: ١١] ولهذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم يحي ليله كله في الثناء على الله عز وجل .

ج- تسخيرها في طاعة مسديها والمنعم بها.

قال تعالى: (**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا**) [سبأ: ١٣].

ومعنى الآية : يا آل داود: اعملوا شكرًا لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتنال أمره.

فضل الشكر والشاكرين :

١- الشكر صفة الأنبياء :

قال تعالى عن نوح عليه السلام: (**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**) [الإسراء: ٣] ، وقال عن إبراهيم عليه السلام: (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) [النحل: ١٢٠ ، ١٢١] ، وسيد الشاكرين نبينا صلى الله عليه وسلم، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: **قَامَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ!! قَالَ : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟» (متفق عليه).**

٢- أمر الله بالشكر:

قال تعالى: (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**) [البقرة: ١٥٢] ، وقال: (**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**) [لقمان: ١٤] ، وقال تعالى (**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**) [لقمان: ١٢] ، وأمر به نبينا صلى الله عليه وسلم: (**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَاعِدٌ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**) [الزمر: ٦٥ ، ٦٦].

٣- من صفات المؤمنين :

فَعَنْ صُهِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،
وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ
خَيْرًا لَهُ". (صحيح مسلم).

٤ - سبب لرضى الله عن عبده:

قال تعالى: (وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) [الزمر: ٧].

٥ - أمان من العذاب:

قال تعالى: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ) [النساء: ١٤٧].

قال قتادة رحمه الله: "إن الله جل ثناؤه لا يعذب شاكراً ولا مؤمناً" (تفسير الطبري)

٦- سبب لزيادة النعم :

قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) [إبراهيم: ٧]

قال بعض السلف رحمهم الله تعالى : " النعم وحشية فقيدوها بالشكر "

٧- الأجر الجزيل في الآخرة :

قال تعالى: (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: ١٤٥]، وقال سبحانه:

(وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) [آل عمران: ١٤٤]، أهل الشكر هم المخصوصون بمنة الله عليهم من
بين عباده فقال تعالى: (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ
بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) [الأنعام: ٥٣].

٨- شكر النعم طريقاً إلى رضا الله:

يقول ابن القيم - رحمه الله - : "ومن منازل (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) منزلة الشكر، وهي من
أعلى المنازل، وهي فوق منزلة ((الرضا)) وزيادة؛ فالرضا مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود
الشكر بدونه"، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَرْضَى
عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكَلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُ عَلَيْهَا" (رواه مسلم).

ثالثاً: كيف نكون من الشاكرين؟

١- بتحقيق التقوى :

قال تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

[آل عمران: ١٢٣] ؛ قال ابن إسحاق: "أي: فاتقون؛ فإنه شكر نعمتي" (السيرة ٣/ ١١٣).

٢- القناعة والرضا بما قسم الله لك:

قال صلى الله عليه وسلم: " كن قنعاً تكن أشكرَ النَّاسِ " (ابن ماجة وصححه الألباني في الترغيب والترهيب) ؛ ذهب رجل إلى أحد العلماء، وشكا إليه فقره، فقال له العالم: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا ، فقال العالم: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا ، فقال العالم: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل: لا ، فقال العالم: أيسرك أنك مقطوع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً؟ فقال الرجل : لا ، فقال العالم، أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك نعم بخمسين ألفاً ؛ فعرف الرجل مدى نعمة الله عليه، وظل يشكر ربه ويرضى بحاله ولا يشتكي إلى أحد أبداً) ، وفي المقابل: رجل ابتلاه الله بالعمى وقطع اليدين والرجلين، فدخل عليه أحد الناس فوجده يشكر الله على نعمه، ويقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به غيري، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، فتعجب الرجل من قول هذا الأعمى مقطوع اليدين والرجلين، وسأله: على أي شيء تحمد الله وتشكره؟ فقال له: يا هذا، أشكرُ الله أن وهبني لساناً ذاكرًا، وقلبًا خاشعًا وبدنًا على البلاء صابرًا .

٣ - المحافظة على صلاة الضحى:

فعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى" (البخاري ومسلم) .

٤ - سجود الشكر :

عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا جاءه أمر سرور أو بشر به خر ساجدا شاكرا لله " (رواه أبو داود صححه الألباني)

٥ - الدعاء : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده يوما ثم قال يا معاذ والله إنني لأحبك فقال له معاذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك قال أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (

) رواه أبو داود والنسائي واللفظ له وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ؛ صحيح الترغيب والترهيب).

٦ - التفكير في نعم الله عليك :

(يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَمُّ يَنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) [النحل: ٨٣].

تفكر في نعم الله عليك واشكر الله، تذكر نعم الله عليك فإذا هي تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك

(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا) [إبراهيم: ٣٤].

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: ٢١].

٧ - شكر من أسدى معروفاً إليك من الناس:

لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

(رواه الترمذي صححه الألباني في السلسلة الصحيحة) .

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من استعاذكم بالله فأعيذوه و من سألكم بالله فأعطوه و من دعاكم فأجيبوه و من صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) (رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صنع إليهم معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء " (رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع).

الإيمان بالقضاء والقدر

العناصر :-

- * أهمية ركن الإيمان بالقدر.
- * حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر ومراتبه .
- * علاقة الأخذ بالأسباب بالقدر .
- * أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المسلم .

الحمدُ لله، الحمدُ لله العليُّ الأعلى، الذي خلقَ فسوَى، والذي قدَّرَ فهَدَى، أنارَ قلوبَ أوليائه بنُعوتِ جلاله ومشاهدِ صفاتِ كماله، وأدهشهم بآياتِ عظمتِهِ في قضائه وقدرِهِ وبعد ،،،

أهمية ركن الإيمان بالقدر:

عباد الله : ما أجملَ حياةَ العبدِ، وما أسعدَ عيشَه، وما أقرَّ عينَه حينَ يعلمُ علمَ اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطاه لم يكن ليصيبه، وأن كل شيءٍ في هذا الكون يجري بعلم الله وتقديره، فحينها ينشرح صدره، وتسكن نفسه، ويهدأ باله، وتعظم ثقته بربه، ويقوى توكله عليه ، وذلك كله قيسٌ من نور الإيمان بالقضاء والقدر، الذي هو من أجل أركان الإيمان، وأعظم أصول الملة والدين، لا يقبل الله من عبدٍ صرفاً ولا عدلاً إذا لم يؤمن به إيماناً صادقاً، حياً نابضاً، فاعلاً في حياته، مُتدققاً بالمعاني الإيمانية، والحقائق القلبية التي تُنشئ في العبد نفساً راضيةً مرضيةً عاملةً بناءةً، ساعيةً في كل ما يُفيدها في دنياها وآخرتها.

ومن هنا كان الإيمان بالقضاء والقدر هو المقياس الحقيقي لصدق العبد وإخلاصه، ومعرفة بربه، والرضا بأفعاله، وكم من الناس سقطوا في فتنة الجزع، والتسخط والاعتراض، وفشل البعض عند أول عارض، وخذل آخرون فزعموا أنه لا قدر وأن الأمر أنف، وصدقوا ما بذره الشيطان في عقولهم من الشبه والتساؤلات الحائرة التي تتهم الله في أقداره، وتعيبه في قضائه، ولا تدرك الحكم البالغة في أفعاله ، وكان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يغرُس عقيدة الإيمان بالقدر في نفوس الأطفال والشباب قبل الكبار من الصحابة - رضي الله عنهم - كما في الحديث المدهش العجيب ، الذي ألقى فيها النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- جملة من الوصايا الكبرى على ابن عباس -رضي الله عنهما، وهو بعدُ غلامٌ صغيرٌ-، ومن هذه الوصايا العظيمة: “واعلم أن الأمة لو اجتمعت على

أن ينفَعوك بشيءٍ لم ينفَعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وعلى اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأَقلام، وجَفَّت الصُّحُفُ” (أخرجه أحمد والترمذي وحسنه الألباني).

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - لزيد بن ثابت - رضي الله عنه، وهو شابٌ لِقِنٌ فهمٌ -، قال له: “لو أنفقتَ مثلَ أحدٍ ذهبًا في سبيلِ الله، ما قبلَه اللهُ مِنك حتى تُؤمِنَ بالقَدَر، فتعلَمَ أن ما أصابك لم يُكن ليُخطئَكَ، وما أخطأك لم يُكن ليُصيبَكَ، ولو مُتَّ على غيرِ هذا لدخلتَ النَّارَ” (أخرجه أحمد بسندٍ صحيحٍ وحسنه الألباني).

وفي حديثِ أبي الدَّرداء - رضي الله عنه- عند الإمام أحمد: قال - صلى الله عليه وآله وسلم -: “لا يدخلُ الجنةَ عاقٌّ، ولا مُدْمِنٌ خمرٍ، ولا مُكذِّبٌ بالقَدَر” (حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة).

أيها المؤمنون: من أعاجيب عقيدة ومسائل الإيمان بالقدر الباهرة التي تُعظِّمُ الربَّ - سبحانه وتعالى -، وتستحقُّ التأملَ والتفكيرَ: أن الله - سبحانه وتعالى - قد كتبَ مقاديرَ الخلائق قبل أن يخلقَ السماوات والأرضَ بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، كما ثبت في “صحيح مسلم”، وأن أولَ ما خلقَ اللهُ القلمَ، “قال له: اكتب، قال: رب! وما أكتب؟ قال: اكتب مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ” (رواه أبو داود بسند حسنه الألباني).

والله - سبحانه وتعالى - يعلمُ ما في البرِّ والبحرِ، (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [الأنعام: ٥٩]، فهو - سبحانه وتعالى - قد علمَ الأشياءَ كلها ومقاديرَها، صغيرَها وكبيرَها، وعلمَ ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وكلُّ هذه الأحداثُ والمقاديرُ مكتوبةٌ على التفصيلِ في اللوح المحفوظ من قبل أن تُوجدَ وتظهرَ، كما قال اللهُ - عزَّ وجلَّ -: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) [الحديد: ٢٢]، يعني: من قبل أن نُوجدَها في الواقعِ (إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

ثم أوجدَ - سبحانه وتعالى - الوقائعَ والأحداثَ، وأظهرَها على سَمَتِ رسمٍ ما هو مكتوبٌ عنده - سبحانه -، لا يتبدَّلُ منها شيءٌ ولا يتغيَّرُ. وهذا من أعظم الأدلَّةِ على ألوهيته - سبحانه -، وربوبيته، وقُدْرته الشاملة، وعلمه التام، وأنه الإلهُ الحقُّ المُستحقُّ أن يُعبدَ وحده، ويُسألَ وحده، ويُعتمدَ عليه وحده، ويُتوكَّلَ عليه وحده، ويُستغاثَ به وحده، وقد وسَّعَ علمُه كلَّ شيءٍ، وأحاطَ بكلِّ شيءٍ قُدْرَةً

وسُلطانًا وقَهْرًا، فلا يخرُجُ شيءٌ في هذا الكون عن سُلطانِهِ وقُدْرَتِهِ، ولا يحصلُ شيءٌ من الأحداثِ العِظامِ إلا بعلمِهِ وإِذْنِهِ؛ فسُبْحانَ مَنْ بهرَتِ حِكْمَتُهُ العُقُولَ، وسُبْحانَ مَنْ أدهَشَتِ أقدارُهُ دَوي الألبابِ والفُهومَ، وعجَزَتِ أفصَحُ الألسُنِ عن التعبيرِ عن أطاقِهِ في أقْضِيائِهِ، وتقاَصَرتِ أفهامُ الخلائِقِ عن إدراكِ أسرارِ أقدارِهِ وأفعالِهِ، (لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) [الطلاق: ١٢].

وثبتَ عند الترمذي في “جامعه” بسند حسنه الألباني : أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: “لا يُؤمِنُ عبدٌ حتى يُؤمِنَ بالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ مِنَ اللَّهِ، وحتى يَعْلَمَ أن ما أصابَهُ لم يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وما أخطأَهُ لم يَكُنْ لِيُصِيبَهُ”، وقال - سبحانه - : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: ٤٩]، وقال - سبحانه - : (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) [الأحزاب: ٣٨]، وقد عدَّ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في الحديث المشهور حديثَ جبريل، عدَّ من أركان الإيمان العُظمى : الإيمانَ بالقَدَرِ حُلُوه ومُرَّه، خيرِهِ وشرِّهِ.

وهكذا الأحداثُ والأقدارُ تتوالى وتحصلُ بعد ذلك بمشيئةِ الله وإِذْنِهِ، إيجابًا مِنْهُ وَخَلْقًا على وفقِ القَدَرِ المكتُوبِ، حَذْوِ القَدَّةِ بالقَدَّةِ لا ينخرِمُ مِنْهُ شيءٌ البتَّة، كما قال سبحانه: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) [الأنعام: ٣٨] يعني : في اللُّوحِ المحفوظِ ؛ هذا التقديرُ الذي قَدَرَهُ اللهُ وَكَتَبَهُ في اللُّوحِ المحفوظِ هو التقديرُ العامُّ الأزلِيُّ، الذي لا يتغيَّرُ ولا يتبدَّلُ، ولا يُمَحَى مِنْهُ شيءٌ أبدًا.

أيها المسلمون:

وهناك التقديرُ العُمريُّ، الذي يكون لكلِّ إنسانٍ في هذه الحياة وهو في بطنِ أمِّه، وقبل أن تُنفَخَ فيه الرُّوحُ، يبعثُ اللهُ مَلَكًا فيؤمِّرُ بكتَبِ رِزْقِهِ، وأجلِّهِ، وعملِهِ، وشقيِّ أو سعيدٍ كما ورد في حديثِ عبدالله بن مسعودٍ رضي اللهُ عنه قال: حدثنا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو الصادقُ المصدوقُ: ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملكُ فينفخ فيه الروحَ، ويؤمر بأربع كلماتٍ: بكتَبِ رِزْقِهِ وأجلِّهِ وعملِهِ، وشقيِّ أو سعيدٍ)) (رواه البخاري ومسلم)

وهناك التقديرُ السنويُّ الحوليُّ، وذلك في ليلةِ القَدَرِ من كلِّ سنةٍ والتي قال اللهُ فيها (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)، يُفصلُ فيها من اللُّوحِ المحفوظِ كلُّ أمرٍ حَكِيمٍ.

قال مجاهد : (يُقضى فيها أمرُ السنةِ كُلِّها من معاشِ الناسِ ومصائبِهِم، وموتِهِم وحياتِهِم إلى مثلِها من السنةِ القادِمةِ) وهناك التقديرُ اليوميُّ لأحداثِ الكونِ، كما قال الله - عزَّ وجل -: (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [الرحمن: ٢٩].

قال - صلى الله عليه وآله وسلم - : “ من شأنه أن يغفرَ ذنبًا، ويُفِرِّجَ كَرْبًا، ويرفعَ قومًا، ويخفضَ آخرين ” (أخرجه ابن ماجة بسند حسنٍ حسنه الألباني).

تعريف القضاء والقدر في الشرع :

القَدَرُ : (هو تقدير الله تعالى الأشياء في القَدَمِ ، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة ، وكتابته سبحانه لذلك ، ومشيتته له ، ووقوعها على حسب ما قدرها ، وخالقها لها) لا يوجد فرق بين (القضاء) و (القدر) في المعنى فكُلُّ منهما يدل على معنى الآخر ، ولا يوجد دليل واضح في الكتاب والسنة يدل على التفريق بينهما ، وقد وقع الاتفاق على أن أحدهما يصح أن يطلق على الآخر ، مع ملاحظة أن لفظ القدر أكثر وروداً في نصوص الكتاب والسنة التي تدل على وجوب الإيمان بهذا الركن .

مراتب الإيمان بالقدر :

ثم اعلم أن الإيمان بالقدر لا يصح حتى تؤمن بمراتب القدر الأربع وهي :

الإيمان بالقدر يشملُ أربعةَ مراتبٍ ؛ دلَّ عليها كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وذكرها عامة أهل العلم: وهي إجمالاً : العلم والكتابة والمشية والخلق.

فأولها: الإيمان بعلم الله السابق : وهي الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأن الله قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم ، وعلم ما هم عاملون بعلمه وأنه علم ما كان وما يكون على وجه التفصيل - سبحانه وتعالى :-

(وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [الأحزاب: ٤٠] ، وهذا العلم أزليٌّ؛ أي: ليس له أول، وهو متقدم على جميع المخلوقات، فقد علم الله كلَّ شيء، وهذا من سعة علمه سبحانه، وهو أحد صفات الله العظيمة التي لا تشابه صفات المخلوقين: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١] ، فعِلْمُهُ - سبحانه - ليس فيه خطأ أو ظنون، وعلمه سبحانه محيط بكل شيء، وعلمه - سبحانه

- لم يسبقه جهل، بينما جميع علوم البشر مسبوقه بالجهل (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [النحل: ٧٨].

ثانيها : كتابته سبحانه وتعالى للمقادير: وهي الإيمان بأن الله كتب مقادير جميع الخلائق في اللوح المحفوظ قال سبحانه: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [الحج: ٧٠]، وقوله صلى الله عليه وسلم: " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة " (رواه مسلم) .

ثالثها : مشيئة الله تعالى النافذة وإراداته: وهي الإيمان بأن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله سبحانه وتعالى ؛ فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلا يخرج عن إرادته شيء.

والدليل قوله تعالى : (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) الكهف/ ٢٣ ، ٢٤ وقوله تعالى : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير/ ٢٩) ، وهذه السنَّة الكونية متعلقة بحكمة الله تعالى في مخلوقاته التي قد نعلمها وقد لا نعلمها، وهي واقعة لا محالة.

(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [يس: ٨٢]
(فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [فاطر: ٨].

رابعها : الخلق والإيجاد : وهي الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء ، ومن ذلك أفعال العباد ، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه ، لقوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) الزمر/ ٦٢ . وقوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات/ ٩٦) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يصنع كل صانع وصنعه] أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٧ ، ٣٥٨) وصححه الألباني في الصحيحة وقال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر: ٤٩]، وهذا التقدير المشتمل للعلم والكتابة والمشيئة والخلق ليس حُجَّةً للعباد في مخالفة شرع الله، وإنما لكمال علم الله وقدرته - سبحانه، فلا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعاصي فهذا من الكذب والتكذيب، لأن العاصي يقع في المعصية بإرادة منه، وفي ذلك يقول الله:

(وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [النحل: ٣٥]، أما المصائب فيصح الاحتجاج بالقدر عليها بعد وقوعها؛ فهي واقعة بغير إرادة المصاب، وهذا ما

أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم: ((فإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل)) [رواه النسائي وحسنه الألباني]

علاقة الأخذ بالأسباب بالقدر

ومن الذين غَالُوا في القَدَر المتواكِلُون الذين يقولون: إِنَّ أعمالنا كُلُّها مُقَدَّرَةٌ، ولا حاجة لنا بالقَدَر ، وأما المؤمن فيعلم أنه مأمورٌ بالأخذ بالأسباب مع التوكُّل على الله - تعالى - والآيات في الأخذ بالأسباب كثيرة، كذلك الأحاديث النبويَّة، وحتى أفعال الصحابة؛ فهذا أبو عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - اعْتَرَضَ على رجوع "عمر" بالناس عن دخول الشام عندما انتشر بها الطاعون، وقال لعمر بن الخطَّاب: "يا أمير المؤمنين، أفرارًا من قَدَرِ الله؟"، فقال عمر: "لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة، نعم، نَفِرُ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله، رأيتُ إن كان لك إبلٌ هبَطتْ واديًا له عُذوتان؛ إحداهما خَصِيبَةٌ، والأخرى جَدْبَةٌ، أليس إن رعيت الخصبَةَ بقَدَرِ الله، وإن رعيت الجَدْبَةَ رعيتُها بقَدَرِ الله؟" (صحيح البخاري) .

وثمة انحرافٌ سرى في نفوس كثيرٍ من الناس منذ القَدَم، وكان له الأثر السيئُ في واقع الأمة، وهو: تركُ الأخذ بالأسباب الشرعيَّة الماديَّة والمعنويَّة، التي خلقها الله، وربطَ بها حُصُولُ المُسبَّبات، ورتَّبَ عليها إدراكَ النتائج، والتساهلُ في ذلك - أعني: التساهلُ في تركِ الأسباب الشرعيَّة - توانيًّا وتكاسلًا وخذلانًا، أو بحُجَّة أنها تُعارضُ القَدَر، أو تُعارضُ الرِّضا بالقضاء، وأن الله لو شاءَ لغيرَ الحال!

ولمَّا سئلَ نبيُّنا - صلى الله عليه وسلم - عن الرُقَى والأدوية: هل تُردُّ من قَدَرِ الله شيئًا؟ فأخبرهم أنها من قَدَرِ الله، فتركُ الأخذِ بالأسبابِ فَدَحُ في الشريعة، فالنبيُّ - صلى الله عليه وسلم - ما خرجَ مهاجرًا خوفًا من القتل؛ لأنَّ الله قال له: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [المائدة: ٦٧] ، فأعلَمَه بعصمته من كُلِّ مكروه وسوءٍ، لكنَّ هجرته إثباتٌ لأُمَّته وتعليمٌ لها بالأخذِ بالأسباب، وأنها جزءٌ من الدين ، فكيف ينافي الأخذُ بالأسباب الإيمانَ بالقضاء والقدر؟ فكما أنَّ الإيمانَ بالقَدَر مأمورٌ به، فالأخذُ بالأسباب مأمورٌ به كذلك ، بل هو من قَدَرِ الله - عز وجل - وهذا ما كان نبيُّنا وحبیبُنا - صلى الله عليه وسلم - يعلمه أصحابه؛ لئلاَّ يَتَكَلَّوا ؛ حيث روى مسلم في صحيحه عن علي - رضي الله عنه - قال: " كُنَّا في جنازةٍ في بقیع الغرقد، فأتانا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فقعدَ وقعدنا حوله، ومعه مِخْصَرَةٌ - عصًا صغيرة - فنكَّس

- خَفَضَ رَأْسَهُ - فجعل ينكتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثم قال: ((ما منكم من أحدٍ، ما من نفسٍ منفوسة، إلا وقد كَتَبَ اللهُ مكانها من الجنة أو النار، وإلا قد كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أو سَعِيدَةٌ))، قال: فقال رجلٌ: يا رسول الله، أفلا نمكثُ على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: ((مَنْ كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وَمَنْ كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة))، فقال: ((اعملوا؛ فكلُّ مُيسِّرٍ؛ أمَّا أهل السعادة فَيُيسِّرُونَ لعمل أهل السعادة، وأمَّا أهل الشقاوة فَيُيسِّرُونَ لعمل أهل الشقاوة))، ثم قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) [الليل : ٥ - ١٠]

إن القَدَرَ نظامُ التوحيد، وسِرُّ الله في خلقه، والدخولُ في مسائلٍ مِنَ القَدَرِ مما اختصَّ اللهُ به، وَحَجَبَ عِلْمَهَا عن خلقه، يُؤدِّي بالعبدِ إلى هاويةٍ كُبرى في مسالكِ الحيرةِ والشكِّ والإلحادِ؛ ولذلك قال - صلى اللهُ عليه وآله وسلم - " إذا ذُكِرَ أصحابي فأمسِكُوا، وإذا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فأمسِكُوا، وإذا ذُكِرَتِ القَدَرُ فأمسِكُوا " (أخرجه الطبرانيُّ بسندٍ صحيحٍ وحسنه الألباني) يعني: لا تخوضوا في مسائل لا تَعْنِيكُمْ، ودقائق لا تُدرِكُونها، وعليكم بالتسليم والرِّضا المُطلقِ اللهُ ولِحِكمتهِ الباهرةِ في أقداره؛ لأن العبدَ ضعيفٌ يعجزُ عن إدراكِ أسرارِ أقدارِ اللهِ وأفعاله، لمحدوديةِ عقله، وقد تقرَّرَ أن تركَ الأسبابِ قَدْحٌ في الشرع، ونقصٌ في العقل، ولذلك أمرَ النبيُّ -صلى اللهُ عليه وآله وسلم- بالعمل، واتَّخَذَ الأسبابَ الماديةَ والمعنويةَ، فقال - عليه الصلاة والسلام -: "اعْمَلُوا وَلَا تَتَكَلَّمُوا؛ فكلُّ مُيسِّرٍ لما خُلِقَ له" (أخرجه الشيخان).

أثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المسلم .

أيُّها الأحبَّة الكرام، إنَّ للعقيدةَ عموماً والإيمانَ بالقَدَرِ خصوصاً أثراً في حياة المسلم .

الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك:

إن الإيمانَ بالقضاء والقدر على التحقيق يُرَبِّي في المؤمنِ اليقينَ الراسخَ أن كل شيءٍ في هذا الكونِ إنما هو بيدِ اللهِ وحده، الذي له مقاليدُ السماوات والأرض، وعنده خزائنُ كل شيء، ومفاتيحُ كل شيء، وأن الخلقَ كلَّهم ضُعفاءٌ عاجزونٌ فقراء، لا يملِكُون لأنفسِهِم نفعاً ولا ضرراً، ولا يملِكُون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولا يتمُّ توحيدُ اللهِ إلا لمن أقرَّ أن اللهُ وحده الخالقُ لكل شيءٍ في الكون، وإن إرادته ماضية في خلقه؛ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكل المكذبين بالقدر لم يوحِّدوا ربهم،

ولم يعرفوه حق معرفته والإيمان بالقدر مفرق طريق بين التوحيد والشرك، فالمؤمن بالقدر يُقرُّ بأن هذا الكون وما فيه صادر عن إلهٍ واحدٍ ومعبودٍ

واحدٍ، ومن لم يؤمن هذا الإيمان فإنه يجعل مع الله آلهةً وأرباباً.

الاستقامة على منهجٍ سواءٍ في السراء والضراء :

العباد بما فيهم من قصور وضعف لا يستقيمون على منهجٍ سواءٍ، قال تعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ } [المعارج: ١٩ - ٢٢]؛ والإيمان بالقدر يجعل الإنسان يمضي في حياته على منهجٍ سواءٍ، لا تبطره النعمة، ولا تبيسه المصيبة، فهو يعلم أن كل ما أصابه من نعمٍ وحسناتٍ من الله، لا بذكائه وحسن تدبيره: { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } [النحل: ٥٣]، فإذا أصاب العبد الضراء عَلِمَ أن هذا بتقدير الله ابتلاء منه، فلا يجزع ولا ييأس، بل يحتسب ويصبر، فيكسب هذا الإيمان في قلب العبد المؤمن الرضا والطمأنينة: { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } [الحديد: ٢٢ - ٢٣] ، وقد امتدح الله عباده: { الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } [البقرة: ١٥٦ - ١٥٧].

المؤمن بالقدر دائماً على حذر :

المؤمنون بالقدر دائماً على حذر: { فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } [الأعراف: ٩٩] فقلوب العباد دائمة التقلب والتغير، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والفتن التي توجه سهامها إلى القلوب كثيرة، والمؤمن يحذر دائماً أن يأتيه ما يضره كما يخشى أن يختم له بخاتمة سيئة، وهذا لا يدفعه إلى التكاسل والخمول، بل يدفعه إلى المجاهدة الدائبة للاستقامة، وعمل الصالحات، ومجانبة الموبقات.

يملأ القلب طمأنينة وسعادة وقوة :

فإن الإيمان بهذا الركن العظيم يُسبغ على النفس السكينة والطمأنينة ، فمن آمن بكل أقدارِ الله، ورضي بما قسمه الله وقضاه؛ ملأ الله صدره غنىً وأمناً، وفرغ قلبه لمحبتته والإنابة إليه، وجمع عليه شمله، وأنته الدنيا وهي راغمة ، ومن فاته حظه من الإيمان بالقدر فرّق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، وسبق الشكّ والهُموم والأحزان وكسف البال، ولم يتهنّ بعيشه، ولم

يُدرِكهُ لُطْفُ اللَّهِ وَحَنَانُهُ فِي الْمَصَائِبِ وَالْمِحَنِ، كَمَا اعْتَرَضَ إِبْلِيسُ عَلَى رَبِّهِ -سُبْحَانَهُ-، وَسَخِطَ عَلَيْهِ أَنْ فَضَّلَ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، ثُمَّ رَفَضَ السُّجُودَ لَهُ، فَكَانَ جَزَاؤُهُ أَنْ طَرَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى، وَلَعَنَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَقَالَ لَهُ: (أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا) [الأعراف: ١٨]، فَيَعِيشُ الْمُؤْمِنُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مُطْمَئِنًّا بِالْبَالِ، سَاكِنًا النَّفْسَ، عَظِيمَ التَّوَكُّلِ بِاللَّهِ، قَوِيَّ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، مِقْدَامًا غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَجَلٍ، مِمَّا يَكُونُ دَافِعًا لَهُ لِلْعَمَلِ وَالْجِدِّ وَالْمُتَابَرَةِ، وَالإِنْتِاجِ الْمُثْمِرِ؛ لِيَتَفَيَّأَ ظِلَالِ الْعِزَّةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ، وَالحَيَاةِ الكَرِيمَةِ البِنَاءِ، وَهَكَذَا يَكُونُ الإِيمَانُ بِالقَدَرِ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ، وَتَتَسَلَّلُ نَسَائِمُهُ مَسَالِكَ العَقْلِ وَالرُّوحِ، وَتَعَلَّمُ النُّفُوسُ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ كَمَا رَوَى ابْنُ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى العِجْزِ وَالكَيْسِ “ (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

يَعِينُ الْمُؤْمِنَ عَلَى الصَّبْرِ :

فَالْمُصِيبَةُ إِذَا وَقَعَتْ عِلْمَ الْمُؤْمِنِ يَقِينًا أَنَّهُ لَا مَجَالَ لِرُدِّهَا فَلَا يَنْدَمُ وَلَا يَتَحِيرُ، وَلَا يَقُولُ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَتَطْمَئِنُّ نَفْسُهُ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ مِنَ الأَقْدَارِ فَلَا يَتَكَبَّرُ قَالَ تَعَالَى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [التغابن: ١١] ، وَقَدْ قَالَ ﷺ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))

الحسد

- * العناصر :-
- * حقيقة الحسد .
- * أسباب الوقوع في الحسد .
- * عواقب الحسد ومخاطره .
- * الوسائل المعينة على ترك الحسد .
- * علاج الحسد .

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

حديثنا عن خلق ذميم ووصف قبيح، داء من الأدواء الخبيثة، ومرض من الأمراض الفتاكة المقيتة، داء يقود إلى كل القبائح والمهالك، فمنه تكون العداوة والقطيعة، والوحشة والفرقة، والخِصام والنزاع، والكراهية والبغضاء، إنه داء الحسد؛ وما أدراك ما الحسد؛ داء ينهك الجسد، ويفسد الودَّ، ويُضعِف اليقين، ويُسهِر العين، ويُورث الهم والغم.

أولا :- حقيقة الحسد :-

الحسد: " هو تمنّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد ".

وقيل: " الحسد: هو تمنّي زوال نعمة من مستحقّ لها، وربّما كان مع ذلك سعيّ في إزالتها ".

وليس من الحسد المذموم أن يتمنى المرء أن يكون عنده من الخير مثل ما عند غيره من غير أن تزول عن صاحبها وإنما ليكون مثله في فعل الخير والتمكّن من الطاعات والقربات، كمن يحب أن يكون له مثل علم فلان ليعمل به ويعلمه الناس، أو يحب أن يكون له مثل مال فلان لينفق منه في طاعة الله، من غير تمنّي زوال مال الغير أو علمه أو أي نعمة أخرى، فهذه هي الغبطة، ولا حرج فيها ولا لوم ولا ذم.

فعن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما

يعمل. ورجل آتاه الله مالا فهو يُهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيتُ مثل ما أوتي فلان، فعملتُ مثل ما يعمل». (أخرجه البخاري)

ثانياً:- أسباب الوقوع في الحسد :

١- بُغض المحسود: فإذا كانت له فضيلة تُذكر أو منقبة تُشكر ثارت نفس من أبغضه حسداً. ولا يفارقه فإذا أصاب عدوه بلاء فرح وإذا أصابته نعماء ساءه ذلك ، جاء في تفسير القرطبي في قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا). قال في قوله (أم يحسدون.....) قال هم اليهود والناس يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن ابن عباس ومجاهد وغيرهما قالوا (حسدوا محمد صلى الله عليه وسلم على النبوة وحسدوا أصحابه على الإيمان به ولا زالت آثار حسدهم تظهر يوماً بعد يوم).

٢- الكبر والعجب: كأن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه الحاسد فيكره تقدمه فيه، فيثير ذلك حسداً، فالحسد هنا يختص بمن علا مع عجز الحاسد عن إدراكه ، وكان حسد الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم قريبا من ذلك، قال تعالى (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) (الزخرف: ٣١) وقالوا عن المؤمنين: (أَهْؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا) (الأنعام : ٥٣).

٣- حب الرئاسة والجاه : ومثاله أن الرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في مجال من المجالات أو فن من الفنون إذا سمع بنظير له في مكان ما ساءه ذلك وأحب هلكه أو زوال نعمته التي يشاركه بها وذلك لحب الرئاسة والجاه والإنفراد به. لقد التقى أبو جهل، وأبو سفيان بن حرب، والأخنس بن شريق، وقد انصرفوا من حول بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم وقد جاءوا لا يعرف كل واحد منهم من خبر الآخر شيئاً، يستمعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن الكريم، وكان ذلك لقائهم الثالث، وتعاهدوا أن لا يعودوا لمثلها فيروا على غير ما يعهدهم الناس، وفي صباح اليوم الثالث، دلف الأخنس بن شريق إلى بيت أبي جهل، يستطلع الأثر الذي تركه سماع القرآن الكريم من فم رسول الله - صلى الله عليه وسلم في نفس أبي جهل، ويسأل الأخنس: فيم سمع من محمد؟ ويرد أبو جهل: ما سمعت! (أي مثل ما سمعت يا أخنس): " تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى كنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله، لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقُه". وانكشف للأخنس ما

انطوت عليه نفس أبي جهل، لقد كان الحسد ، فهو وراء كل تلك الخصومة، واللَّدَد، والمقاومة الشديدة للإسلام.

٤- السخط على قضاء الله تعالى: فيحسد الآخرين على ما منحهم الله تعالى إياه، وإن كانت نعم الله عنده أكثر، ومنحه عليه أظهر.

٥- خبث النفس وبخلها : وهذا يحب الإدبار لغيره وييخل بنعمة الله على عباده، فإذا وُصف له حسن حال عبد من عباد الله شق ذلك عليه، وإذا وصف له أمر سوء وتتغيص عيش الناس فرح بذلك والعياذ بالله.

ثالثاً:- عواقب الحسد ومخاطره:

للحسد عواقب وخيمة، ومخاطر عديدة على الفرد والأسرة والمجتمع، وهذه بعضها:

١- الحسد معصية وخطيئة :

ذمه الله تعالى وأنكر على أهله، فقال سبحانه:

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) [النساء: ٥٤ ، ٥٥].

٢- خلق ذميم لا يليق بمؤمن آمن بربه، وأيقن بحكمته :

وقد حذر منه نبينا صلى الله عليه وسلم، وبيّن أنه يتنافى مع الإيمان، وقيم الإسلام وأخلاقه، فقال عليه الصلاة والسلام: «... لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد» أخرجه النسائي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح النسائي وغيره .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال».

٣- الحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء :

حين خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وأمر الملائكة بالسجود له إكراما له وتشريفا، فاستجاب الملائكة لأمر الله، وامتنع إبليس عن السجود لآدم حسدا وتكبرا.

قال الله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَأِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) [ص: ٧١ - ٧٦]

٤- الحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض :

عندما حسد ابن آدم قابيل أخاه هابيل، حين قدّم كلُّ منهما قربانًا إلى الله، فقبلَ قربانَ هابيل، ولم يُقبلَ قربانَ قابيل، فحسد قابيلُ أخاه هابيل على ذلك وقتله، قال تعالى:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [المائدة: ٢٧ - ٣٠].

٥- الحسد داء يضرُّ صاحبه في دينه وفي دنياه:

أما ضرره في الدين :

فإن الحاسد قد سخط قضاءَ الله - تعالى - فكَرِهَ نعمته على عباده، ويكفيه سوءا وبعدا أنه شارك إبليس في الحسد وفارق الأنبياء في حبهم الخير لكلِّ أحد.

(وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا) [النساء: ١١٩ - ١٢١]

فالحاسد مُعْتَرِضٌ على قضاءِ الله وحُكمه، يعادي نعمة الله التي أنعم بها على عباده، فلا تهدأ نفسه ويزول حسده إلا إذا رأى النعمة قد زالت.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لا تعادوا نِعَمَ الله، فقيل له: ومن يعادي نِعَمَ الله؟! قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، ثم إن الحسد يحمل على إطلاق اللسان في المحسود بالشتم والتحايل على آذاه.

وأما ضرره في الدنيا :

فإن الحاسد يتألم ولا يزال في كَمَدٍ وغم وهم لا ينقطع عنه ما دام قلبه ممتلئاً حقداً وحسداً.
وقال معاوية رضي الله عنه: ليس في خصال الشرِّ أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى: (يصل إلى الحاسد خمسُ عقوباتٍ قبلَ أن يصلَ حَسَدُهُ إلى المحسودِ، أولاهَا: غَمٌّ لا يَنْقَطِعُ، وثانيها: مُصِيبَةٌ لا يُؤَجَّرُ عليها، وثالثها: مَذَمَّةٌ لا يُحْمَدُ عليها، ورابعها: سُخْطُ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، وخامسها: يُغْلَقُ عنه بابُ التَّوْفِيقِ).

٦- الحسد يمنع صاحبه من قبول الحق والإذعان له :

وما حمل اليهود والنصارى على كراهية الإسلام وصرف أهله عنه إلا الحسد، قال سبحانه وتعالى عنهم: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) [البقرة: ١٠٩]

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال:

« ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على الإسلام والتأمين.»

(أخرجه ابن ماجة في سننه، وصححه الألباني في صحيح الجامع).

رابعاً :- الوسائل المعينة على ترك الحسد :

فعلى كل مسلم عاقل أن يجتهد في وقاية نفسه من داء الحسد، وأن يبذل كل ما يؤسعه من أجل التخلص منه وتطهير قلبه منه. ويساعد على ذلك أمورٌ منها:

١- الزهد في الدنيا : فالدنيا ظل زائل، وعارية مُسْتَرْجَعَةٌ، لا تعدل عند الله جناح بعوضة، نعيمها لا يدوم، وسرورها لا يدوم... لا وجه للمنافسة فيها عند العقلاء، فأنت هنا لتأخذ الزاد إلى الدار الآخرة؛ لا لتنافس من أجل الدنيا، أو تخاصم من أجلها، أو تعادي وتقاتل من أجلها... كيف تحسد الناس على دنيا فانية، وأموال زائلة؟!.. وقد قال ربنا سبحانه:
(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوبِ) [آل عمران: ١٨٥].

■ وقال عز وجل:

■ (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) [طه: ١٣١] ؛ قال الحسن رحمه الله: "يا بن آدم لِمَ تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه، فلمَ تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك فلمَ تحسد من مصيره إلى النار؟".
٢- الرضا بقضاء الله وقدره وقسمته :

فله سبحانه وتعالى حكمة في تفاوت الأرزاق والمراتب بين العباد؛ حتى تحصل عمارة الأرض، ويتبادل الناس المنافع والمصالح، ويخدم بعضهم بعضاً. قال الله تعالى:
(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [الزخرف: ٣٢]، وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) [الأنعام: ١٦٥] فالذي يعترض على قسمة الله بحسده لعباد الله إنما هو مُعترض على علم الله وحكمته، وهذا جهل وضلال، فإن الذي خلق الخلائق هو أعلم بمصالحهم ومنافعهم.

وقد قال سبحانه: (وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٢١٦]؛ قال بعض الحكماء: "من رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد، ومن قنع بعبائه لم يدخله حسد".

٣- العلم بأن الفقر والغنى ابتلاء وامتحان من الله :

فالعطاء ابتلاء، والمنع ابتلاء، الغنى ابتلاء، والفقر ابتلاء، ومن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط (وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء: ٣٥].

والمؤمن لا يكون إلا صابراً في البأساء والضراء، شاكراً في السراء والرخاء، ومن كان هذا حاله لا يحسد أحداً ولا يحقد على أحد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له». (رواه مسلم من حديث صهيب).

٤- الدعاء بالبركة :

فعن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه ما يُعجبه فليُبْرِّكْهُ، - وفي رواية فليدعُ له بالبركة - فإن العين حق». أخرج الإمام أحمد والنسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال في سهل بن حنيف لما أصيب بالعين: «علام يقتل أحدكم أخاه؟. إذا رأى أحدكم من أخيه ما يُعجبه فليدعُ له بالبركة» (أخرج النسائي وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع).

٥- سلامة الصدر :

فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ الناس أفضل؟ قال: «كلّ مخموم القلب، صدوق اللسان» قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقيّ النقيّ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد» (أخرج ابن ماجة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة) ، فإن سلامة القلوب وصفاءها ونقاءها من الغل والحقد والحسد طريق إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

خامسا :- علاج الحسد

١- استعذ بالله من شرّ الحاسدين :

فإن الله تعالى سميع لِمَن استعاذ به، عليم بما يستعيز منه، قادر على كلّ شيء... ولا حافظ للعبد ولا مُعيز له إلا الله، وهو سبحانه حَسْبُ مَنْ توكّل عليه، وكافي مَنْ لجأ إليه، وهو الذي يؤمّن خوف الخائفين، ويُجيرُ المستجيرين، ويُجيبُ دعوة المضطرين، وهو نِعَم المولى ونعم النصير بسم الله الرحمن الرحيم (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) [الفلق: ١ - ٥] .

٢- اصبر على ما أصابك :

فما نُصِر على الحاسد والعدوّ بمثل الصبر عليه، وكلّما زاد بَغْيُ الحاسدِ كان بَغْيُهُ وَبِالآ عليه، يقاتلُ به الباغي نفسه وهو لا يشعر، فبغْيُهُ سَهْمٌ يَرْمِي به نفسه؛ (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [فاطر: ٤٣]. فإذا صبر المحسود على حاسده نال حُسن العاقبة بإذن الله تعالى.

يقول عبد الله بن المعتز رحمه الله :

(اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله ***** فالتار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله)

اصبر وأطفئ نار الحاسد والباغي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشرًا وبغيًا وحسدًا، ازدادت إليه إحسانًا وله نصيحةٌ وعليه شفقةٌ؛ قال الله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [فصلت: ٣٤].

٣- احفظ الله يحفظك: فمن اتقى الله تعالى، وحفظه في حدوده وشرعه، بامتنثال أمره واجتناب نهيه والوقوف عند حدوده تولى الله حفظه ولم يكله إلى غيره؛ قال تعالى: (وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُّضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ). [آل عمران: ١٢٠].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ..» (رواه الترمذي وصححه الألباني صحيح الجامع).

فمن حفظ الله حفظه الله، ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه، فممن يخاف؟!
وممن يحذر؟!!

٤- كن دائم التوكل على الله تعالى :

فالتوكل على الله من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد عنه ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطلاق: ٣]، ومن كان الله كافيته فلا مَطْمَع فيه لعدو ولا حاسد ولا حاقد، (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) [الحجر: ٤٢].

(الَّذِينَ قَالِ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)
[آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

إذا عُرِفَ العائنُ يؤمر بالاغتسال، ثم يؤخذ الماء الذي اغتسل فيه، ويُصَبُّ على المحسود من خلفه، فيبرأ بإذن الله تعالى ، فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: " اغتسل أبي سهلُ بنُ حنيف بالخرار [وادي بالمدينة]، فنزع جبَّة كانت عليه، وعامرُ بن ربيعة ينظر إليه، وكان سهل شديدَ البياض، حسنَ الجلد، فقال عامر: ما رأيتُ كالْيَوْم، ولا جِلْدَ مُخَبَّأة عذراء، فوُعِكَ [أصيب بمغص شديد] سهل مكانه، واشتد وعكه، فأخبر رسول الله ﷺ بوعكه، فقيل له: ما يرفع رأسه، فقال: ((هل تتهمون له أحدًا؟)) قالوا: عامر بن ربيعة، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتغيَّظ عليه، فقال: ((علامَ يقتل أحدكم أخاه؟! ألا برَّكتَ، اغتَسِلْ له))، فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره [ما يلي الجسد من الإزار] في قَدَح، ثم صب عليه من ورائه، فبرأ سهل من ساعته" [رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني] .

الحلف بغير الله

العناصر :-

- * معنى الحلف .
- * حكم الحلف بغير الله .
- * معرفة أنواع الحلف .
- * كفارة الحلف .

مقدمة : انتشر الحلف في أوساط المسلمين، وأصبحوا يستخدمونه، ويكثرون منه في صغائر الأمور وعظائمها، بحاجةٍ أو دون حاجةٍ، حتى صار مألوفاً بين الناس وغير مستنكر، والحلف: هو تقوية وتأکید أحد طرفي الخبر، بذكر الله تعالى، أو صفةٍ من صفاته العليّيا، وقد نهى الله -عزّ وجلّ- عن الإكثار من الحلف، ودليل ذلك قول الله -تعالى- في القرآن الكريم: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ)، سورة القلم فكلمة حَلَّافٍ الواردة في الآية، صيغة مبالغة يّراد بها من يكثر الحلف دون حاجةٍ، كما نهى الله -تعالى- عن الجرأة في الحلفان به، وجعله بذلك عرضةً للإيمان، ودليل ذلك قول الله تعالى: (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ) (سورة البقرة)

كما ورد الأمر في القرآن الكريم للمؤمنين بحفظ إيمانهم؛ أيّ صيانة ألسنتهم عن الإكثار من الحلف، وصيانة إيمانهم بالبر بها، وتجنّب الحنث، والحكمة من التوجيه إلى عدم الإكثار من الحلف، أنّ ذلك أدعى لنقض المحلوف عليه، ممّا يؤدي إلى استهانة الإنسان باسم الله عزّ وجلّ، كما أنّ كثرة الحلف صفة الكفار، والمنافقين؛ وذلك لأنّ طبعهم ينطوي على الكذب والمراوغة .

الحلف في اللغة: مصدر حلف، يحلف حلفاً، وهو الملازمة؛ لأن الإنسان يلزمه الثبات على ما حلف عليه، ويسمى (اليمين) لأن المتحالفين كان أحدهما يصفق بيمينه على يمين صاحبه ويسمى أيضاً (القسم). والحلف في الاصطلاح: توكيد لشيء بذكر معظم مصدراً بحرف من حروف القسم.

وفي الاصطلاح : توكيد الشيء بذكر اسم أو صفة لله تعالى مصدراً بحرف من حروف القسم ، وقد أجمع أهل العلم على أن اليمين المشروعة هي قول الرجل: والله، أو بالله، أو تالله فيقول الحالف في قسمه (والله أو بالله أو تالله ، أو بأيّ اسم من أسمائه الحسنی كالعزيز والحكيم وغيرها أو يقسم بصفةٍ من صفاته كعزة الله وقدرته أو غيرها من الصفات) واليمين عبادة من العبادات التي لا

يجوز صرفها لغيره الله (فيحرم الحلف بغيره تعالى، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله، وإلا فليصمت)) متفق عليه. فمن حلف بغير الله سواء أكان نبياً أم ولياً أم الكعبة أم غيرها فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، ووقع في الشرك، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)) (صححه الألباني) ولأن الحلف فيه تعظيم للمحلوف به، فمن حلف بغير الله كائناً من كان، فقد جعله شريكاً لله عز وجل في هذا التعظيم الذي لا يليق إلا به سبحانه وتعالى، وهذا من الشرك وإن كان الحالف إنما أشرك في لفظ القسم لا غير، أما إن كان الحالف قصد بحلفه تعظيم المخلوق الذي حلف به كتعظيم الله تعالى، كما يفعله كثير من المتصوفة الذين يحلفون بالأولياء والمشايخ أحياء وأمواتاً تعظيماً لهم ، حتى ربما بلغ تعظيمهم في قلوبهم أنهم لا يحلفون بهم كاذبين مع أنهم يحلفون بالله وهم كاذبون، فهذا شرك أكبر، لأن المحلوف به عندهم أجل وأعظم وأخوف من الله تعالى .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر ابن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: ((ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)) وفي رواية قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ذاكراً (عامداً) ولا أثراً (مختاراً). (متفق عليه)

ولأحمد ومسلم والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله)) وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من حلف بالأمانة فليس منا)) (رواه أبو داود وصححه الألباني)

وعن قتيلة بنت صيفى أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولون ما شاء الله ثم شئت) (رواه النسائي وصححه الألباني) وقد ثبت في كفاية الحلف بغير الله حديث في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله)

قال ابن مسعود رضي الله عنه: " لئن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً "

ويُثار هنا سؤال : لماذا يقسم الله بالمخلوقات كالشمس والقمر والليل، أثار ذلك الحافظ ابن حجر في “فتح الباري” وخلاصة ما جاء فيه: أن الله أن يقسم بما شاء من خلقه “لا يُسألُ عما يفعلُ” وذلك لتعظيم المحلوف به وهو - سبحانه - صاحب الأمر في خلقه، وفيه لفتٌ لأنظارنا أن نتدبر وجه العظمة في هذا المقسم به.

أنواع اليمين

١ - اليمين اللغو . ٢ - اليمين المنعقدة . ٣ - اليمين الغموس .

يمين اللغو وحكمها :

ويمين اللغو: هي الحلف من غير قصد اليمين، كان يقول المرء: كأن يدرج على اللسان لفظ اليمين بغير قصد له كأن يقول (لا والله ، والله لتأكلن، أو لتشربن أو لتحضرن. ونحو ذلك لا يريد به يمينا ولا يقصد به قسما، فهو من سقط القول)

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: أنزلت هذه الآية: (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ) في قول الرجل: لا والله. وبلى والله وكلا والله. رواه البخاري مسلم وغيرهما. وقال مالك، رضي الله عنه، والأحناف، والليث، والأوزاعي: لغو اليمين أن يحلف على شيء يظن صدقه، فيظهر خلافه، فهو من باب الخطأ.

وحكم هذا اليمين : أنه لا كفارة فيه، ولا مؤاخذه عليه.

اليمين المنعقدة وحكمها :

واليمين المنعقدة هي اليمين التي يقصدها الحالف ويؤكد عليها، وتكون في المستقبل من الأفعال ، وتكون على أمرٍ ممكن ، وهذه تجب فيها الكفارة عند الحنث (عدم الوفاء بها).

قال الله تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ هَلِيكُمُ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) (المائدة: ٨٩)

وقد شرعها الله رحمةً بالناس للخروج منها (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) (التحرير : ٢)

وفي الحديث المتفق عليه أنه صلى الله عليه وسلم قال (من حلف على يمين ، فرأى غيرها خيراً منها فليأتها وليكفر عن يمينه)

والذي يكفر اليمين المنعقدة إذا حنث الحالف :

- * الإطعام (نصف صاع لكل مسكين) .
 - * الكسوة (كسوة عشرة مساكين وأقله ثوبٌ يجزؤه في الصلاة) .
 - * العتق وهذه الثلاثة على التخيير فمن لم يجد يأتي في الترتيب بعدها (صيام ثلاثة أيام).
- ويظن بعض الناس ان كفارة الحلف هي صيام ثلاثة أيام نقول له نعم ولكن بعد عدم الاستطاعة بالإطعام أو الكسوة أو العتق .

وهذه الكفارة لا تجب إلا بشروط :

- الأول :** أن تكون اليمين منعقدة قاصداً لها قال تعالى : (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) فيخرج يمين اللغو ويخرج كذلك سبق اللسان فلا كفارة عليهما .
- الثاني :** أن يكون الحالف مختاراً : فيخرج المكره فلا تتعقد يمينه ولا كفارة عليه ، وفي الحديث (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) (صححه الألباني في إرواء الغليل) .
- الثالث :** أن يحنث في يمينه : وذلك بأن يحنث في يمينه بأن يفعل ما حلف على تركه ، أو يترك ما حلف على فعله ذاكرًا ليمينه مختارًا أما إذا حنث في يمينه ناسيًا أو مكرهًا فلا كفارة عليه للحديث المتقدم .

أما من استثنى في يمينه فقال والله – إن شاء الله – أفعل كذا أو لا أفعل كذا فحنث فلا كفارة عليه إذا نقض يمينه لحديث (من حلف فقال : إن شاء الله لم يحنث) (رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني).

اليمين الغموس وحكمها :

واليمين الغموس وتسمى أيضا : الصابرة - وهي اليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق ، أو التي يقصد بها الغش والخيانة ؛ عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أكبر الكبائر الشرك بالله واليمين الغموس) (رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم (خمس ليس لهن كفارة الشرك بالله وقتل

النفس بغير حق وبهت المؤمن والفرار من الزحف ويمين صابرة يفتطع بها مالا بغير حق)

(رواه البخاري)

ومعنى يمين صابرة أي : وهى اليمين الغموس ، وسميت صابرة من الصبر ، وهو الحبس

والإلزام ؛ لأن صاحبها يلزم بها ويحبس عليها وتكون لازمة له من جهة الحكم ، وهى كبيرة من

كبائر الإثم ، وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها فى الإثم ثم تغمسه فى نار جهنم ، وتجب التوبة

منها ورد الحقوق إلى أصحابها لا كفارة لها إلا ذلك .

فضل الذكر

العناصر :-

- * أهمية وفضل الذكر .
- * منزلة أهل الذكر.
- * نماذج للتأسي بالسلف الصالح .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أما بعد.

إنَّ من أفضل الأعمال الصالحة اليسيرة التي تقرب المسلم إلى ربه جل وعلا الذكرُ.

وقد ذكر الله تعالى الذاكرين في كتابه بأجل الذكر، فقال الله سبحانه: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وبيَّن في آية أخرى فضل الذكر، وأنه تطمئن به قلوب أهل الإيمان؛ فقال: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨] **للذكر فضائل عظيمة قد نصَّ عليها الكتاب العظيم، والسنة النبوية، نذكر منها:**

١- ذكرُ الله أكبرُ من كلِّ شئٍ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) [العنكبوت: ٤٥].

٢- الله سبحانه وتعالى يذكرُ من يذكره

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) [البقرة: ١٥٢].

وفي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرِ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)) (متفق عليه) .

٣- الذِّكْرُ امْتِنَالٌ لِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) [الأعراف: ٢٠٥].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الأحزاب: ٤١، ٤٢٢].

٤- الذِّكْرُ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الجمعة: ١٠].

٥- الذَّاكِرُونَ اللَّهُ كَثِيرًا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٣٥].

٦- ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ أَثْقَلِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ((كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)) (متفق عليه).

٧- الذِّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا :

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ)) [رواه مسلم].

٨- الذُّكْرُ يَعْدِلُ عُنُقَ أَرْبَعِ رِقَابٍ وَهُوَ أَفْضَلُ شَيْءٍ يَأْتِي بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمَلَكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةٌ مَرَّةً كَانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةٌ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةٌ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ)) (متفق عليه)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِئَةً مَرَّةً، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)) متفق عليه ، وفي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

((مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمَلَكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلِ)) (متفق عليه).

٩- الذُّكْرُ أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى •

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)) (رواه مسلم).

١٠- ذَكَرَ اللَّهُ يُثْقَلُ مَوَازِينُ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ •

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)) (رواه مسلم)

١١- لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوصِيَ أَحَدَ أَصْحَابِهِ أَوْصَاهُ بِالذِّكْرِ •

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: عَلَّمَنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: ((قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ))، قَالَ: فَهَوَلاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي)) (رواه مسلم)

١٢ - ذكر الله سبحانه وتعالى أفضل الأعمال:

في الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ [الدُّثُورُ: جمع دَثْر، وَهُوَ: المال الكثير] بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ، يَحْجُونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، فَقَالَ: ((أَلَا أَعَلَّمُكُمْ شَيْئًا تَدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعَدَكُمْ، وَلَا يَكُونَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟))، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((تَسْبَحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ))، قَالَ أَبُو صَالِحٍ الرَّاوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ قَالَ: يَقُولُ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ)) متفق عليه، وزاد مسلمٌ في روايته: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ))؛ وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ عَنْ مَالِكِ بْنِ يُخَامَرَ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُمْ: إِنَّ آخَرَ كَلَامٍ فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: ((أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)) (صححه الألباني).

١٣ - ذكر الله عملٌ يسيرٌ وأجره عظيمٌ :

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ((أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟))، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: ((يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيَكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ)) (رواه مسلم).

١٤ - الذَّاكِرُونَ لَهُمْ أَجْرُ الْمُتَصَدِّقِينَ :

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي دَرَّزِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سَلَامٍ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيَجْزِي مِنْ ذَلِكَ رَكَعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى)) (رواه مسلم).

١٥- مثل الذاكر كالحَيِّ، والذي لا يذكر ربّه كالميت :

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)) (رواه البخارى).

ورواه مسلم، بلفظ: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)). (رواه مسلم).

١٦- الذاكرون هم السابقون :

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((سَبَقَ الْمَفْرُودُونَ))، قَالُوا: وَمَا الْمَفْرُودُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)) (رواه مسلم).

١٧- ذكر الله يجعلك من المتمسكين بشرع الله :

رَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَنْتَسَبْتُ بِهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا يَزَالُ لِسَانَكَ رَطْبًا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ)) (رواه الترمذى وصححه الألبانى).

١٨- بذكر الله يُغرس لك نخلة في الجنة :

رَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ)) (رواه الترمذى وحسنه الألبانى).

١٩- غراس الجنة هو ذكر الله سبحانه وتعالى.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ أَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَفْرِي أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةٌ التُّرْبَةُ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ)) (رواه الترمذى وحسنه الألبانى).

٢٠- ذكر الله خير الأعمال عند الله :

رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَلَا أُنبئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟))، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ((ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى)) (رواه الترمذى وصححه الألبانى).

٢١- ذكر الله ينجي من عذاب الله .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: ((إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ صِقَالَهُ، وَإِنَّ صِقَالَةَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ))، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «وَالجِهَادُ، إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ» (رواه البيهقي وصححه الألبانى).

٢٢- ذكر الله بديلٌ عن قيام الليل والإنفاق في سبيل الله :

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَالبَزَارُ وَاللَّفْظُ لَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَبَخِلَ بِالمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَجَبْنَ عَنِ العَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ)) (رواه البيهقي وصححه الألبانى).

٢٣- الله يباهي ملائكته بالذين يذكرونه :

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ((مَا أَجَلَسَكُمْ؟))، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهُ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: ((اللهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟))، قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيْلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ المَلَائِكَةَ)) (رواه مسلم).

٢٤- ذكر الله سببٌ لمغفرة الذنوب :

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهُ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَوْمُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ)) (صححه الألبانى صحيح الترغيب والترهيب)

وروى الطبراني عن سهل بن حنظل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما جلس قوم يذكرون الله عز وجل، إلا ناداهم مناد من السماء: أن قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات)) (صححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب).

٢٥- ذكر الله سبباً من أسباب دخول الجنة:

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قلت: يا رسول الله ما غنيمته مجالس الذكر؟ قال: ((غنيمته مجالس الذكر الجنة الجنة)). (حسنه الألباني صحيح الترغيب والترهيب).

٢٦- الذاكرون الله كثيراً يرحمهم الله سبحانه وتعالى:

روى مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يفعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)) (رواه مسلم)

أخي المسلم: هذه نماذج للتأسي بالسلف الصالح رضي الله عنهم:

وهذه باقية من حياة هؤلاء القوم؛ تقف بك على الحياة السعيدة حقاً، و الرياض الناضرة!

لقد كان رسولنا - عليه وسلم - سيد الذاكرين وقادة المتبتلين .. تصف لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حاله؛ فتقول: «كان النبي - عليه وسلم - يذكر الله على كل أحيانه» (رواه مسلم).

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا ساعة مرة بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها!).

• قال أحد السلف: (ما أعلم معصية أقبح من ترك ذكر الله تعالى).

• قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: (ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى).

• قال مجاهد رحمه الله تعالى: (من استطاع ألا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه).

• قال الربيع بن خثيم: (أقل الكلام إلا من تسع: تكبير، وتهليل، وتسبيح، وتحميد، وسؤالك الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر وقراءة القرآن).

ولمّا حضرت الوفاة أبا بكر بن عياش رحمه الله بكت أخته، فقال لها: « ما يُبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة! ».

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله نموذجًا فريدًا للذاكرين . قال تلميذه ابن القيم رحمه الله : «حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صَلَّى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغذَّ الغداء سقطت قوتي! أو كلامًا قريبًا من هذا» وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : (إنَّ في الدنيا جَنَّةَ مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ، قالوا: وما هي يا إمام؟ قال: مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرُهُ) .

وقال ابن القيم أيضًا: « وقال لي مرة: لا أترك الذِّكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعدَّ بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلامًا هذا معناه.» ، وقال ابن القيم أيضًا : (إنَّ العبدَ ليأتي يومَ القيامةِ بسيئاتٍ أمثالَ الجبالِ فيجدُ لسانَهُ قد هدمَهَا مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى) وقال ابن القيم أيضًا : (وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ وَأَنْفَعُهُ مَا وَاطَأَ فِيهِ الْقَلْبُ اللَّسَانَ، وَكَانَ مِنَ الْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ وَشَهِدَ [تَفَكَّرَ] الذَّاكِرُ مَعَانِيهِ وَمَقاصِدَهُ).

قال مسعر رحمه الله : (كانت دوابُّ البحر في البحر تَسْكُنُ ، ويوسفُ عليه السلام في السجن لا يسكن عن ذكر الله تعالى).

وكان لأبي هريرة رضي الله عنه خيطٌ فيه ألفا عُقدة ، فلا يُنام حتَّى يُسَبِّحَ به ، وكان خالد بن معدان رضي الله عنه يُسَبِّحُ كلَّ يوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن ، فلما مات وضع على سريره ليغسل ، فجعل يُشير بأصبعه يُحركها بالتسبيح ؛ وقيل لعمير بن هانئ رحمه الله : (ما نرى لسانك يَفْتُرُ ، فكم تُسَبِّحُ كلَّ يوم ؟ قال : مئة ألف تسبيحة ، إلا أن تُخطئ الأَصابع ، يعني أَنَّهُ يَعُدُّ ذلك بأصابع). قال عبد العزيز بن أبي دَوَّاد : (كانت عندنا امرأةٌ بمكة) تُسَبِّحُ كلَّ يوم اثني عشرة ألف تسبيحة ، فماتت ، فلما بلغت القبر ، اختلست من بين أيدي الرجال).

أخي المسلم: لقد كانت تلك رحلة قصيرة في رياض الذاكرين، تفهم منها ما كان عليه الصالحون من سلف هذه الأمة من صدق العبادة والجد في القصد، حتى غدوا أريجًا يملأ الأكوان شذى وعرفًا، فلا يفوتنك ركب الذاكرين، وأقبل على ربك تعالى؛ وقف ببابه للخدمة، وعفر الوجه؛ عسى أن تفوز بالزلفى ورفعة الدرجات، فإن ذكر الله تعالى أغلى بضاعة تفوز بها في الدنيا، وأنفع زاد تقدم به يوم القيامة! فبادر إلى طريق الذاكرين، واطرد الغفلة وطول الأمل، واسأل الله تعالى أن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته .

الهموم الداء والدواء

العناصر :-

- ✽ إن الدنيا دار ابتلاء •
- ✽ أسباب الهموم التي تصيب الإنسان •
- ✽ علاج الهموم من الكتاب والسنة •

مقدمة: لقد خلق الله الدنيا مميزة عن الآخرة، وجعل في دار الابتلاء بصد ما في دار الكرامة، فكما أن دار الكرامة وهي الجنة لا هم فيها، ولا حزن، ولا غم، ولا ألم، فإن في الجنة ما به تسر أرواح المؤمنين، وما يكون فيه بهجة ولذة دائمة، وأما الدنيا فهي دار هموم وغموم، وأحزان وآلام، ولكن من رحمة الله تعالى أنه يخلق الداء ويخلق الدواء، ويقدر هذا الألم ويعرفنا بما يعالجه ويزيله، وكثيراً ما تصيب الإنسان في الدنيا هموم وغموم وأحزان، فالحزن في الحاضر، والغم على شيء مضى، والهم من شيء سيأتي، فماذا يفعل الإنسان إذا أصابته الهموم والأحزان، وما هي العلاجات الشرعية عندما تحوطه هذه الآلام؟

أسباب الهموم التي تصيب الإنسان :

✽ أول سبب من أسباب هذا المرض: هو التتكب عن صراط الله المستقيم:

وأكثر من يصاب بهذا المرض ممن لا ديانة له أو ضعف إيمانه، فمن لا دين له غالباً يؤول به الأمر إلى الهم والغم والمرض والضعف والشقاء قال الله - عز وجل:-
(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) [طه: ١٢٤ - ١٢٧].

قال ابن كثير رحمه الله : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي } أَي: خَالَفَ أَمْرِي، وَمَا أَنْزَلْتُهُ عَلَى رَسُولِي، أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَنَاسَاهُ وَأَخَذَ مِنْ غَيْرِهِ هُدَاهُ { فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً } أَي: فِي الدُّنْيَا، فَلَا طُمَأْنِينَةَ لَهُ، وَلَا انشِرَاحَ لِصَدْرِهِ، بَلْ صَدْرُهُ [ضَيْقٌ] حَرَجَ لِضَلَالِهِ، وَإِنْ تَنَعَّمَ ظَاهِرُهُ، وَلَيْسَ مَا شَاءَ وَأَكَلَ مَا شَاءَ، وَسَكَنَ حَيْثُ شَاءَ، فَإِنَّ قَلْبَهُ مَا لَمْ يَخْلُصْ إِلَى الْيَقِينِ وَالْهُدَى، فَهُوَ فِي فَلَاقٍ وَحَيْرَةٍ وَشَكٍّ، فَلَا

يَزَالُ فِي رِبِيَّةٍ يَتَرَدَّدُ. فَهَذَا مِنْ ضَنْكِ الْمَعِيشَةِ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:
{فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} قَالَ : الشَّقَاءُ. }

✽ السبب الثاني: ضعف الإيمان بقضاء الله وقدره :

فكم من إنسان نزلت به النوازل وألمت به الملمات وليس عنده إيمان بقضاء الله وقدره وفي الحديث : (فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك) (صحيح سنن ابن ماجه رقم ٦٢ للألباني).

✽ السبب الثالث: الغفلة والبعد عن ذكر الله :

يقول الله عز وجل (وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (الزخرف: ٣٦)؛ قال الجزائري رحمه الله في أيسر التفاسير (ومن يعش عن ذكر الرحمن: أي يعرض متعاميا متغافلا عن ذكر الرحمن الذي هو القرآن متجاهلا له ، نقيض له شيطانا: أي نجعل له شيطانا يلازمه لإضلاله وإغوائه ، فهو له قرين: أي فهو أي من عشا عن ذكر الرحمن قرين للشيطان ، وإنهم ليصدونهم عن السبيل: أي وإن الشياطين المقارنين لهم ليصدون عن طريق الهدى ، وطاعته أنهم مهتدون أي أنهم على الحق والصواب وذلك بتزيين القرين لهم.)

علاج الهموم من الكتاب والسنة .

✽ أول علاج هو اتباع طريق الله بالإستقامة على صراطه المستقيم:

قوله تعالى(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: ١٢٥]
قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

{ قال السعدي رحمه الله - : أي: إن الذين أقروا بربهم وشهدوا له بالوحدانية والتزموا طاعته وداموا على ذلك و{استقاموا} مدة حياتهم {فلا خوفٌ عليهم} من كل شر أمامهم، {ولا هم يحزنون} على ما خلفوا وراءهم. {؛ كم تجد من السرور حين تصلي!! وكم تجد من الفرحة وخفة الروح حين تذكر الله وحين تتوكل عليه فيجمع أمورك! كم تجد من سعادة وفرح في النفس حين تقرأ كلام الله عز وجل!

إنه دين الله تعالى، إذا اتباع هدى الله علاج يذهب الهم والحزن والاكتئاب.

* العلاج الثاني: الرضا بقضاء الله تعالى وقدره يزيدك إيماناً :

فأيقن أن هذا خير لك، "فما يصيب المؤمن هم ولا حزن، حتى الشوكة يشاكها إلا رفعه الله بها درجة". أخرجه مسلم وحديث صهيب رضي الله عنه: "عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن". (أخرجه مسلم).

* العلاج الثالث ذكر الله والتضرع بالدعاء :

وهو أن تكون دائماً ذاكراً لله تعالى؛ يقول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) [الرعد: ٢٨، ٢٩] ، فالقلب المضطرب الذي لا يجد الطمأنينة؛ الهمُّ إليه أقرب، والحزن إليه أقرب، والاكنتاب يدور من حوله من جميع الجهات، فذكر الله -عزَّ وجل- مُذهب وطارِد للهم والحزن والاكنتاب، فإذا ألمَّ أو نزل بك أمر فقل: يا الله، وإذا نزل بك كرب فالجأ إلى الله وادعه؛ يذهب عنك الحزن، وينترد عنك الهم، ويبتعد عنك الاكنتاب بإذن الله -جل وعلا-. هو الله سبحانه الذي خلق هذه النفس ويعلم ما يناسبها وما يلائمها وما يعالجها: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الملك: ١١٤].

وأما الالتجاء إلى الله بالدعاء والانكسار والتذلل بين يديه، وإظهار الضعف والحاجة إليه سبحانه؛ فإن هذا من أنفع وأنجع الأدوية لذهاب الحزن؛ يقول -عليه الصلاة والسلام-: "ما أصاب عبداً هم أو حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، عدل فيّ قضاؤك، ماضٍ في حكمك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، وجلاء همي، وذهاب حزني؛ إلا أذهب الله تعالى عنه همه وحزنه" (رواه أحمد وصححه الألباني)؛ إنه دعاء قليل المباني، عظيم المعاني، يشعر الإنسان حينما يبدأ بقوله: "اللهم إني عبدك"، أي إنني فقير متذلل إليك، أبي عبدك وأمي أمتك، ناصيتي بيدك فأنت تهديها وأنت تضلها وأنت تتصرف فيها... إلى آخر الدعاء، والله ما من إنسان يدعو بهذا الدعاء وهو موقن بالإجابة ويتدبر معانيه إلا وقد أذهب الله عنه همه وغمه وهذا صريح في قوله صلى الله عليه وسلم (إلا أذهب الله تعالى عنه همه وحزنه)، دعاء كشف الكرب قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم [رواه البخاري ٧٤٣١].

(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ) (رواه الترمذى وحسنه الألبانى صحيح الجامع) ودعاء (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن) (رواه البخاري: ٢٨٩٣))

✽ العلاج الرابع : الإكثار من النوافل بعد الفرائض :

فإذا أكثرت من النوافل كنت أقرب إلى الله -جل وعلا-، إن الله تعالى قال فى الحديث القدسى : "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته". أخرجه البخارى . وقوله (وأنا أكره مساءته) يتضمن معنى كراهية مساءته أنه يكره أن يصيبه همٌ أو حزن ؛ أي أنك تسير على منهاج الله وبتوفيق من الله -عز وجل-، فلا يضيق صدرك ولا ينتابك هم ولا حزن -بإذن الله سبحانه وتعالى-، فانظر في نفسك هل أنت ممن يصلي شيئاً من صلاة الضحى!! وهل أنت ممن يتقرب إلى الله فى جوف الليل! هل أنت ممن يحافظ على النوافل قبل الفرائض وبعدها؟! هل أنت ممن يصوم شيئاً من النوافل مثل الإثنين والخميس والأيام البيض!! إذا كنت من هذا الصنف فأنت من الحزن أبعد، وإن أصابك شيء من الحزن فإنه سحابة صيف عن قريب تنفث عنك - بإذن الله تعالى-.

✽ العلاج الخامس : كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

ولذلك جاء عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (قلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ. قَالَ: قُلْتُ: الرَّبُّعُ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: النِّصْفُ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ)

(رواه الترمذى وحسنه الألبانى) إذا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تزيل الهموم، ويكفى الإنسان بها من الغوم.

✽

✽

✽

✽ العلاج السادس : الرفقة الصالحة الطيبة :

الذين يأمرونك بالخير وينهونك عن الشر ويثبتونك على دين الله تعالى وفي الحديث الصحيح عن فضل مجالسة أهل الصلاح من أهل الذكر (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) (صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢١٧٣) ويشرع للمؤمن أن يلتصق بالأخيار وأن يجالسهم - أهل العلم وأهل الدين والإيمان الذين ليس عندهم شيء من المعاصي الظاهرة- أهل الخير المعروفين، يستحب العناية بمجالستهم حتى يستفيد منهم، وحتى يتأسى بهم في الخير، وحتى يبتعد عن أهل الشر، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل، حسنه الألباني ويقول صلى الله عليه وسلم: مثل الجليس الصالح كحامل المسك: إما أن يحذيك يعني: يعطيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ومثل الجليس السوء كنافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة) (صححه الألباني صحيح الجامع).

اللهم إننا عبيدك بنو عبيدك بنو إيمانك ، نواصينا بيدك، عدل فينا قضاؤك، ماض في حكمك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وجزاء همومنا، وذهاب أجزاننا .. اللهم إننا نعوذ بك من اللهم والحزن والعجز و الكسل وغلبة الدين وقهر الرجال ..

فضل الإيمان بأسماء الله الحسنى

العناصر :

* حقيقة الإيمان بأسماء الله الحسنى .

* فضائل الأسماء الحسنى .

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، والعاقبة للمتقين، أمّا بعد :

إخوة الإيمان : هل حديث أحسن من الحديث عن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه؟ وهل مجلس أروع وأذكى من مجلس يُعظّم فيه الخالق سبحانه؟ وهل ثمة علم أشرف من العلم بأسماء الله وصفاته ؛ هذا العلم الذي فرطنا في طلبه، وقصرنا في تفهمه حتى فترت بذلك عباداتنا، وتجرات على الخطايا جوارحنا، إنه لا يستقيم إيمان العبد حتى يعرف ربه بأسمائه وصفاته ..

قال ابن القيم - رحمه الله - : " فإن أعزّ أنواع المعارف معرفة الربّ - سبحانه - بالجمال، وأتمّ الناس معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله - سبحانه - ليس كمثله شيء في سائر صفاته".

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)
[الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى:

(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) [الإسراء: ١١٠].

وتوحيد الله جل وعلا في أسمائه وصفاته نوع من أنواع التوحيد، وهذا النوع ينبني على أصلين:

الأول: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم؛ كما قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى: ١١].

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به صلى الله عليه وسلم، على الوجه اللائق بكماله وجلاله؛ كما

قال بعد قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) : (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]، مع قطع الطمع عن

إدراك كيفية الاتصاف بهذه الصفات؛ قال تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ

عِلْمًا) [طه: ١١٠] ، وقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١] فيه: نفى

وإثبات.

اعلموا - عباد الله - أن العلمَ بالله - سبحانه - والتعرُّف على أسمائه وصفاته، وعبادته بمقتضاها بعد معرفة معناها هو خلاصة الدعوة النبويَّة؛ يقول النبي - عليه وسلم - : ((إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة)) [متفق عليه] ؛ ومعنى ذلك - والله أعلم - أن: مَنْ حَفِظَهَا وفهم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، وسأله بها واعتقدَها، دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، فعُلِمَ أنَّ ذلك أعظمُ ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوَّته وثباته ، قال الإمام الشافعي - رضي الله عنه - : جميع ما تقوله الأمة شرحٌ للسُّنة، وجميع السُّنة شرحٌ للقرآن، وجميع القرآن شرحٌ أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلى.

فتعرّفوا - عباد الله - على الله - سبحانه - بمعرفة أسمائه وصفاته، وما تقتضيها تلکم الأسماء والصفات من المعاني، فلا يمكن ولا يُعقل أن يعبدَ المسلم ربًّا لا يعرفه، ولا يعلم عنه شيئًا. لذا كان الحديث عن أسماء الله وصفاته في كلام الله تعالى قد جاوز ذكر الجنة ونعيمها والمعاد وأحواله كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ، وما ذاك إلا لأن العلم بأسماء الله وصفاته يدعو إلى عبادة الله وتعظيمه وخشيته وشكره ومحبته قال تعالى:

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف: ١٨٠]، وقال سبحانه:
(رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) [مريم: ٦٥].

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى كُلُّهَا خَيْرٌ، بَلْ كُلُّ الْخَيْرِ لَيْسَ إِلَّا ثَمَرَةً لَهَا، وَكُلُّ الْفَضْلِ لَيْسَ إِلَّا زَهْرَةً مِنْ شَجَرَتِهَا ، فَتَعَالَوْا بِنَا، أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، وَلِتَمْشِي أَقْدَامُ الْمَحَبَّةِ عَلَى أَرْضِ الْأَشْتِيَاقِ إِلَى جَنَّةِ أَسْمَاءِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلِنَدْخُلَ بَسَاتِينَهَا النَّضِرَةَ، وَلِنَقُطِفَ مِنْ فَضَائِلِهَا زَهْرَةً، وَلِنَرْتَشِفَ مِنْ عَسَلِهَا قَطْرَةً .
١- الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ:

لِمَنْ عَرَفَهَا وَآمَنَ بِهَا وَأَدَّى حَقَّهَا. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَانَةٌ إِلَّا وَاحِدَةٌ لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ".
وفي رواية: "مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ" [أخرجه البخاري ومسلم].

٢- الأسماءُ الحُسنى تُعرَّفُكَ باللهِ تعالى:

عَنْ أَبِي كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُحَمَّدُ، انْسِبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص: ١ - ٤] [رواه أحمد حسنه الحافظ في "الفتح" (٣٥٦ / ١٣) ولأجل تعدد طرقه ، وكثرة مخرجه :

حسنة الحافظ ابن حجر - كما تقدم - وكذا حسنة السيوطي في "الدر المنثور" (٦٦٩/٨) وهو حديث مشهور متداول في كتب أئمة السنة ، ويورده شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرا].

٣- الأسماءُ الحُسنى أصلُ كُلِّ عِبَادَةٍ:

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ النَّيْمِيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي بَيَانِ أَهْمِيَةِ مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى: "قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَوَّلُ فَرَضٍ فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ مَعْرِفَتُهُ، فَإِذَا عَرَفَهُ النَّاسُ عِبَادَتُهُ، وَقَالَ تَعَالَى: (فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [محمد: ١٩]، فَيُنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ وَتَفْسِيرَهَا، فَيُعَظِّمُوا اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ".

فَمَثَلًا: فَمَنْ عَرَفَ أَنَّهُ حَيٌّ كَرِيمٌ، قَوِي فِيهِ رَجَاؤُهُ، وَازْدَادَ فِيهِ طَمَعُهُ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مَنْ عِبْدَهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا" [رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح أبي داود].

٤- الأسماءُ الحُسنى أعظمُ الأسبابِ لإِجَابَةِ الدُّعَاءِ:

قَالَ تَعَالَى: (وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف: ١٨٠].

فَدُعَاءُ اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى هُوَ أَعْظَمُ سَبَابِ إِجَابَةِ الدُّعْوَةِ وَكَشْفِ الْبَلْوَةِ، فَإِنَّهُ يَرْحَمُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَنَّهُ الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، وَيَغْفِرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَنَّهُ الْغَفُورُ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِهَا، فَكَانَ يَقُولُ: "أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ - أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي..."

[روه أحمد وابن حبان وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٩٩].

وَقَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْيَ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ. فَقَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ"، وَفِي رِوَايَةٍ فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ" [صحيح أبي داود للألباني]

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ بَعْدَ التَّشَهُدِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ"، ثَلَاثًا .

[رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود].

٥- إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "سَلُّوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟" فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ" [أخرجه البخاري ومسلم].

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ: "حُبُّكَ إِيَّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ" [أخرجه البخاري].

٦- دُعَاءُ اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى أَعْظَمُ أَسْبَابِ تَفْرِيجِ الْكُرُوبِ وَزَوَالِ الْهَمُومِ:

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحَزَنَهُ وَأَبْدَلَ مَكَانَهُ فَرَحًا". فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: "بَلَى يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا".

[روه أحمد وابن حبان وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٩٩].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" [رواه البخاري]؛ وفي رواية للنسائي وصححه الحاكم عن عليٍّ: لَقَّنَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، { وَأَمْرَنِي أَنْ نَزَلَ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ أَنْ أَقُولَهَا } الحديث.

٧- الأسماءُ الحُسنى أصلُ كُلِّ العُلومِ:

قَالَ تَعَالَى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) [الحديد: ٣].

وقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ... "[رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَوَّلُ فَلَمْ يَسْبِقْهُ شَيْءٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ خَلْقِهِ، وَمِنْ ثَمَرَةِ أَفْعَالِهِ، وَمِنْ آثَارِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَكَمَا أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ سِوَاهُ فَبِإِيجَادِهِ، فَوْجُودٌ مِّنْ سِوَاهُ تَابِعٌ لَوْجُودِهِ، تَبَعَ الْمَفْعُولِ الْمَخْلُوقِ لَخَالِقِهِ، فَكَذَلِكَ الْعِلْمُ بِهَا أَصْلٌ لِلْعِلْمِ بِكُلِّ مَا سِوَاهُ، فَالْعِلْمُ بِأَسْمَائِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِحْصَاؤُهَا أَصْلٌ لِسَائِرِ الْعُلُومِ، فَمَنْ أَحْصَى أَسْمَاءَهُ كَمَا يَنْبَغِي لِلْمَخْلُوقِ أَحْصَى جَمِيعَ الْعُلُومِ؛ إِذْ إِحْصَاءُ أَسْمَائِهِ أَصْلٌ لِإِحْصَاءِ كُلِّ مَعْلُومٍ؛ لِأَنَّ الْمَعْلُومَاتِ هِيَ مِنْ مُقْتَضَاهَا وَمُرْتَبِطَةٌ بِهَا" [بدائع الفوائد: ١ / ١٦٣].

وَمِنْ أُمَّثَلَةِ ذَلِكَ: الْأَصْلُ فِي الْخَلْقِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ (الْخَالِقُ)، فَلَا يُوجَدُ خَلْقٌ غَيْرُ خَلْقِهِ، وَلَا يُوجَدُ خَالِقٌ سِوَاهُ، قَالَ تَعَالَى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [الرعد: ١٦].

وَالْأَصْلُ فِي الرَّزْقِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) [الذاريات: ٥٨]. فَهُوَ الرَّزَّاقُ، وَلَا رَازِقَ سِوَاهُ، وَكُلُّ رِزْقٍ إِنَّمَا هُوَ رَازِقُهُ، وَمَا مِنْ عَطَاءٍ إِلَّا وَهُوَ الَّذِي أَعْطَاهُ، قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُوسَى: (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) [طه: ٥٠]؛ وَالْأَصْلُ فِي الرَّحْمَةِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، فَكُلُّ رَحْمَةٍ مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَحْمَتِهِ، فَهِيَ الرَّحْمُ قَدْ اشْتَقَّ اسْمُهَا مِنْ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ أَنَّهُ قَالَ: "أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحْمُ؛ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي... "[صحيح سنن أبي داود للألباني].

٨- مَعْرِفَةُ اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ هِيَ أَصْلُ خَشْيَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

إِنَّ الْعِلْمَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ - جَلَّ تَنَاوُهُ - وَصِفَاتِهِ وَمَعْرِفَةَ مَعَانِيهَا يُحْدِثُ خَشْيَةً وَرَهْبَةً فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، فَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ فَهُوَ مِنْهُ أَخَوْفٌ، وَمَنْ كَانَ بِهِ أَعْلَمَ كَانَ عَلَى شَرِيْعَتِهِ أَقْوَمَ، قَالَ تَعَالَى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر: ٢٨].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: (إِنَّمَا يَخَافُ اللَّهَ، فَيَتَّقِي عِقَابَهُ بِطَاعَتِهِ، الْعُلَمَاءُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) [جامع البيان في تفسير القرآن: ٨٧ / ٢٢].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (لَيْسَ الْعِلْمُ عَنْ كَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةَ) [الزهد للإمام أحمد ص: ١٥٨]، (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر: ٢٨].

وَلِذَلِكَ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ خَشْيَةً لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِهِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً" [أخرجه البخاري ومسلم]، وفي حديثٍ آخَرَ قَالَ ﷺ: "إِنَّ أَنْفَاكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَنَا" [أخرجه البخاري].

فَمَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَسَاسُ تَعْظِيمِهِ وَخَشْيَتِهِ، وَأَعْظَمُ أَسْبَابِ الْبُعْدِ عَمَّا يُغْضِبُهُ. فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُتْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيُرَدُّ عَلَيْهِ: لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا" [السلسلة الصحيحة للألباني ١٥٠]، أَي: لَوْ عَلِمَ الْحَالِفُ بِاللَّهِ كَذِبًا عَظَمَةَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ لَخَشِيَهُ وَاتَّقَاهُ، وَمَا اجْتَرَأَ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ وَأَمْتَالِهِ.

٩- مَنْ عَرَفَ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى كَمَا يَنْبَغِي فَقَدْ عَرَفَ كُلَّ شَيْءٍ: أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ، إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى كُلَّهَا حُسْنٌ وَبِرَكَّةٌ، وَمِنْ حُسْنِهَا أَنَّهَا تُعْرَفُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى حَقِيقَتِهِ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَقْرِيطٍ. فَمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ، عَرَفَ أَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ مَخْلُوقٌ، قَالَ تَعَالَى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [الرعد: ١٦].

وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الرَّزَّاقُ، عَلِمَ أَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ مَرْزُوقٌ، قَالَ تَعَالَى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) [هود: ٦]، وَكَذَلِكَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ الرَّزْقَ سِوَاهُ، قَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ) [النمل: ٦٤].

وَمَنْ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الْمَلِكُ، عَرَفَ أَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ مَمْلُوكٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَبِاللَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) [المائدة: ١٧].

ولذلك قيل: مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ فَقَدْ عَرَفَ نَفْسَهُ؛ فَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ بِالْغِنَى، عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْفَقْرِ، قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥].

فَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ بِالْبِقَاءِ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْفَنَاءِ، قَالَ تَعَالَى:

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِالْعِلْمِ، عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْجَهْلِ، قَالَ تَعَالَى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٢١٦]؛ وَحِينَ رَكِبَ الْخَضِرُ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّفِينَةَ، نَظَرَ إِلَى عُصْفُورٍ قَدْ نَقَرَ فِي

الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقَرَتَيْنِ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "مَا عَلِمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ" [أخرجه البخاري ومسلم].

فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، عَلِمَ أَنَّهُ بِالْكَمَالِ مَوْصُوفٌ، وَبِالْإِحْسَانِ وَالْجَمَالِ وَالْحَلَالِ مَعْرُوفٌ، وَعَرَفَ أَيْضًا نَفْسَهُ بِكُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، إِلَّا أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَمَالَ الْإِيمَانِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ فَيُورِثَ لَهُ ذَلِكَ عُبُودِيَّةً صَادِقَةً بِالْإِنْكَسَارِ بَيْنَ يَدَيْ الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَنْزِلُ لِعِزَّتِهِ وَيَخْضَعُ لِقُوَّتِهِ.

وَهَذَا هُوَ دَابُّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فَهِيَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَبَّدُ لِرَبِّهِ بِذَلِكَ فَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ..." [أخرجه البخاري]؛ فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّهُ وَإِلَهُهُ وَخَالِفُهُ، عَرَفَ نَفْسَهُ بِعُبُودِيَّتِهِ لَهُ، فَقَالَ: "وَأَنَا عَبْدُكَ..."؛ وَقَالَ أَيْضًا فِي دُعَاءِ الاسْتِخَارَةِ: "فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ..." [رواه أبو داود وصححه الألباني من حديث جابر].

١٠- لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ:

وَمِنْ فَضَائِلِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى أَنَّهَا يُسْتَجَلَبُ بِهَا الْخَيْرُ، وَيُسْتَدْفَعُ بِهَا الشَّرُّ، فَاسْمُ اللَّهِ يَدْفَعُ الضَّرَرَ وَيَرْفَعُهُ فَعَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ" [صحيح سنن ابن ماجة للألباني].

١١ - الأسماءُ الحُسنى وأثرها في الحلالِ والحرامِ:

وَلَمْ تَقْتَصِرْ فَضَائِلُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَبَرَكَتُهَا عَلَى حَيَاةِ الْقُلُوبِ وَتَفْرِيجِ الْكُرُوبِ، بَلْ وَكَذَلِكَ كَانَ لَهَا أَعْظَمُ الْأَثْرِ فِي الْفِقْهِ، فَتَرَى أَنَّ ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ قَدْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. فَأَحَلَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذَّبِيحَةَ الَّتِي ذَكَرَ اسْمُهُ عَلَيْهَا، بَلْ وَأَمَرَ بِالْأَكْلِ مِنْهَا. قَالَ تَعَالَى: (فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ) [الأنعام: ١١٨]. وَعَاتَبَ مَنْ لَا يَأْكُلُ مِمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) [الأنعام: ١١٩].

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُرْسِلُ كِلَابِي الْمَعْلَمَةَ؟ قَالَ: " إِذَا أُرْسِلَتْ كِلَابُكَ الْمَعْلَمَةَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَأَمْسَكْنَ فَكُلْ " [أخرجه البخاري ومسلم].

وَقَدْ نَهَى عَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ أَوْ الصَّيِّدِ الَّذِي لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) [الأنعام: ١٢١].

١٢ - العِلْمُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى أَعْظَمُ الْعُلُومِ وَأَشْرَفُهَا:

إِنَّ أَشْرَفَ الْعُلُومِ هِيَ الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ، وَأَشْرَفُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ هُوَ الْعِلْمُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى؛ لِتَعَلُّقِهَا بِأَشْرَفِ مَنْ يُمَكِّنُ التَّعَلُّمَ عَنْهُ؛ وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: " وَالْقُرْآنُ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، أَكْثَرُ مِمَّا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالنِّكَاحِ فِي الْجَنَّةِ، وَالآيَاتُ الْمَتَضَمِّنَةُ لِذِكْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ أَعْظَمُ قَدْرًا مِنْ آيَاتِ الْمَعَادِ، فَأَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ الْمَتَضَمِّنَةُ لِذَلِكَ - أَيُّ لِسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي بَنٍ كَعْبٍ: " أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ "، قَالَ: قُلْتُ: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: " وَاللَّهِ لَيَهْنِكُ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ " [أخرجه مسلم]؛ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ؛ أَنَّ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ " [أخرجه مسلم].

١٣ - بَرَكَتُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فِي الْمَعِيشَةِ:

قَالَ تَعَالَى: (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن: ٧٨]؛ وَمِنْ بَرَكَتِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقْرُبُ مَا ذَكَرَ عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ" [صححه الألباني في الأدب المفرد].

١٤- بَرَكَةُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى تُلْحَقُ الذَّرِيَّةَ:

فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا يَرُويهِ عَنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا" [أخرجه البخاري ومسلم].

١٥- أَسْمَاءُ اللَّهِ أَعْظَمُ أَسْبَابِ الشِّفَاءِ: فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ خَالِقُ الْبَدَنِ وَيَعْلَمُ دَاءَهُ، وَبِيَدِهِ وَحْدَهُ شِفَاؤُهُ، وَدَوَائِيهِ، وَخَيْرُ دَوَائِيهِ، وَأَعْظَمُ شِفَاءٍ هُوَ أَسْمَاءُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِذَلِكَ حِينَ عَادَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ لَمْ يَجِدْ سَبَبًا لِلشِّفَاءِ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَرْقِيَهُ بِاسْمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَشْتَكَيْتَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ" [أخرجه مسلم].

١٦- معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا هي الطريق إلى إصلاح القلوب وتزكية النفوس:

إن مما ينبغي أن يعتني به كلُّ إنسان - لا سيما في خضمِّ هذه الفتن المتلاحقة، والملهيات المتتابعة - أن يزكي نفسه، ويجلو صدأ قلبه، وقد أمر الله تعالى بذلك، بل ربط الفلاح بذلك، فقال: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) [الشمس: ٩]، وقال: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) [الأعلى: ١٤]؛ وتزكية النفس هي دعوة الأنبياء والمرسلين؛ ولذلك لما دعا موسى عليه السلام فرعون قال له: (هَلْ لَكَ إِلَيَّ أَنْ تَزَكَّى) [النازعات: ١٨]، قال تعالى عن دعوة النبي ﷺ: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الجمعة: ٢]؛ وقد بيَّن النبي ﷺ معنى التزكية بكلمة جامعة مانعة، لها علاقة ساطعة بمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، حين سأل رجل النبي ﷺ: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ فقال: ((يعلم أن الله معه حيث كان)) [رواه البيهقي، وصححه الألباني في الصحيحة]؛ وهذه الكلمة هي جماع الإحسان، وهي تعبدُّ بأسماء الله العليم الرقيب الحسيب الشهيد السميع البصير سبحانه وتعالى وما ترتب على الإيمان بها من آثار .

حول اسم الله الحفيظ

العناصر :-

* معاني اسم الله الحفيظ .

* الآثار العلمية للإيمان باسم الله الحفيظ .

* الآثار العملية للإيمان باسم الله الحفيظ .

وهذه وقفة إخوة الإيمان مع اسم من أسماء الملك الديان نتفهم معانيه ونتأمل أسرارهِ ونتطلب آثارهِ.

" الحفيظ " :

اسم من أسماء الله الحسنی تضمن صفة الحفظ، ومعناه يدور على العلم والإحاطة والصيانة والرعاية.

سمى نفسه سبحانه بهذا الاسم في مواضع من كتابه، قال تعالى: (وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) [سبأ: ٢١]، وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) [الشورى: ٦].

وعرف هذا الاسم الحسن أنبياء الله تعالى، فقال هود عليه السلام لقومه: (إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) [هود: ٥٧]، وقال يعقوب - عليه السلام - لبنيه: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [يوسف: ٦٤].

أولاً: معاني اسم الله الحفيظ :

واسم الحفيظ كسائر الأسماء الحسنی يدلّ على معاني كثيرة، كلّها غاية في الحسن والكمال والجمال، وقد جمعها الخطابي في قوله- كما في [شأن الدعاء " (٦٧-٦٨)]

« يحفظ السّموات والأرض وما فيهما لتبقى مدّة بقائها، فلا تزول ولا تندثر، كقوله عزّ وجلّ: (وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا) (البقرة: ٢٥٥)... وهو الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب ويقويه مصارع السّوء، كقوله سبحانه: (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) (الرعد: ١١) أي بأمرهِ، ويحفظ على الخلق أعمالهم ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نياتهم وما تكن صدورهم، ولا

تغيب عنه غائبة ولا تخفى عليه خافية، يحفظ أوليائه فيعصمهم عن موقعة الذنوب، ويحرسهم عن مكايده الشيطان، ليسلموا من شره وفتنته.»

تفصيل هذه المعاني:

١- أن الله تعالى يحفظ السماوات والأرض أن تزولا، فهو الذي يديم وجودها.

٢- ويحفظ بمشيئته العباد جميعا من المصائب والمهالك ومصارع السوء فلا يصيبهم إلا ما كتب لهم.

٣- ويحفظ أوليائه من الذنوب ويعصمهم من مكايده الشيطان.

٤- ويحفظ أعمال العباد جميعا ويحصيها ليوم الحساب فلا يضيع منها شيء.

٥- وهو الحفيظ بمعنى المحيط العليم بالخفايا والأسرار والبواطن.

والمعاني الثلاثة الأولى راجعة إلى معنى "القيومية"، والأخرى الباقية راجعة إلى معنى "العلم"، لذلك قال العلامة السعدي: «وهو يتضمن شيئين: حفظه على العباد جميع ما عملوه بعلمه وكتابته، وأمره الكرام الكاتبين بحفظه، وحفظه لعباده من جميع المكاره والشرور، وأخص من هذا حفظه لخواص عباده الذين حفظوا وصيته وحفظوه بالغيب بحفظ إيمانهم من النقص والخلل، وحفظهم وحمائتهم من الخطل والزلل، وحفظه عليهم دينهم وديناهم» [توضيح الكافية الشافية: ص ١٩٠].

ثانيا: الآثار العلمية للإيمان باسم الله الحفيظ:

١- حفظ الله تعالى لملكه:

قال الله سبحانه (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة: ٢٥٥) أي لا يتعبه القيام بذلك، وقال جل جلاله: (وَيُمَسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ) (الحج: ٦٥). وقال تعالى: [وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ] (الأنبياء: ٣٢) أي: كالسقف للبيت فكل شيء في الأرض محفوظ بما يمكنه من البقاء ما شاء الله.

٢- حفظ السماء من الشياطين :

ومن حفظ الله تعالى لأمر ملكه وتدبيره أن حفظ السماء من تمكّن الشياطين منها، قال تعالى: (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ) (الحجر: ١٦-١٨) والاستراق لا يقدر في الحفظ المذكور، فالشهب من وسائل الحفظ ومنع الجنة من الاقتراب من السماء، وقد ثبت عن عائشة أن أناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهّان، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليسوا بشيء "، قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك الكلمة من الجنّ يخطفها الجنّي فيقرها في أذن وليه قرّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة « [رواه البخاري و مسلم] .

٣- إن الله تعالى يحفظ دينه وكتابه :

ومما تكفل الله تعالى بحفظه دينه الإسلام وكتابه العزيز، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩) وما تتطرق التحريف والتبديل إلى الكتب الأخرى إلا لأنه وكل حفظها إلى أهل الكتاب، والله تعالى قادر على حفظ دينه وأوليائه وشعائر دينه بما شاء سبحانه، ومما يدل على ذلك قصة أصحاب الفيل، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) (الفيل: ٥) ، فدافع الله تعالى عن بيته بجنوده وحفظه من كيد عدوه، كما حفظ نبيه صلى الله عليه وسلم، وقال: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (المائدة: ٦٧) وقصة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة من مظاهر الحفظ الواضحة، ولا يزال الله تعالى يحفظ دينه عبر العصور ومر الدهور مع كثرة كيد الكائدين وشبهات المغرضين وتخاذل أكثر أبناء هذا الدين.

٤- حفظ الله تعالى لعباده وأوليائه : وحفظ الله تعالى للعباد مما يكرهون نوعان عام وخاص،

الحفظ العام : هو حفظه لجميع المخلوقات بتدبير شأنها وهدايتها إلى منافعها ودفع المضار والمكاره عنها، ومنه قوله تعالى: (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) (الرعد: ١١) أي : بأمر الله عما يضره فلا يصيب العبد إلا ما كتبه الله تعالى له وقدر إصابته به ؛ والحفظ الخاص هو حفظه لأوليائه عما يضر إيمانهم ويزلزل يقينهم من الشبه والفتن والشهوات وحفظه لهم من كيد أعدائهم من الإنس والجن.

ومنه قوله تعالى : (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: ٢٤) وقال الله تعالى : « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» [رواه البخاري (٦١٣٧)].

٥- الإحاطة بالأسرار والبواطن :

قال الله تعالى : (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (يونس: ٦١) فالله تعالى حفيظ بمعنى رقيب شهيد على أعمال العباد الظاهرة والباطنة، لا يخفى عليه منها شيء، والله تعالى يعلم السر وأخفى .

٦- الحفيظ لا يضيع شيء من الأعمال :

ومن حفظ الله تعالى حفظ أعمالهم ليوم الحساب والجزاء، قال تعالى : (وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (الكهف: ٤٩) وقال سبحانه : (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (المجادلة: ٦).

٧- توكيل الملائكة بحفظ الأعمال :

ومن حفظ الله تعالى للعباد أن وكل بهم ملائكة كراما كاتبين ، والله تعالى غني عنهم لأنه علم ما كان وما سيكون وهو شهيد رقيب على العباد ، قال تعالى : (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) (الانفطار: ١٠-١٢) وقال سبحانه: (إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) (الطارق: ٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » [رواه البخاري (٥٣٠)] مسلم (٦٣٢)؛ والحكمة

من ذلك بيان أن الله تعالى نظم الأشياء وقدرها وأحكمها إحكاما متقنا، وبيان كمال عنايته بالإنسان وكمال حفظه سبحانه.

٨- ما الذي تكتبه الملائكة؟؟؟؟!

ومما يتعلق بالمسألة السابقة البحث في الذي تكتبه الملائكة من الكلام وغيره، وقد اختلف العلماء فيه، فقال الحسن وقتادة وغيرهما يكتب كل شيء، وقال عكرمة إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب، وعن بعضهم أن الملك يكتب كل شيء فإذا جاء يوم الخميس طرح من الكتاب ما ليس فيه ثواب وعقاب وهو أحد الأقوال في تفسير قوله تعالى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (الرعد: ٣٩) وظاهر قوله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: ١٨]) وقوله (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (الكهف: ٤٩) أن الكتابة عامة لكل الأقوال والأعمال والله أعلم. [انظر تفسير ابن كثير (٢٢٥/٤) وتفسير القرطبي (٣٣١/٩)]

ثالثا: من الآثار العملية للإيمان باسم الله " الحفيظ " :

إن للإيمان بهذا الاسم العظيم من أسماء الله تعالى آثار كثيرة على سلوك المرء وأعماله نذكر منها:

١- تعظيم المولى عز وجل :

أول آثار الإيمان بالمعاني المذكورة أنفا تعظيم الإله جل جلاله، وكيف لا نعظمه وهو يحفظ الكون كله ويحفظ كل ذرة فيه ويحفظ الإنسان بتيسير أسباب بقائه في جسمه وفي الوجود من حوله، قال تعالى: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة: ٢٥٥) فقرن سبحانه بين قيامه على السماوات والأرض وبين ثبوت العلو والعظمة له سبحانه ليبين أن هذا الحفظ والقيام من آثار عظمته سبحانه.

٢- الخوف من الله تعالى ومراقبته في القول والعمل : ومن آثار الإيمان بهذا الاسم تحقيق الخوف من الله تعالى ومراقبته في الأقوال والأعمال، وذلك من أعظم وسائل الاستقامة على شريعة الله سبحانه ولزوم طريق النجاة في الآخرة، قال تعالى: (قُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران: ٢٩) وقال: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (المجادلة: ٦)

ومن آثار الإيمان باسم الله الحفيظ عدم اشتغال العبد بعد حسناته، لأن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين، ولأن ذلك مما يورث العبد الغرور الذي يقطعه عن الطاعة ويجعله يستعلي على عباد الله، وعلى مبتغي النجاة أن يعمل الحسنات ثم ينساها ليجتهد في تحصيل غيرها، ولا يمن بها على الله تعالى أو يفخر بها على عباده فيبطلها، وعليه في المقابل إذا عمل سيئة أن يحفظها لكي يتوب منها ويكرر الاستغفار منها، كما قيل تفسير قوله تعالى : (هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ) (ق:٣٢) هو الحافظ لذنوبه ليتوب منها - وقيل هو الحافظ لأوامر الله تعالى فلا يخالفها - .

٤- احفظ الله يحفظك : ومن أسباب الحفظ الخاص للأولياء حفظ حدود الله تعالى، عن ابن عباس قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: " يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح) . ومعنى الحديث احفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه ، وحفظ ذلك الوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ولا يتعدى ما أمر به إلى ما نهى عنه ، فدخل في ذلك فعل الواجبات جميعا وترك المحرمات جميعا. ومن أهم ما ينبغي للعبد أن يحفظه حفظ التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فمن حفظ نفسه من الشرك ووسائله في الدنيا حفظه الله تعالى من عذابه يوم القيامة ، ومن أهم ما ينبغي المحافظة عليه الصلاة ، قال تعالى : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) (البقرة:٢٣٨) ، والصلاة سبب لحفظ العبد من المعاصي فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهي تحفظ العبد من شرور الدنيا أيضا .

قال النبي ﷺ : (قال الله عز وجل : ابْنِ آدَمَ ارْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَكْفِكَ آخِرَهُ »

[رواه الترمذي (٤٧٥) وأبو داود (١٢٨٩) وصححه الألباني]

وحفظ الجوارح السمع والبصر وغيرها سبب لحفظها ودوام نفعها، وروي أن بعض العلماء وثب يوما وثبة شديدة وكان قد جاوز المائة سنة، فعجب منه بعضهم فقال : هذه الجوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر ، وروي عن بعض السلف أنه رأى شيئا يسأل الناس فقال إن هذا ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره -انظر جامع العلوم والحكم (١/٤٦٦)-

ومن عجيب حفظ الله تعالى لعبده: أن يحفظه في ذريته من المكاره والأذى والشرور والردى، قال تعالى (وَأَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) [النساء: ٩]، وقص علينا ربنا خبر الغلامين اليتيمين الذين حفظ الله لهما كنزهما بسبب صلاح أبيهما.. قال سعيد بن المسيب لابنه ناصحا ومذكرا: "إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك"، وقال الخليفة العادل في مملكته: عمر بن عبدالعزيز: "ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه"، وقال ابن المنكر: "إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ الله وستره.."، ومن حفظ الله في حال القوة والشباب حفظه ربه إذا كبر وشاب، أبو الطيب الطبري عالم عابد همام قد جاوز المائة عام متعه الله بالعقل والقوة وحسن القعود والقيام، فسئل عن ذلك فقال: "هذا جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظهما الله تعالى علينا في الكبر (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [يوسف: ٦٤]."

٥- الدعاء بالحفظ :

ومن آثار الإيمان باسم الحفيظ دعاء الله تعالى بهذا الاسم ، وسؤاله سبحانه الحفظ دون غيره من الأحياء والأموات الذين صفتهم العجز والاحتياج إلى حفظ الله تعالى، وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم حين يصبح وحين يمسي: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» [رواه أبو داود (٥٠٧٤) وابن ماجه (٣٨٧١) وصححه ابن حبان (٩٦١) والألباني].

حق الجار

- * العناصر :
- * من هو الجار؟
- * مظاهر أذى الجار؟
- * مراتب حق الجار؟
- * ما هي حقوق الجار؟

لقد وضع الإسلام نظامًا فريدًا للاجتماع، لحمته التراحم والتعاطف، ومبناه على التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، وقيام كل مسلم بما يجب عليه تجاه من يعامله أو يصل إليه. وقد عظم الله حق المسلم على المسلم، وحق القريب على قريبه، وحق الجار على جاره. والقيام بهذه الحقوق من أهم أسباب السعادة للفرد والمجتمع. فإن الناس في هذه الدنيا ممتحنون والمصائب تحيط بهم من كل جانب. والإنسان بمفرده أضعف من أن يصمد طويلاً أمام هذه الشدائد، ولئن صمد، فإنه يعاني من المشقة والجهد ما كان في غنى عنه لو أن إخوانه التفتوا إليه، وحبوا عليه، وهرعوا لنجدته، وأعانوه في مشكلته، فالمرء قليلٌ بنفسه، كثيرٌ بإخوانه وجيرانه وأهله. ولقد كان العرب وهم في جاهليتهم يتفاخرون بحسن الجوار وإكرام الجار، ورعاية حقوقه وصون حرمانته، وكف الأذى عنه، حتى قال قائلهم:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتني *** حتى يوارى جارتني مئواها •

فلما جاء الإسلام أكد هذا الخلق، وعظم حق الجار على جاره، حتى كاد أن يورثه كأهله وعياله.

أنواع الجيران : يقول الله تعالى: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ} (النساء من الآية: ٣٦) فجمع سبحانه بين الأمر بعبادته والأمر بالإحسان إلى خلقه، ومن ذلك الإحسان إلى الجار مسلمًا كان أم كافرًا، قريبًا أم غريبًا، ملاصقًا أم بعيدًا. وقوله تعالى: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ} أي: الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجنب أي الغريب الذي لا قرابة بينك وبينه، وهذا قول أكثر المفسرين. وقيل: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ} هو الجار المسلم، {وَالْجَارِ الْجُنُبِ} هو الجار الكافر. وقيل: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ} هو الجار القريب جواره، {وَالْجَارِ الْجُنُبِ} هو المجانب، وهو من يصدق عليه مسمى الجوار مع كون داره بعيدة (انظر: تفسير الطبري ١٧٨/٥-١٨٠)، وتفسير القرطبي

١٨٣/٥، وتفسير ابن كثير ١/٤٩٥). وكل هذه المعاني صحيحة والآية تشملها وتدل عليها. وهؤلاء كلهم لهم حق الجوار، وإن كان حقهم متفاوتًا بحسب تفاوت أحوالهم. قال الحافظ ابن حجر "واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والقريب والأجنبي، والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأولى كلها، ثم أكثرها، وهلم جرا". فالجار الذي بينك وبينه قرابة حقه أكد من حق الجار الأجنبي، وحق الجار المسلم أكد من حق الجار الكافر، والملاصق حقه مقدم على حق البعيد، وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فألى أيهما أهدي؟" قال: «إلى أقربهما منك بابًا».

قد دلت النصوص الشرعية على أن الجيران ثلاثة:

- ١- جار له ثلاثة حقوق، وهو الجار المسلم القريب. له حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة.
 - ٢- جار له حقان، وهو الجار المسلم. له حق الجوار، وحق الإسلام.
 - ٣- جار له حق واحد، وهو الجار الكافر. له حق الجوار.
- (انظر: تنبيه الغافلين ١/١٥٣، وتفسير القرطبي ٥/١٨٤، وفتح الباري ١٠/٤٤١)

حد الجار : اختلف العلماء في من يشمله اسم الجوار على أقوال كثيرة:

- ١- من ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه أنه قال: "من سمع النداء فهو جار"، فكل من يسمع صوت مؤذن الحي الذي يؤذن بدون مكبر صوت، فإنهم يعتبرون جيرانًا.
- ٢- وقيل: من سمع إقامة الصلاة، فهو جار.
- ٣- وقيل: من صلى معك صلاة الفجر في المسجد فهو جار.
- ٤- وقيل: من جمعهم مكان أو حي، فهم جيران.

٥- وقيل: حد الجوار أربعون دارًا من كل ناحية. وهذا قول عائشة والأوزاعي والحسن البصري والزهري وغيرهم (انظر: تفسير القرطبي ٥/١٨٥، وفتح الباري ١٠/٤٤٧، وجامع العلوم والحكم ١/٣٤٧، وفتح القدير للشوكاني ١/٧٤٣) والراجح أن حد الجوار يرجع فيه إلى العرف (قال الألوسي في تفسيره ٥/٢٩: "والظاهر أن مبنى الجوار على العرف")، لأن القاعدة الشرعية تقول: كل ما ورد به الشرع مطلقًا، ولا ضابط له فيه، ولا في اللغة، يرجع فيه إلى العرف

(الأشباه والنظائر للسيوطي ص: ٩٨، وفتح القدير للشوكاني ١/٧٤٣). وعلى هذا فما اعتبره العرف جارًا فإنه جار، له حق الجوار من الإكرام وبذل الندى وكف الأذى ونحو ذلك.

أما السنة النبوية فقد حفلت بنصوص كثيرة توصي بالجار، وتؤكد حقه، وتأمّر بإكرامه والإحسان إليه، وتتوعد على إيذائه وعقوقه. فعن عائشة وابن عمر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (رواه البخاري ومسلم). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ذبح شاة، فقال: "هل أهديتم منها لجارنا اليهودي"، ثلاث مرات، ثم قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (صحيح الأدب المفرد). ويقول عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» وفي رواية: «فليحسن إلى جاره» (رواه البخاري ومسلم). وهذا يدل على أن إكرام الجار، وطيب المعاملة له من شعب الإيمان، وسمات المؤمنين، وأن من لم يكرم جاره لم يتم إيمانه. وقد أكد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه مسلم). فبين عليه الصلاة والسلام أن كمال الإيمان الواجب لا يتم إلا بأن يحب المسلم لجاره ما يحب لنفسه من الخير. وهو يستلزم كذلك أن يكره له ما يكره لنفسه من الشر.

مظاهر أذى الجار :

ومن صور إيذاء الجار - حسده وتمني زوال النعمة عنه، أو السخرية به واحتقاره، أو إشاعة أخباره وأسراره بين الناس، أو الكذب عليه وتنفير الناس منه، أو تتبّع عثراته والفرح بزلاته، أو مضايقته في المسكن أو موقف السيارة، أو إلقاء الأذى عند بابه، أو التطلّع إلى عوراته ومحارمه، أو إزعاجه بالصراخ والأصوات المنكرة، أو إيذائه في أبنائه.

**أن يغلق بابه دون جاره، ويمنعه فضله • فهناك من يمنع فضله عن جاره فيبيت شعبانَ وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم.

**وهناك من يلبس أجمل الثياب، ويضع أفضل الطيب، وبجواره جاره الذي ليس عليه رداء يكتسي به من برد الشتاء.

**** وهناك من يدخل بألوان الفاكهة على أهله ، وأولاد جاره الفقراء ينظرون إليه دون أن يُعطِيهم.**

ومنهم من يزرع شجرة أو نخلة بجوار جداره، ثم يسقيها بالماء، فيتضرّر الجدار بذلك.

أن يبني جدارًا - دون إذنه - يحجب عنه الشمس، ويمنع عنه الهواء.

**** أن يفرح وجاره مهموم: فهناك من يقيم الأفراح ، والبيت الذي بجواره مات فيه إنسان.**

نشر الملابس دون عصرها، فيتساقط الماء على ملابس الجار الذي يسكن تحته.

أو الطرق في وقت الليل. أو عدم نُصرتِه إذا كان مظلومًا، أو عدم إغاثته إذا كان ملهوفًا.

أو إفشاء سره، وغير ذلك من صور الإيذاء.

حقوق الجار على مراتب ثلاث:

أدناها كف الأذى عنه، ثم احتمال الأذى منه، وأعلها وأكملها إكرامه والإحسان إليه.

المرتبة الأولى: وهي كف الأذى عنه : فهي أقل ما يجب على الجار تجاه جاره، فإنه إذا لم يحسن إليه، فلا أقل من أن يكف أذاه عنه. والله تعالى يقول: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا

اكتسبوا فَقَدْ اِحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} [الأحزاب: ٥٨]، فكيف إذا كان المؤذى هو جارك المؤمن،

فإن الإثم أشد. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»

(رواه البخاري: ٥٧٨٧، ومسلم: ٤٧).

نفي كمال الإيمان لمن يؤذى جاره :

ورد في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن».

قيل: "من يا رسول الله؟" قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»

(ورواه مسلم بلفظ): «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» جمع بائقة: وهي الداهية، والغائلة،

والشيء المهلك، والأمر الشديد الذي يوافق بغتة. انظر:

(شرح النووي على صحيح مسلم: ١٧/٢، وفتح الباري: ٤٤٣/١٠).

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ»
(رواه البخاري)،

من أذى جاره مبشر بنار جهنم :

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهُا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فَلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ»
(أخرجه أحمد وصححه الألباني).

الحفاظ على عوراتهم وعدم خيانتهم في أهله: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ» (رواه مسلم)، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» قَالَ: وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَصَدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ} (رواه البخاري).

فَعَنِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزَّانَا؟ قَالُوا: حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: لِأَنَّ يَزْنِي الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةٍ جَارِهِ، قَالَ: فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي السَّرْقَةِ؟ قَالُوا: حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: لِأَنَّ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَيْبَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ»
(أخرجه أحمد وصححه الألباني).

المرتبة الثانية: فهي احتمال الأذى منه :

١- احتمال الأذى منه، والتغاضي عنه، والتغافل عن زلته: عن عثمان بن زائدة قال: العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في التغافل. فحدث بذلك أحمد بن حنبل، فقال: "العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل" (الآداب الشرعية ١٧/٢). والمعنى: أن السلامة من أذى الناس، لا يكون إلا بالتغافل عن شرورهم، والتغاضي عن ظلمهم وغشمهم، وعدم مؤاخذتهم بكل ما يصدر منهم.

ومن وفق لذلك فهو العاقل الموفق، والسيد المسود، والله در القائل :

ليس الغبي بسيد في قومه *** لكن سيد قومه المتغابي

٢- الصبر على أذى الجار : فعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي يشكو جاره، فقال: «أذهب فأصبر، فأتاه مرتين أو ثلاثاً فقال: أذهب فأطرح متاعك في الطريق، فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به وفعل وفعل، فجاء إليه جاره فقال له: أرجع لا ترى مني شيئاً تكرهه» (رواه أبو داود وقال الألباني: حسن صحيح) ؛ وقال الحسن البصري: "ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى من الجار" (تنبيه الغافلين ١/١٥٣، وبهجة المجالس ٢/٢٩٢). وقد وصف الله المتقين بأنهم يكظمون الغيظ، ويعفون عن الناس، ويحسنون إليهم بالصفح عنهم، والتسامح معهم، فقال سبحانه: {وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران من الآية: ١٣٤]. وأمر بالعدل والإحسان، فقال: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل من الآية: ٩٠]، والعدل: هو أن يستوفي الإنسان حقه، ويؤدي ما عليه. والإحسان: هو أن يتنازل عن حقه أو عن شيء منه، ويؤدي أكثر مما يجب عليه.

المرتبة الثالثة : الإحسان الى الجار :

١- إن الإحسان إلى الجار سبب للتفاضل بين الناس، فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» (أخرجه الترمذي وصححه الألباني).

٢- إن الإحسان إلى الجار والقيام بحقه سبب لمغفرة الذنوب، فعن أبي هريرة عن النبي يرويه عن ربه عز وجل قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَشْهَدُ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنِيِّينَ بِخَيْرٍ إِلَّا قَالَ اللَّهُ عز وجل: قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِي عَلَى مَا عَلِمُوا وَغَفَرْتُ لَهُ مَا أَعْلَمُ» (رواه أحمد وحسنه الألباني).

٣- مساعدته مادياً فيما يحتاج إليه : فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: «لا يَمْنَعُ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ خَشْبَةً فِي جِدَارِهِ»، ثم يقول أبو هريرة للناس لما رأى من تقصيرهم في حقوق جيرانهم: مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ؟! وَاللَّهِ لَأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَأَفِكُمْ (رواه مسلم).

ولقد ضرب أصحاب رسول الله أروع الأمثلة في التعاون والمساعدة فيما بينهم، حتى استحقوا إطراء النبي لهم وثنائه عليهم، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْأَشْعَرِيِّينَ:

«إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» (متفق عليه).

٤- الإهداء إليه وبذل المعروف: فكم من هدية أوقعت في قلب المهدي إليه أثرا عظيما، فهي تقرب النفوس وتزيل الأحقاد وتبرهن على صدق المودة وعظيم المحبة، فعَنْ أَبِي شُرَيْحِ الْعَدَوِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أُدْنَائِي وَأَبْصَرْتَ عَيْنَائِي حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» (رواه البخاري)، وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ» (رواه مسلم). فكان فيما بعد إذا طبخ لحما أكثر ماءه وأهدى إلى جيرانه ويقول: إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي:

«إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انظُرْ أَهْلَ بَيْتِ مَنْ جِيرَانَكَ فَأَصِيبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ» (رواه مسلم) وسألت عائشة رضي الله عنها رَسُولَ اللَّهِ فقالت: إِنَّ لِي جَارَتَيْنِ فَأَلِي أَيُّهُمَا أَهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا» (رواه البخاري). إن الهدية ليست فقط للجار الفقير المحتاج، بل الهدية أشمل من هذا، فقد أهدى للنبي مع أنه لو أراد المزيد من الرزق لدعا الله فأعطاه ما شاء من متاع الدنيا، بل كان يهدي للناس ويقبل الهدية، فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد قول رسول الله: «كَمْ مِنْ جَارٍ مَتَلَقَ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ، يَا رَبِّ! هَذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي، فَمَنَعَ مَعْرُوفَهُ» (وحسنه الألباني).

وكذلك من حقوق الجار على جاره:

أن يُسلم عليه إذا رآه ويعوده في مرضه إذا مرض و أن يُشيع جنازته إن مات.

و يواسيه في المصيبة، ويهنئه في الفرح و يستر ما ينكشف من عورته، ويغض البصر عن محارمه وأهله و لا يحسده على ما آتاه الله من فضله وأن يرد غيبته وإن استعان به، أعانه.

نداء إلى الجار الذي يؤدي جاره: فربما يبتلى المرء بجار سيئ الجوار، معتد أثيم، فعليه أن يصبر على آذاه وهذا من حُسن الجوار.

١- فإذا جارك عصى الله فيك، فأطع الله أنت فيه.

٢- يروى أن رجلاً جاء إلى عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - فقال له: إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني، ويضيق علي، فقال: اذهب، فإن هو عصى الله فيك، فأطع الله فيه". وأما من ابتلي بجار يؤذيه فعليه بالصبر.

٣- ها قد علمت الوعيد والتهديد لمن يؤذي جيرانه، كما أن الجنة محرمة على من يؤذي جيرانه، فنتب إلى الله ، واستغفر الله على هذا الإثم العظيم والذنب الكبير، وأكثر من الصلاة والصوم والصدقة، فهذا تكفير لما سلف؛ فقد أخرج البخاري ومسلم عن حذيفة قال: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ: قَالَ: هَاتِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ وَكَيْفَ؟ قَالَ: قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكْفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» (متفق عليه)

صَلِّ رَحْمَكَ - رَحِمَكَ اللَّهُ -

العناصر:-

✱ معنى صلة الرحم .

✱ فضائل الصلة وحرمة القطيعة .

✱ آثار قطيعة الرحم .

✱ صور من صلة الرحم .

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد: فإن قطيعة الرحم ذنب عظيم، يفصم الروابط، ، ويشيع العداوة والكراهية، ويحل القطيعة والهجران.

وقطيعة الرحم مزيلة للألفة والمودة، مؤذنة باللعنة وتعجيل العقوبة، مانعة من نزول الرحمة ودخول الجنة، موجبة للتفرد والصغار والذلة ؛ وهي- أيضا - مجلبة لمزيد من الهم والغم؛ ذلك أن البلاء إذا أتاك ممن تنتظر منه الخير والبر والصلة- كان ذلك أشد وقعا، وأوجع مساء، وأحد حدا ، قال طرفة بن العبد في معلقته المشهورة :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهند

وكفى بهذا الذنب زاجرا- قوله تعالى:- {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ - أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ} [محمد: ٢٢ - ٢٣]

معنى صلة الرحم:

قَالَ ابْنُ الْأَثِير - رحمه الله:- هِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقْرَبِينَ، مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْأَصْهَارِ، وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ، وَالرَّفْقِ بِهِمْ، وَالرَّعَايَةِ لِأَحْوَالِهِمْ. وَكَذَلِكَ إِنْ بَعُدُوا أَوْ أَسَاءُوا، وَقَطَّعَ الرَّجْمُ ضِدُّ ذَلِكَ كُلَّهُ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ وَأَمَّا صِلَةُ الرَّحِمِ فَهِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقْرَابِ عَلَى حَسَبِ حَالِ الْوَاصِلِ وَالْمَوْصُولِ فَتَارَةٌ تَكُونُ بِالْمَالِ وَتَارَةٌ بِالْخِدْمَةِ وَتَارَةٌ بِالزِّيَارَةِ وَالسَّلَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

حقيقة صلة الرحم:

ليست صلة الرحم بتبادل المنافع، إن وصلك رحمك وصلته، وإن نأى عنك وابتعد نأيت عنه، ليس الصلة على هذه الصفة، فتلك مكافأة البعض للبعض، ولكن أمر صلة الرحم فوق هذا كله، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَةُ وَصَلَهَا». (صحيح الأدب المفرد)

قال ابن القيم - رحمه الله -: وَلَيْسَ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ تَرْكُ الْقَرَابَةِ تَهْلُكُ جُوعًا، وَعَطَشًا، وَعُرْيًا، وَقَرِيبُهُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ مَالًا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ وَإِنْ كَانَتْ لِكَافِرٍ، فَلَهُ دِينُهُ وَلِلْوَاصِلِ دِينُهُ. (أحكام أهل الذمة ٢ / ٧٩٢)

فضل صلة الرحم وحرمة قطعها :

١- الله أوجبها على عباده في كتابه :

ففي كتاب الله أدلة كثيرة تدل على وجوب صلة الرحم منها: قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» [النحل:]؛ وقال تعالى: «فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الروم: ٣٨].

قال ابن كثير - رحمه الله -: قَوْلُهُ: «وَأِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» أَي: يَأْمُرُ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ. (تفسير ابن كثير) وقال الطبري - رحمه الله -: وَإِعْطَاءِ ذِي الْقُرْبَى الْحَقَّ الَّذِي أَوْجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِسَبَبِ الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ. (تفسير الطبري ١٧ / ٢٧٩)

٢- علامة على الإيمان بالله واليوم الآخر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ) (رواه البخاري ومسلم).

والحديث فيه إشارة إلى أَنَّ الْقَاطِعَ كَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لِغَدَمِ خَوْفِهِ مِنْ شِدَّةِ الْعُقُوبَةِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى الْقَطِيعَةِ.

٣- صلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الإيمان:

وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ حَنْعَمَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ؟ قَالَ: «إِيْمَانُ بِاللَّهِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ صَلَاةُ الرَّحِمِ». (صحيح الترغيب والترهيب).

٤- أنها مقدمة على عتق الرقاب:

عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا كَانَ يَوْمَهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي، قَالَ: «أَوْفَعَلْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أُعْطِيَتْهَا أَخْوَالُكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

قال القاضي عياض - رحمه الله -: وفيه أن صلة الرحم أفضل من العتق، وقد قال مالك: الصدقة على الأقارب أفضل من عتق الرقاب. (إكمال المعلم بفوائد مسلم)

٥- بركة في الأرزاق وزيادة في الأعمار واعداد للديار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». (صحيح الأدب المفرد)

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ». (صحيح الجامع)

قال السعدى - رحمه الله -: هذا الحديث فيه الحث على صلة الرحم، وبيان أنها كما أنها موجبة لرضى الله وثوابه في الآخرة، فإنها موجبة للثواب العاجل، بحصول أحب الأمور للعبد، وأنها سبب لبسط الرزق وتوسيعه، وسبب لطول العمر. وذلك حق على حقيقته؛ فإنه تعالى هو الخالق للأسباب ومسبباتها. (بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار).

٦- سبب في دخول الجنة:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ». (رواه البخاري ومسلم).

في الحديث : دليل على أنّ من وحدَ الله، وقام بأركان الإسلام، ووصلَ رَحِمَهُ دخل الجنة.

٧- أنّ صلة الرحم أعجلُ الطاعاتِ ثوابا للعبد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لَيْسَ شَيْءٌ أَطِيعَ اللَّهُ فِيهِ أَعْجَلَ ثَوَابًا مِنْ صَلَاةِ الرَّحِمِ. (السلسلة الصحيحة)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ: مَهْ! قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أُصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ! قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ " ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ } [محمد: ٢٢] . ((صحيح الأدب المفرد))

في هذا الحديث حث وترغيب في صلة الرحم، فإذا أردت أن يصلك الله، وكل إنسان يريد أن يصله ربه - فصل رحمك، وإذا أردت أن يقطعك الله فاقطع رحمك، جزاء وفاقاً، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل؛ كان الله له أوصل، وكلما قصرَ جاءه من الثواب بقدر ما عمل. « وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » [الكهف: ٤٩] . (شرح رياض الصالحين) .

قال ابن أبي جمرة - رحمه الله -: الوصلُ من الله كناية عن عظيم إحسانه وإنما خاطب الناس بما يفهمون ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال وهو القرب منه وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه". (فتح الباري لابن حجر) وقال الطبري - رحمه الله -: معنى وصل الله تعالى عبده إذا وصل رحمه، فهو تعطفه عليه بفضله، إما في عاجل دنياه أو أجل آخرته. (شرح صحيح البخاري لابن بطال) .

آثار قطيعة الرحم :

وإن كانت صلة الرحم من أفضل الأعمال إلى الله فإن قطيعة الرحم من أبغض الأعمال إلى الله، وكما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلاً سئله فقال يا رسول الله: أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: «الإشراك بالله»، قال: فقلت: يا رسول الله، ثم مة؟ قال: «ثم قطيعة الرحم»، قال: فقلت: يا رسول الله، ثم مة؟ قال: «ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف». (صحيح الترغيب والترهيب).

١- قطيعة الرحم من أمور الجاهلية :

قال تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)» [محمد : ٢٣].

قال ابن كثير - رحمه الله - : قوله تعالى: «وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ» أي: تَعُودُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنْ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ، تَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ وَتُقَطِّعُونَ الْأَرْحَامَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ» وَهَذَا نَهْيٌ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ عُمُومًا، وَعَنْ قَطْعِ الْأَرْحَامِ خُصُوصًا، بَلْ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِصْلَاحِ فِي الْأَرْضِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقْرَابِ فِي الْمَقَالِ وَالْأَفْعَالِ وَبَدَلِ الْأَمْوَالِ (تفسير ابن كثير).

٢- قطيعة الرحم سبب للخسران في الدنيا والآخرة وسبب للعنة الله:

قال تعالى: «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [البقرة: ٢٧] قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: فحصر الخسارة فيهم ؛ لأن خسرتهم عام في كل أحوالهم؛ ليس لهم نوع من الربح". (تفسير السعدي).

وقال تعالى: «وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» [الرعد: ٢٥].

٣- قطيعة الرحم تمنع من دخول الجنة:

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

قوله - صلى الله عليه وسلم - : «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» أَي: قَاطِعُ الرَّحِمِ وَقَدْ تَعَارَفَ إِطْلَاقُ الْقَطْعِ فِي قَطْعِهَا كَالصَّلَاةِ فِي وَصْلِهَا وَهَذَا تَشْدِيدٌ وَتَهْدِيدٌ أَوْ الْمُرَادُ مَنْ يَسْتَحِلُّ الْقَطْعَ.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ - رحمه الله - : يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ. (عون المعبود وحاشية ابن القيم).

صور من الصلة وكيفيتها:

وأعظم الناس برا وصلةً بأرحامهم هم الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى رأسهم المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ، ففي بداية دعوتِهِ صلواتُ اللهِ عليه قالت خديجة - رضي الله عنها - حينَ جَاءَهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ: فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. (متفق عليه).

قال ابن القيم - رحمه الله - : فاستدللت - رضي الله عنها - بمعرفتها بالله وحكمته ورحمته على أن من كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ الله لَا يَخْزِيهِ وَلَا يَفْضَحُهُ بَلْ هُوَ جَدِيرٌ بِكَرَامَةِ اللهِ وَاصْطِفَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَتَوْبَتِهِ وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ فِي الْإِيمَانِ عِزٌّ عَنْهَا أَكْثَرُ الْخَلْقِ. (مفتاح دار السعادة).

ومن أعظم صور البر :

١- التودد إليهم بدفع الصدقات إليهم:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِي بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلِ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرِحَاءٌ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلُ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا نَزَلَتْ (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)

قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)

وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرِحَاءٌ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِيهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَخٍ بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ». فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقْرَابِهِ وَفِي بَنِي عَمِهِ .

(متفق عليه) (يعني: تعجب النبي صلى الله عليه وسلم لإحسان هذا الرجل ولعظيم صدقته، فقال: (بخ) وهي كلمة تقال للتعجب) .

قال ابن بطلال - رحمه الله -: فثبت بهذا المعنى أن الصدقة على الأقارب وضعفاء الأهلين أفضل منها على سائر الناس إذا كانت صدقة تطوع. (شرح صحيح البخاري لابن بطلال).

٢- معرفة أنساب الأقارب:

عن سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: فَمَتَّ لَهُ بِرَحِمٍ بَعِيدَةٍ، فَأَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ، فَقَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: «اعْرِفُوا أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّهُ لَا قُرْبَ بِالرَّحِمِ إِذَا قُطِعَتْ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً، وَلَا بُعْدَ بِهَا إِذَا وُصِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً». (أخرجه الطيالسي في مسنده، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير).

قوله - صلى الله عليه وسلم -: «اعْرِفُوا أَنْسَابَكُمْ» جمع نسب وهو القَرَابَةُ أي تعرفوها وافحصوا عنها، «تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ» أي لأجل أن تصلوها بِالْإِحْسَانِ أَوْ أَنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ وصلتموها.

٣- ومن الصلة النصره لهم في الحق ورد الظلم عنهم :

عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَمْ أُنصِرُهُ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ». (رواه البخاري) قال ابن بطلال - رحمه الله -: والنصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسرَه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركته على ظلمه ولم تكفه عنه أداه ذلك إلى أن يقتص منه؛ فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره. (شرح صحيح البخاري لابن بطلال).

٤- دعوتهم للتمسك بكتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - في جُلِّ الأحوال:

عَنْ طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، وَيَقُولُ: «وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ، أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

(أخرجه النسائي وصححه الألباني) قال النووي - رحمه الله -: قال أصحابنا: يستحب أن تقدم في البر الأم ثم الأب ثم الأولاد ثم الأجداد والجداث ثم الإخوة والأخوات ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام كالأعمام والعمات والأخوال والخالات ويقدم الأقرب فالأقرب. (شرح النووي على مسلم) وقال السعدى - رحمه الله -: في قوله تعالى: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» أي: الذين هم أقرب الناس إليك، وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي. (شرح النووي على مسلم).

الغيبة

العناصر :-

- * التحذير من آفات اللسان .
- * تعريف الغيبة وبيان خطرها .
- * توضيح بعض صور الغيبة .
- * أدلة تحريم الغيبة .

بواعث الغيبة وكيفية التخلص منها :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

تحذير من آفات اللسان:

((عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ) .

قال ابن حجر: الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية . . . فالمعنى: من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

قال النووي: في هذا الحديث حث على حفظ اللسان ، فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق ، فإن ظهرت مصلحة تكلم، وإلا أمسك .

- وفي حديث معاذ أن النبي ﷺ قال له:

((أَخْبِرَكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ قُلْتُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ)) (صححه الألباني في صحيح الجامع) .

قال ابن رجب: هذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله ، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه.

((وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفَرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّا نَحْنُ بِكَ فَإِنِ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا " .
(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ) .

قال ابن القيم: قولها: ((إنما نحن بك)) أي نجاتنا بك ، وهلاكنا بك .

ولهذا قالت ((فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا ومن أخطر آفات اللسان الغيبة !

والغيبة قد عرفها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ " . قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ» . (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)) .

قال النووي: " الغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره" .

صور الغيبة وما يدخل فيها :

ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الغيبة إنما تقع فيما يكرهه الإنسان ويؤذيه فقال: ((بما يكره)).

قال النووي في الأذكار مفصلاً ذلك: ذكر المرء بما يكرهه سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو والده أو ولده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه أو حركته أو طلاقته أو عبوسته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته باللفظ أو الإشارة أو الرمز.

ومن الصور التي تعد أيضاً في الغيبة قال النووي: ومنه قولهم عند ذكره : الله يعافينا ، الله يتوب علينا ، نسأل الله السلامة ونحو ذلك ، فكل ذلك من الغيبة .

من صور الغيبة ما قد يخرج من المرء على صورة التعجب أو الاغتمام أو إنكار المنكر قال ابن تيمية: ومنهم من يخرج الغيبة في قالب التعجب فيقول : تعجبت من فلان كيف لا يعمل كيت وكيت ومنهم من يخرج [النية في قالب] الاغتمام فيقول: مسكين فلان غمني ما جرى له وما ثم له .

حكم الغيبة، وأدلة تحريمها في القرآن والسنة، وأقوال السلف في ذلك:

الغيبة حرام بإجماع أهل العلم كما نقل ذلك النووي .

واختلف العلماء في عدها من الكبائر أو الصغائر ، وقد نقل القرطبي الاتفاق على كونها من الكبائر لما جاء فيها من الوعيد الشديد في القرآن والسنة ولم يعتد رحمه الله بخلاف بعض أهل العلم ممن قال بأنها من الصغائر . وقد قالوا: ضابطها ذكر الشخص بما يكره ، وهذا يختلف باختلاف ما يقال فيه ، وقد يشدد تأذيه بذلك .

أدلة تحريم الغيبة من القرآن الكريم:

أ- قال تعالى: { وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } [الحجرات: ١٢].

قال ابن عباس: حرم الله أن يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة.

قال القاضي أبو يعلى عن تمثيل الغيبة بأكل الميت: وهذا تأكيد لتحريم الغيبة ، لأن أكل لحم المسلم محظور ، ولأن النفوس تعافه من طريق الطبع ، فينبغي أن تكون الغيبة بمنزلته في الكراهة.

ب- قال تعالى: { وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ } [الحجرات: ١١].

قال ابن عباس في تفسير اللمز: لا يطعن بعضهم على بعض ، ونقل مثله عن مجاهد وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان .

قال ابن كثير { وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ } : أي لا تلمزوا الناس ، والهماز واللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال الله { وَيَلُّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ } [الهمزة: ١].

فالهمز بالفعل، واللمز بالقول . قال الشنقيطي: الهمز يكون بالفعل كالغمز بالعين احتقاراً أو ازدراءً، واللمز باللسان ، وتدخل فيه الغيبة .

ج- { وَيَلُّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ } [الهمزة: ١].

قال قتادة في تفسيرها : يأكل لحوم الناس ويطعن عليهم .

قال السعدي: وهذه الآيات إن كانت نزلت في بعض المشركين فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم .

د- { وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ } [القلم: ١٠-١١]. قال الشوكاني : الهماز: المغتاب للناس .

أدلة تحريم الغيبة من السنة:

أ- قال صلى الله عليه وسلم :

((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا))

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ). قال ابن المنذر: قد حرم النبي الغيبة مودعاً بذلك أمته، وقرن تحريمها إلى تحريم الدماء والأموال ثم زاد تحريم ذلك تأكيداً بإعلامه بأن تحريم ذلك كحرمة البلد الحرام في الشهر الحرام . قال النووي في شرحه على مسلم: المراد بذلك كله بيان توكيد غلظ تحريم الأموال والدماء والأعراض والتحذير من ذلك .

ب- ((عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرَّبَى الْإِسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ)) (رواه أبو داود وصححه الألباني) .

قال أبو الطيب العظيم أبادي في شرحه لأبي داود: ((الاستطالة)) أي إطالة اللسان. ((في عرض المسلم)) أي احتقاره والترفع عليه والوقية فيه.

((بغير حق)) فيه تنبيه على أن العرض ربما تجوز استباحته في بعض الأحوال .

ج- ((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ صَفِيَّةٌ كَذَا وَكَذَا - تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَ بِهَا الْبَحْرُ لَمَزَجَتْهُ» .)) (رواه أحمد والترمذي وأبو داود وصححه الألباني)

قال المباركفوري: المعنى أن الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن حاله مع كثرتة وغازاته فكيف بأعمال نزره خلطت بها .

من أقوال السلف في ذم الغيبة :

كان عمرو بن العاص يسير مع أصحابه فمر على بغل ميت قد انتفخ ، فقال: والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه خير من أن يأكل لحم مسلم . وعن عدي بن حاتم : الغيبة مرعى اللئام .

وعن كعب الأحبار: الغيبة تحبط العمل .

ويقول الحسن البصري: والله للغيبة أسرع في دين المسلم من الأكلة في جسد ابن آدم .

قال سفيان بن عيينة : الغيبة أشد من الدين ، الدين يقضى ، والغيبة لا تقضى)) .

وقال سفيان الثوري : إياك والغيبة ، إياك والوقوع في الناس فيهلك دينك .

وسمع علي بن الحسين رجلاً يغتاب فقال: إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس .

وقال أبو عاصم النبيل: لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له .

بواعث الغيبة، وكيفية التخلص منها :

١- ضعف الإيمان والورع : مما يجعل المرء يستطيل في أعراض الناس من غير روية جاء في

حديث عائشة في قصة الإفك قولها عن زينب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن أمري: (ما علمت؟ وما رأيت؟ فقالت: أحمي سمعي وبصري ما علمت إلا خيراً قالت: وهي التي

كانت تُساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع)

(جامع الترمذي وصححه الألباني)

٢- موافقة الأقران والجلساء ومجاملتهم قال الله على لسان أهل النار :

(وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) (المدثر: ٤٥) ؛ قال قتادة في تفسيرها : كلما غوى غاوى غوينا معه

وفي الحديث : ((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ التَّمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ وَمَنْ التَّمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ

(الناس)) (رواه ابن حبان وصححه الألباني) .

٣- الحنق على المسلمين وحسدهم والغیظ منهم:

قال ابن تیمیة: ومنهم من یحمله الحسد على الغیبة فیجمع بین أمرین قبیحین: الغیبة والحسد ، وإذا أثنى على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه فی قالب دین وصلاح أو فی قالب حسد وفجور وقدح لیسقط ذلك عنه .

٤- حب دنیا والحرص على السؤود فیها: قال الفضیل بن عیاض: ما من أحد أحب الریاسة إلا حسد وبغی وتتبع عیوب الناس وكره أن یذكر أحد بخیر .

٥- الهزل والمزاح: قال ابن عبد البر: "وقد كره جماعة من العلماء الخوض فی المزاح لما فیه من ذمیم العاقبة ومن التوصل إلى الأعراض .

كيفية التخلص من الغيبة:

١- تقوى الله عز وجل والاستحياء منه: ویحصل هذا بسماع وقراءة آیات الوعد والوعد وما جاء عن النبی صلی الله علیه وسلم من أحادیث تحذر من الغیبة ومن كل معصية وشر ،

وقد قال صلی الله علیه وسلم: «اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحْيَى مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَلْيَذْكَرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَى مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» (رواه الترمذی وحسنه الألبانی).

٢- تذكر مقدار الخسارة التي يخسرها المسلم من حسناته ويهدبها لمن اغتابهم من أعدائه وسواهم.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلی الله علیه وسلم - قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» . قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا . وَأَكَلَ مَالَ هَذَا . وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (رواه مسلم).

٣- أن يتذكر عيوبه وينشغل بها عن عيوب غيره ، وأن يحذر من أن يبتلئيه الله بما يعيب به إخوانه.

قال أنس بن مالك: "أدركت بهذه البلدة - المدينة - أقواماً لم يكن لهم عيوب ، فعابوا الناس ، فصارت لهم عيوب ، وأدركت بهذه البلدة أقواماً كانت لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس ، فنسيت عيوبهم" .

٤- مجالسة الصالحين ومفارقة مجالس البطالين: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً» . (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

٥ - قراءة سير الصالحين والنظر في سلوكهم وكيفية مجاهدتهم لأنفسهم:

قال أبو عاصم النبيل: ما اغتبت مسلماً منذ علمت أن الله حرم الغيبة .

قال الفضيل بن عياض: كان بعض أصحابنا نحفظ كلامه من الجمعة إلى الجمعة. أي لقلته .

وقال محمد بن المنكدر: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت .

٦- أن يعاقب نفسه ويشارطها حتى تطلع عن الغيبة : قال حرملة : سمعت رسول ابن وهب يقول: نذرت أني كلما اغتبت إنساناً أن أصوم يوماً فأجهدني ، فكنت أعتاب وأصوم. فنويت أني كلما اغتبت إنساناً أني أتصدق بدرهم ، فمن حب الدراهم تركت الغيبة.

قال الذهبي : هكذا والله كان العلماء ، وهذا هو ثمرة العلم النافع .

٧ - رد الغيبة: أوجب العلماء على المسلم عدم سماع الغيبة :

ودفع الغيبة حين حضورها من أعظم الأعمال ، فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - ، عن النبي -

صلی الله عليه وسلم - قَالَ: "مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

(رواه الترمذي وصححه الألباني).

فضائل الدعاء

- * العناصر :-
- * أهمية ومنزلة الدعاء .
- * أنواع الدعاء .
- * آداب الدعاء .
- * كيفية تحري أوقات إجابة الدعاء .
- * موانع إجابة الدعاء .

الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، هو الأول والآخِر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد :

فإن الدعاء له منزلة عظيمة في الإسلام؛ فهو من أفضل العبادات؛ ولهذا جاءت نصوص كثيرة في القرآن الكريم وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم تدل على فضل الدعاء.

**** معنى الدعاء :** الدعاء: هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله، والاستكانة له.
(فتح الباري لابن حجر العسقلاني).

أهمية ومنزلة الدعاء الدعاء :

وصية رب العالمين.

حُتْنَا اللهُ تَعَالَى عَلَى الدُّعَاءِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

(١) قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: ١٨٦]؛ قال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله -: وإذا سألك يا محمد عبادي عني: أين أنا؟ فإني قريبٌ منهم، أسمع دعاءهم، وأجيب دعوة الداعي منهم؛ (تفسير الطبري - ج ٣).

(٢) قال سبحانه: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) [النمل: ٦٢].

قال ابن كثير - رحمه الله - : بينه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل؛ كما قال: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ) [الإسراء: ٦٧]

وقال تعالى: (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ) [النحل: ٥٣]؛ قوله تعالى:

(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) [النمل: ٦٢]؛ أي: مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطرُّ إلا إليه، والذي لا يكشف ضرَّ المضرورين سواه؛ (تفسير ابن كثير - ج ٦ - ص ٢٠٣).

(٣) قال جل شأنه: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠]؛ قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه؛ أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة؛ (تفسير ابن كثير - ج ٧ - ص ١٥٣).

(٤) قال سبحانه: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف: ٥٥، ٥٦]

قال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - : ادعوا أيها الناس ربكم وحده، فأخلصوا له الدعاء دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام.

قوله: (تَضَرُّعًا) [الأعراف: ٥٥]؛ أي: تذللًا واستكانةً لطاعته، (وَخُفْيَةً) [الأعراف: ٥٥]؛ أي: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا مرأاةً، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فَعَلَ أَهْلَ النِّفَاقِ وَالْخِدَاعِ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ؛ (تفسير الطبري - ج ١٠ -).

فضل الدعاء في السنة:

(١) روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

((ليس شيءٌ أكرمَ على الله تعالى من الدعاء))؛ (حديث حسن) (صحيح الترمذي - للألباني -).

(٢) روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ،

يَغْضَبُ عَلَيْهِ))؛ (حديث حسن) (صحيح الترمذي - للألباني - حديث ٢٦٨٦).

• قال المباركفوري - رحمه الله - : لأن ترك السؤال تكبرٌ واستغناءً، وهذا لا يجوز للعبد.

قال الشاعرُ:

اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكَتَ سِوَالَهُ ♦♦♦ وَبُنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

(تحفة الأحوذى بشرح الترمذى - المباركفوري - ج ٩ - ص ٢٢١).

(٣) روى أبو داود عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن ربكم تبارك وتعالى حييٌّ كريمٌ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صِفراً؛ "أي خاليتين")؛ (حديث صحيح) (صحيح أبي داود - للألباني - حديث ١٣٢٠).

(٤) روى الترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكر، فليكثر الدعاء في الرخاء)) (صحيح الترمذى - للألباني).

قوله: (مَنْ سره)؛ أي: أعجبه، وفرح قلبه وجعله مسروراً.

قوله: (الشدائد): جمع الشديدة، وهي الحادثة الشاقة.

قوله: (الْكَرْب): جمع الكربة، وهي الغم الذي يأخذ بالنفس.

قوله: (فليكثر الدعاء في الرخاء)؛ أي: في حالة السعة والصحة، والفراغ والعافية .
(مرقاة المفاتيح - علي الهروي - ج ٤ - ص ١٥٣١).

(٥) روى الترمذى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافلٍ لاهٍ))؛ (حديث صحيح) (صحيح الترمذى - للألباني - حديث ٢٧٦٦)؛ قوله: (وأنتم موقنون بالإجابة)؛ أي: وأنتم معتقدون أن الله لا يخيبكم؛ لسعة كرمه، وكمال قدرته، وإحاطة علمه، لتحقق صدق الرجاء وخلوص الدعاء؛ لأن الداعي ما لم يكن رجاؤه واثقاً، لم يكن دعاؤه صادقاً؛ (مرقاة المفاتيح - علي الهروي - ج ٤ - ص ١٥٣١).

(٦) روى مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا مات الإنسان، انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له))؛ (رواه مسلم).

(٧) روى أبو داود عن النعمان بن بشير، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الدُّعاء هو العبادة
(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر: ٦٠]))؛ (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني).

قوله: (الدُّعاء هو العبادة)؛ أي: هو العبادة الحقيقية، التي تستأهل أن تسمى عبادة؛ لدلالته على الإقبال على الله، والإعراض عما سواه، بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه، قائمًا بوجوب العبودية، معترفًا بحق الربوبية، عالمًا بنعمة الإيجاد، طالبًا لمدد الإمداد على وفق المراد، وتوفيق الإسعاد).
(مرقاة المفاتيح - علي الهروي - ج ٤ - ص ١٥٢٧).

(٨) روى الترمذي عن أنس بن مالك، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ بَلَغْتَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَعْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ لَقَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئًا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لِأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))؛ (حديث صحيح) (صحيح الترمذي للألباني).

قوله: (إنك ما دعوتني ورجوتني)؛ أي: ما دمت تدعوني وترجونني في مدة دعائك ورجائك غفرتُ لك على ما كان فيك من المعاصي، وإن تكررت وكثرت.

قوله: (ولا أبالي): لا أهتمُّ بكثرة ذنوبك؛ إذ لا مُعَقَّبٌ لحُكْمِي، ولا مانع لعطائي.

قال الطَّبَّيُّ - رحمه الله - : أي لا يُسألُ اللهُ تعالى عما يفعل؛ (مرقاة المفاتيح).

أنواع الدُّعاء:

الدُّعاء نوعان:

الأول: دعاء العبادة: دعاء العبادة: هو الذي يتضمن الثناء على الله تعالى بما هو أهله، ويكون مصحوبًا بالخوف والرجاء؛ روى الترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خير الدُّعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)) (رواه الترمذي وصححه للألباني).

الثاني: دعاء المسألة:

دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره، ودفعه، وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود ؛ والدُّعاء في القرآن يراد به دعاء العبادة، أو يراد به دعاء المسألة، أو يراد به مجموعهما، وهما متلازمان، وقد ورد المعنيان جميعاً في قوله سبحانه: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف: ٥٥، ٥٦]؛ (مجموع فتاوى ابن تيمية - ج ١).

بعض آداب الدعاء:

١ - الوضوء: روى البخاري في المغازي في باب غزوة أوطاس، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أرسل جيشاً، وأمر عليهم أبا عامر الأشعري، فأصيب بسهم في ركبته، فنزعه أبو موسى، فقال له أبو عامر: بلغ رسول الله ﷺ، وقل له يستغفر لي، ثم مات، فرجع أبو موسى فبلغ رسول الله تعالى، فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: ((اللهم اغفر لعبيد أبي عامر، اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس))، فقال أبو موسى: ولي فاستغفر، فقال: ((اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً)) (رواه البخاري ، ومسلم).

٢ - استقبال القبلة : ثبت في (الصحيحين) عن ابن مسعود، أن النبي ﷺ لما أراد أن يدعو على نفرٍ من قريشٍ استقبل الكعبة فدعا.

وفي (الصحيحين) أيضاً في الاستسقاء، لما أراد النبي ﷺ أن يدعو استقبال القبلة وحول رداءه ؛ وفي (صحيح مسلم) لما أراد أن يدعو على المشركين في غزوة بدرٍ استقبل القبلة، ثم مدَّ يديه يهتفُ بربِّه [رواه مسلم].

٣ - التضرُّع وخَفْضُ الصوت: قال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) قال ابن عباس: السرُّ. قال سعيد بن جبیر: (تضرُّعًا) مستكِينًا، (وخُفْيَةً) في خفضٍ وسُكُونٍ.

قال الحسن البصري: كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوتٌ، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم ؛ وفي (الصحيحين) عن أبي موسى قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء، فقال

صلى الله عليه وسلم: ((أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إن الذي تدعون سميعٌ قريبٌ)) (رواه البخاري ومسلم).

٤ - رفعُ اليدين أثناء الدعاء: روى أحمد والترمذي - وصححه الحاكم والذهبي - عن سلمان الفارسي، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن ربكم حيُّ كريمٌ، يستحي أن يبسطَ العبدُ يديه إليه فيردَّهما صفرًا، أو قال: خائبين)) (صححه الألباني في صحيح أبي داود).

٥ - أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: فقد روى الترمذي - وقال: حسنٌ صحيحٌ - عن ابن مسعود قال: (كنتُ أصلي، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دعوتُ لِنفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ)) (حسنه الألباني).

٦ - يعزم المسألة ولا يستثني: ففي (الصحيحين) عن أبي هريرة مرفوعًا: ((لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم الدعاء، فإن الله صانع ما شاء، لا مكره له)) (رواه البخاري ومسلم).

٧ - تكرار الدعوة ثلاثًا: روى مسلم عن ابن مسعود قال: (وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا...)

وعند أبي داود - بسند حسن -: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُعجبه أن يدعو ثلاثًا، ويستغفر ثلاثًا) [صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٤)، وأحمد (٣٧٤٤)، بسند صحيح.

رابعًا: أوقات إجابة الدعاء:

١ - جوف الليل: روى (مسلم) عن جابر مرفوعًا: ((إن في الليل لساعةً لا يُوافقها رجلٌ مُسلمٌ يسألُ اللهَ خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كلَّ ليلةٍ)) رواه مسلم (٧٥٧).

وفي (الصحيحين): ((ينزل ربُّنا تبارك وتعالى في كلِّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلثُ الليل الآخر...، يقول: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)) (رواه البخاري ومسلم).

٢ - ساعة الجمعة: ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يُصلي، يسأل الله خيراً، إلا أعطاه إياه)).

٣ - دعوة الصائم والمسافر: روى البيهقي في الشعب - وصححه الألباني - عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر)) [حسن: رواه البيهقي في الشعب (٣/ ٣٤٥)، والضياء في (المختارة) (١/ ١٠٨)، وصححه الألباني في (الصحيحة) (١٧٩٧٧)].

٤ - بين الأذان والإقامة: ففي مسند أحمد - بسندٍ صحيح - عن أنس مرفوعاً: ((الدعاء لا يُردُّ بين الأذان والإقامة))، وعند أبي يعلى: ((الدعاء بين الأذان والإقامة مستجابٌ، فادعوا)) (صحيح الجامع الصغير للألباني).

٥ - الدعاء في مجالس الذكر: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تبارك وتعالى ملائكةٌ سيّارةٌ فضلاً يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكرٌ قعدوا معهم، وحفّ بعضهم بعضاً بأجنتهم، حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرّقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم بهم -: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض يُسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنّتك، قال: وهل رأوا جنّتي؟ قالوا: لا؛ أي رب، قال: فكيف لو رأوا جنّتي؟ قالوا: ويستجبرونك، قال: ومم يستجبرونني؟ قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا نارِي؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا نارِي؟ قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرتُ لهم، فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: ربّ فيهم فلانٌ عبدٌ خطّاءٌ، إنما مرّ فجلس معهم، قال: وله غفرتُ، هم القومُ لا يَشْقَى بهم جليسُهُم)) رواه البخاري .

٦ - الدعاء عند التقلب من النوم: ((عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ تعارَّ من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، سبحان الله تعالى، ولا إله إلا الله تعالى، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا - استجيب له، وإن توجّساً وصلى قبّلت صلاته)) [رواه البخاري (١١٥٤)].

٧ - عند سماع صياح الديك: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا سمعتم أصوات الديكة، فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحَمِير فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنها رأت شيطانًا)) (رواه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩)).

** أسباب عدم استجابة الدعاء :

١- الاستعجال في الدعاء؛ فعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي) متفق عليه).

٢- حكمة ربانية؛ فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة للرحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يُعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها (متفق عليه)).

٣- أكل الداعي من مأكَل حرام وشربه من مشرب حرام ولبسه من لباس حرام؛ فعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في الرجل يمدُّ يده إلى السماء يقول: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذِّي بالحرام فأنى يُستجاب لذلك: (رواه مسلم).

٤- عدم الجزم في الدعاء؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - : لا يُقَلُّ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له)) (رواه البخاري).

٥- غفلة القلب؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافلٍ لاه)) (متفق عليه)

٦- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فقد جاء عن حذيفة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف وتنتهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله - عزَّ وجلَّ - أن يبعثَ عليكم عذابًا من عنده، ثم تدعونَه فلا يُستجاب لكم) (رواه الترمذي وحسنه الألباني).

الولاء والبراء

✱ العناصر:-

- ✱ معنى عقيدة الولاء والبراء .
- ✱ التحذير من التهاون في موالاته الكافرين .
- ✱ بيان منزلة عقيدة الولاء والبراء .
- ✱ بيان بعض الصور من موالاته الكافرين .
- ✱ نماذج ساطعة للولاء والبراء .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد : فإن الولاء والبراء ركن من أركان العقيدة ، وشرط من شروط الإيمان ، تغافل عنه كثير من الناس وأهمله البعض فاختلفت الأمور وكثر المفرطون .

ومعنى الولاء : هو حُب الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين ونصرتهم .

والبراء : هو بُغض من خالف الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين ، من الكافرين والمشركين والمنافقين والمبتدعين والفساق .

فكل مؤمن موحد ملتزم للأوامر والنواهي الشرعية ، تجب محبته وموالاته ونصرته . وكل من كان خلاف ذلك وجب التقرب إلى الله تعالى ببغضه ومعاداته وجهاده بالقلب واللسان بحسب القدرة والإمكان ، قال تعالى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) . والولاء والبراء أوثق عرى الإيمان وهو من أعمال القلوب لكن تظهر مقتضياته على اللسان والجوارح ، ثبت في الحديث الصحيح : (عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»).

[رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ]

وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة في التحذير من موالاته الكفار؛ والتأكيد على عداوتهم لنا وبيّنت الآيات الكثيرة أن موالاته الكفار من علامات النفاق، حتى نحذر منهم ومن مكرهم.

ولعلنا نقف مع بعض الآيات والأحاديث وأقوال أهل العلم في التحذير من موالاته الكفار.

قال الله تعالى: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) [آل عمران: ٢٨]؛ قال أهل التفسير: (نهى الله عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم، أو صداقة قبل الإسلام، أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعايش).

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ؛ قال حذيفة رضي الله عنه : (ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر، فإن الله يقول: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) .

وقال الله تعالى: (لَأَتَّخِذُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) [المجادلة: ٢٢٢]. وفي هذه الآية نفى الله -سبحانه وتعالى- الإيمان عن هذا شأنه، ولو كانت مودته ومحبته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم من أقربائه؛ فضلاً عن غيرهم، مما يدل على عظم الأمر وخطورته.

منزلة عقيدة الولاة والبراء من الشرع عظيمة :

أولاً : أنها جزء من معنى الشهادة ، وهي قول : (لا إله إلا الله) من (لا إله إلا الله) فإن معناها البراء من كل ما يُعبد من دون الله .

ثانياً : أنها شرط في الإيمان ، كما قال تعالى : (تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) .

ثالثاً : أن هذه العقيدة أوثق عرى الإيمان :

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ ") . [صححه الألباني]

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : (فهل يتم الدين أو يُقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله ، والمعاداة في الله ، والموالاتة في الله ، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقاً بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا بين أولياء الرحمن والشيطان) .

رابعًا : أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان ولذة اليقين ، لما جاء عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْعَبْدَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ)
[متفق عليه]

خامسًا : أنها الصلة التي يقوم على أساسها المجتمع المسلم (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) .

سادسًا : أنه بتحقيق هذه العقيدة تنال ولاية الله ، لما روى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :
(من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلواته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) (حلية الأولياء عن ابن عباس وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي) .

سابعًا : أن عدم تحقيق هذه العقيدة قد يدخل في الكفر ، قال تعالى : (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ)

ثامنًا : أن كثرة ورودها في الكتاب والسنة يدل على أهميتها .

يقول الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله - : (فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك ، وأكد إيجابه ، وحرّم موالاتهم وشدد فيها ، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده) . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا الله ، ولا يبغض إلا الله ، ولا يواد إلا الله ، ولا يُعادي إلا الله ، وأن يحب ما أحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله) .

من صور موالات الكفار أمور شتى ، منها :

١- التشبه بهم في الملبس والكلام .

٢- الإقامة في بلادهم ، وعدم الانتقال منها إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين .

٣- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس .

٤- اتخاذهم بطانة ومستشارين .

٥- التأريخ بتاريخهم خصوصًا التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي .

٦- التسمي بأسمائهم .

٧- مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبةها أو حضور إقامتها .

٨- مدحهم بما هم عليه من المدنية والحضارة ، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون النظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد .

٩- الاستغفار لهم والترحم عليهم .

قال أبو الوفاء بن عقيل : (إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان ، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع ، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك ، وإنما انظر إلى مواطناتهم أعداء الشريعة .

نماذج ساطعة في الولاء والبراء!

كم كانت هذه العقيدة راسخة عند الصحابة رضي الله عنهم كم كانت موجودة في الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام. فهذا إبراهيم يقول لقومه:
(إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) [المتحنة: ٤].

كذلك في فتية أصحاب الكهف عندما قالوا:

(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) [الكهف: ١٦].

كم كانت هذه العقيدة راسخة في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فكان الواحد إذا دخل في الإسلام يخلع على عتبة الإسلام كل ما كان من أمر الجاهلية، لا يبقى فيه شيء من الجاهلية، ومن ذلك الولاء والبراء؛ فيصير حبه لله ونصرته لدين الله عز وجل.

فهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، خال النبي ﷺ ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان من السابقين الأولين ومن المهاجرين فكان من أبرّ الناس بأمه، فلما أسلم قالت أمه: "والله لا أكل ولا أشرب حتى ترجع عن دينك أو أموت"، فمكثت يوماً وليلة، ثم مكثت يوماً آخر، حتى جهدت، فقال لها سعد رضي الله عنه: "والله لو كان لك مائة نفس، وخرجت نفساً تلو الأخرى، ما تركت ديني؛ فكلي أو لا تأكلي!" فلما رأت ذلك منه وأيست منه، أكلت وشربت.

وهذا طلحة بن عبيدالله أحد العشرة المبشرين يوم بدر يتعرض له أبوه، ويتحاشاه أبو عبيدة، فلما أصر أبوه على قتله؛ تمكن منه أبو عبيدة فقتله. الولاء لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

وهذا كعب بن مالك؛ لما تخلف عن غزوة تبوك، وقاطعه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر الصحابة بمقاطعته تأديباً له، وتربية للأمة في التخلف عن رسول الله - أرسل له ملك غسان يقول له: "بلغنا أن صاحبك قد جفاك، فالحق بنا نواسك"، أراد أن يستغل الفرصة من أجل أن يترك كعب النبي صلى الله عليه وسلم ويذهب إلى ملك غسان ويقربه، فلما نظر في الكتاب قال: "وهذا أيضاً من البلاء"، وسجر به التنور؛ أي: ألقاه في الفرن)

الولاء لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين. مر مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان حاملاً لواء المسلمين يوم بدر، مر بعد انتهاء الغزوة؛ في الأسرى؛ فوجد أخاه أبا عزيز بن عمير يأسره رجل من الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: "شد يديك به؛ فإن أمه ذات متاع"؛ فقال له أبو عزيز: "أهذه وصاتك بي يا أخي؟!"; فهو يظن أن أخاه يحابيه ويواسيه ويوصي عليه، ولكنه فوجئ بالعكس من ذلك، يقول للأنصاري: "شد يديك به؛ فإن أمه ذات متاع"؛ أي: ذات مال، فقال: "أهذه وصاتك بي يا أخي؟!"; فقال: "إنه أخي دونك"؛ أي هذا الأنصاري أخي، وأنت لست أخي. كما قال الله عز وجل لنوح عليه السلام في ابنه الكافر:

(قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) [هود: ٤٦] مع أنه من صلبه، لكنه ليس من أهله، لأنه ليس من أهل الإيمان. فالمحبة الإيمانية وعلاقة الإيمان أقوى من علاقة النسب، فلو أن أحداً من المسلمين مات وليس له إلا ولد كافر؛ فهذا الكافر لا يرثه، ويذهب ماله لبيت مال المسلمين؛ فهم أولى به.

! حرمة التعدي على الميراث !

العناصر :-

- * الميراث هو وصية الله تعالى .
- * مميزات نظام الإرث في الإسلام .
- * أسباب التحايل على الميراث وأكله .
- * عقوبة أكل ميراث الغير والتحايل عليه .
- * نماذج من ورع السلف وحذرهم من أكل الميراث!

الحمد لله الذي قسم الميراث بنفسه وهو أعدل من قسم وهو الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له في عبادته وهو أعلم وأحكم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أصدق البرية لساناً وأعلاها مقاماً وأعظمها شأنناً؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون: إن من المواضيع الهامة التي يشتكي منها كثير من المسلمين والمسلمات ونشاهدها في كثير من المجتمعات قضية الحرمان أو التحايل على أكل الميراث فكم من امرأة حرمت من ميراثها. وكم من يتامى أكلت حقوقهم وكم من ضعفاء لم يجدوا لهم ناصرًا ومما يزيد من الألم ويفجع الفؤاد أن يكون الظلم من الإخوة للأخوات وصدق الشاعر إذ يقول :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة *** على النفس من وقع الحسام المهند

لقد حرم الله - عز وجل - الظلم على نفسه، وحرمه على عباده، كما في الحديث القدسي: "عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» (رواه مسلم).

والله سبحانه توعد الظالمين بالعذاب فقال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) [إبراهيم: ٤٢]. لذا كان لزاماً أن نتكلم عن هذه القضية:

الميراث وصية الله - تعالى - لعباده !

أيها الأحباب: الميراث هو وصية الله -تعالى- لعباده والذي يتأمل في فرائض الإسلام ليرى أمراً عجيباً فالله - تعالى- فرض علينا الصلاة ولم يفصل في القرآن عدد الركعات وتركها لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ليبينها لنا عن طريق السنة وكذا الزكاة، أما الميراث فبينه - سبحانه وتعالى- ووضح لنا نصيب كل فرد وبين لنا أحواله.

ومن تأمل الآيات الثلاث الواردة في تفصيل أنصبة الورثة رأى أنها جميعاً ختمت بصفة العلم **في الآية الأولى:** (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء: ١١] أى عليمًا بخلقه وما يصلح لهم، حكيمًا في تصرفه في شؤون خلقه وتدبيره لهم (أيسر التفاسير).، **وفي الآية الثانية:** (وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ) [النساء: ١٢] والله عليم بنياتكم وأحوالكم وما يضركم وما ينفعكم فسلموا بقسمته وأطيعوه فيها وهو حلیم لا يعاجل بالعقوبة فلا يغرکم حلمه أن بطشه شديد وعذابه أليم(أيسر التفاسير)

وفي الآية الثالثة: (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [النساء: ١٧٦] فلا يجهل شيئاً ولا يخفى عليه آخر، وكيف وقد أحاط بكل شيء علماً سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه.. (أيسر التفاسير للجزائري)

ويقول سبحانه: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ) [النساء: ١١]؛ إنه سبحانه يوصي بتقسيم الميراث تقسيماً إسلامياً على منهج القرآن الكريم، وهذا يعني أنه سبحانه وإن كان قد وصّى بالتوحيد والتقوى -وهما من أعظم أمور الدين- مرة واحدة؛ فقد وصّى وما زال يوصي إلى الآن - بل إلى قيام الساعة - بالتزام المنهج القرآني عند تقسيم الميراث، فقال: (يُوصِيكُمُ) بالفعل المضارع الذي يدلُّ على التجدد والاستمرارية، وفي ذلك إشارة واضحة إلى الاهتمام البالغ من القرآن بتقسيم الميراث تقسيماً شرعياً مصدره الوحي المعصوم.

أيها الناس: إن من عادة كل إنسان أن يُنفذ وصية من له مكانة عنده، وكلما علت مكانة الموصي، كان تنفيذ وصيته ألزماً، ولا سيما إن كرر نفس الوصية وأمر بتنفيذها.

إن الله -جل في علاه- أعظم من كلِّ عظيم، وأكبر من كلِّ كبير، وأعلى من كلِّ عليٍّ؛ قال تعالى: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) [الأعلى: ١]؛ لذا نقول: إنَّ وصية الله في الميراث أولى أن تُنفذ.

بعض مميزات نظام الإرث في الإسلام!

١- الله تعالى هو الذي حدد نصيب كل وارث

وقد امتاز نظام الإرث في الإسلام عن غيره من أنظمة التوريث الوضعية القاصرة، فلم يجعل الشارع الحكيم قسمة الميراث إلى مالك المال ليورث من يشاء ويحرم من يشاء، بل لم يجعل ذلك إلى نبي مرسل ولا إلى ملك مقرب، وإن الله سبحانه وتعالى هو الذي قسم التركة في آيات قرآنية تتلى إلى يوم القيامة.

٢- أعطى الإنسان حرية التصرف في ثلث ماله بعد موته يضعه حيث يشاء!

من الأصدقاء والأقرباء الذين لا يرثون أو إلى جهات الخير، وليس له أن يجعله فيما يخالف الشرع فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله

تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم زيادة لكم في أعمالكم" رواه أبو داود وحسنه الألباني .

وأما الثلثان الباقيان فهما حق شرعي للأقربين ، وبذلك حمى الإسلام المستضعفين من النساء والأطفال والحمل في بطن أمه الذين كان أهل الجاهلية يحرمونهم من حقهم في الإرث.

٣- جعل الإسلام التفاضل في الميراث بحسب الحاجة!

فجعل نصيب الابن ضعف نصيب البنت، فقال تعالى: ((فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ))
{النساء: ١٧٦}.

لأن حاجة الرجل إلى المال أكثر من حاجة المرأة إليه، فهو مكلف بتحمل الأعباء الزوجية والنفقة على البيت إلى غير ذلك من أمور الحياة العامة، والمرأة ليست مكلفة بذلك. وقد ميزت المرأة عن الرجل في مواضع أخرى كثيرة ووضع الإسلام للميراث شروطاً وموانع، فإذا توفرت الشروط وانتقت الموانع حصل الإرث وإلا فلا، وأحكام الميراث مفصلة في كتب الفقه فمن أراد التوسع فليرجع إليها في مظانها.....

٤- لا مجال في توزيع أنصبة الميراث للمجاملة!

ولا للواسطة ولا للرأي ولا للهوى إنها شريعة الله وحكمة الله تولى الله قسمة الموارث منعا للنفوس الضعيفة المفتونة بالمال أن تتلاعب بمال الورثة ومنعا للشقاق والاختلاف تولى الله قسمة

المواريث لكي يضى على المؤمن الطمأنينة والرضا إذا علم حينما يقل نصيبه أو حينما يمنع من الإرث أن نقصه أو منعه آت من لدن أحكم الحاكمين فيرضى حينذاك بحكم الله .
(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) ومن أعظم صور العدل في الميراث تصافي القلوب بين الورثة وعدم تراشق سهام الضغائن فكل قد رضي بنصيبه الذي فرضه الله له.

٥- وجوب التسوية بين الأولاد في الهبة!

« عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال سألت أمي أبي بعض الموهبة لي من ماله ثم بدا له فوهبها لي فقالت لا أرضى حتى تشهد النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي وأنا غلام فأتى بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمه بنت راحة سألتني بعض الموهبة لهذا قال ألك ولد سواه قال نعم قال فأراه قال لا تشهدني على جور » (رواه النسائي وصححه الألباني)

٦- الفوز العظيم لمن يطبق حدود الله!

قال تعالى " تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " [النساء: ١٣].

٧- حرمة التعدي على حدود الله! قال - سبحانه - : (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُواهَا) [البقرة: ٢٢٩].

أسباب أكل الميراث؛ أخوة الإسلام: إن هناك أسبابا عديدة تجعل الإنسان يأكل الميراث ويتعدى حدود ما أنزل الله - تعالى - نذكر من أهمها:

ضعف الإيمان: فأكل الميراث ضعيف الإيمان وإن صلى وصام وقرا القرآن لأنه تشبه بأعداء الله و قتل الأنبياء عندما قالوا لأنبيائهم كما أخبر الله -تعالى- عنهم؛ (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [البقرة: ٩٣]؛ فالله -تعالى- أمرهم ولكنهم قالوا سمعنا وعصينا، وأنت يا أكل الميراث إن لم تقلها بلسانك فأنت تقولها بأفعالك وجودك لحقوق الورثة.

طمع الأقارب في ميراث المرأة: فكثيرا من أكلة المواريث أصابهم الجشع والطمع فجدوا حق الورثة ظنا منهم أن ذلك سينقص المال والطمع جمرة لا تحرق إلا صاحبها في الدنيا والآخرة؛ فعن كعب بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا ذَنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ جِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

قال المناوي: "فمقصود الحديث أن الحرص على المال والشرف أكثر إفساداً للدين من إفساد الذنبيين للغنم؛ لأن ذلك الأشر والبطر يستفز صاحبه ويأخذ به إلى ما يضره، وذلك مذموم لاستدعائه العلو في الأرض والفساد المذمومين شرعاً".

التقاليد والعادات القبلية الجاهلية: فبعض الناس عندهم عادات لا يورثون البنات ويجحدوهم حقوقهم فإذا قلت له لماذا لا تورث إخوتك يقول نحن وجدنا آباءنا وأجدادنا لا يورثون البنات؛ نقول له: هذه عادات أهل الجاهلية الذين ذمهم الله -تعالى- وبين أن بعض التقاليد سبيل الضلال (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) [المائدة: ١٠٤]

وقال تعالى: (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) [الشعراء: ٧٤]، وقال جل ذكره: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَان الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ) [لقمان: ٢١].

وليعلم كل إنسان أن الله سيسأله يوم القيامة عن نفسه وليس عن آباءه فلذلك لا يجوز الإتيان الأعمى في كل خطأ وإنما لابد من فعل ما وافق أمر الله ورسوله وليس ما وافق الأهواء.

التأخر في تقسيم التركة :

وهذا يحدث كثيراً، وقد يكون ذلك التأخير إما بسبب تهاون الورثة، أو بسبب تشعب تركة الميت وكثرة أملاكه وتفرقتها في أماكن مختلفة، وبالتالي لا تعرف المرأة كم نصيبها وربما تأخر حصولها على نصيبها سنوات عديدة. ويمكن علاج هذا السبب بالمبادرة بتوزيع التركة وعدم التأخر، وأما التركة المتفرقة فيوزع كل ما يتم معرفته مباشرة، ثم إذا تم معرفة أموال جديدة توزع مباشرة وهكذا حتى يتم إنهاء جميع ما للميت ويحصل كل وارث على ما يستحقه من تركة الميت بما في ذلك النساء.

اعتقاد البعض أن المرأة لا تحسن التصرف في مالها :

وادعائه أنه يحافظ على مصلحتها وهنا تكمن مشكلة عدم استفادتها من مالها الذي تكون في أمس الحاجة إليه وربما ضياع ميراثها فيما بعد خاصة عندما لا يهتم الولي على المال بالكتابة وتحديد ما للمرأة من مال وأين يوجد هذا المال. ويمكن علاج هذا السبب بإخبار المرأة الوريثة بمقدار مالها من مال وإعطائها مالها.

تخصيص الوالد أحد أبنائه لمعرفة أملاكه :

والبقية لا يعلمون وقد ينزغ الشيطان الابن لإخفاء بعض الأموال.

أيها المسلمون: الأولى أن الميراث وما خلفه الميت من المال أن يجمع الأسرة ولا يفرقها ويقويها ولا يضعفها الواجب على العقلاء أن لا يغلبهم حب المال فيقدموه على حبههم لأهلهم وإخوانهم وأخواتهم. من كان يظن أن أخا يشتكي أخاه في المحاكم؟

من كان يظن أن الأخوة الأخوات بعد الوصال والحب تهاجروا وتباغضوا؟ ترى لو علم والدهم ومورثهم أكان يرضيه ذلك؟ ترى لو علم والدهم ومورثهم أكان يرضيه ذلك؟

يا أهل كل ميت أيها الورثة:

بادروا ثم بادروا ثم بادروا بقسمة الميراث إن المبادرة تسهل قسمة المال وتدعو لتراحم الأقارب.

وفي التأخير قد يموت أحد الورثة وتطول مطالبات أولاده ويعمل الشيطان بنزغه وأزه

يا مَنْ وَجَدَ مَالَ التَّرِكَةِ سَهْلًا! مهلاً.. يا من استولى على ميراث الإناث، وأغراه ضعفهنَّ وسكوتهنَّ وحيأوهنَّ.. يا من استولى على ميراث الأيامي واليتامي، وغره صغرهم وعجزهم وانقطاعهم .. خسرت يدك، وخاب مسعاك . كيف طابت نفسك أن تستولي على المال والأرض ، والضِّياع، وتُسند إخوتك وقرابتك إلى الفقر والعجز والضياع؟! كيف طابت نفسك أن تحوز الربح والثمرة والأجرة والعقار، وتُقابل إخوتك وقرابتك بالهجر والنكر والازدراء والاحتقار!؟

ومن احتال على إسقاط الفرائض والمقادير، وتغيير الأنصبياء والسَّهام، وأجحف في تقسيمه، وحاف في توزيعه، وقطع وارثاً من ميراثه، وحبس مال التَّرِكَةِ، أخفى أصولها وأعيانها، وغيب إثباتها وإسنادها، واستأثر بالتصرف فيها، وماطل في قسمتها، ورام استغلالها، وألجأ الوارث إلى التنازل عن سهمه، والرضا بجزءٍ من قسمه؛ فقد تعدى حُكم الله وفريضته وقسمته وحدوده.

قال - جلَّ في علاه - في آخر آيات المواريث من سورة النساء: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) [النساء: ١٣] أي: هذه الفرائض والمقادير هي حدود الله، (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أي: لم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضاً بحيلةٍ ووسيلةٍ، وتركهم إلى حُكم الله وفريضته وقسمته.

(يُدْخِلُهُ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ) [النساء: ١٣، ١٤] أي: بمُضَادَّتِهِ فِي قِسْمَتِهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي الْمَوَارِيثِ.
(يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) [النساء: ١٤]. من الذي أَبَاحَ لَكَ الْأُمُورَ عَقْدَهَا وَنَقَضَهَا، وَإِبْرَامَهَا وَإِصْدَارَهَا؟! من الذي أَبَاحَ لَكَ أَمْوَالَ التَّرِكَةِ إِمْسَاكَهَا وَإِطْلَاقَهَا، حَظَرَهَا وَإِنْفَاقَهَا؟! وَيْلٌ لَكَ وَوَيْلٌ عَلَيْكَ، فَمَا أَنْتَ إِلَّا شَرِيكٌ مِنَ الشُّرَكَاءِ، وَوَارِثٌ مِنَ الْوَرَثَاتِ، لَكَ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرَ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) فَيَا فَوْزَ مِنْ بَادِرٍ إِلَى الصَّوَابِ، وَيَا خَيْبَةَ مِنْ عَمِيٍّ عَلَيْهِ الْجَوَابِ، وَيَا فَلَاحَ مِنْ تَابٍ، وَاسْتَغْفَرَ وَأَنَابَ، وَمَنْ تَابَ وَأَنَابَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ التَّوَّابُ.

عقوبات أكل الميراث:-

أولاً: أنه متعد لحدود الله :-

اعلم -هداني الله تعالى وإياك-: أن أكلك للميراث فيه تعد لحدود الله - تعالى- وانتهاك لحرماته فالله - سبحانه- بعد أن بين الأنصبة قال: (فَلَا تَعْتَدُوهَا) ؛ ولهذا قال: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)؛ أي: فيها، فلم يزد بعض الورثة، ولم ينقص بعضاً بحيلة ووسيلة، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته؛ (يُدْخِلُهُ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)؛ أي: لكونه غير ما حكّم الله به، وضادّ الله في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكّم به؛ ولهذا يُجَازِيهِ بِالْإِهَانَةِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْمُقِيمِ. ولا شك أن من منع امرأة: أختاً كانت، أم أمّاً، أم جدة أم زوجة أم بنتا ميراثها فقد تعدى حدود الله، وتعرض لعقوبته، والله قد قسم الميراث قسمة عدل لا جور فيها ولا حيف؛ أخرج أحمد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إِنَّ الرَّجُلَ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْخَيْرِ سَبْعِينَ سَنَةً، فَإِذَا أَوْصَى حَافٍ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمَ لَهُ بِشَرِّ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الشَّرِّ سَبْعِينَ سَنَةً، فَيَعْدِلُ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمَ لَهُ بِخَيْرِ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ" (ضعفه الألباني في ضعيف الجامع).

ثانياً: أنه أكل لحق الضعيفين -: ونقول لهؤلاء الذين فرقوا دينهم، وطبقوا آية وعطلوا أخرى، وصلوا ثم ظلموا، وزكوا ثم بخلوا، وصاموا ثم تركوا، وحجوا ثم ختموا حياتهم بتضييع الفرائض؛

إن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: "اللهم إني أخرجُ حقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ"
(أخرجه أحمد وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة).

ثالثا: أنه قاطع لأرحامه: فالله - تعالى - يجازي أهل الصلة بالصلة في الدنيا والآخرة، ويجازي أهل القطيعة بالقطيعة في الدنيا والآخرة والجزاء من جنس العمل؛ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْبَغْيِ" (صححه الألباني في الأدب المفرد).

يعني: أنه تحصل له عقوبة في الدنيا والآخرة، فيجمع له بين العقوبة الدنيوية والآخروية؛ حيث يجعل له الله العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة، فيجمع له بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، والضرر الذي يحصل في الدنيا، والضرر الذي يحصل في الآخرة، وهذا يدل على عظم وخطورة شأن البغي وقطيعة الرحم؛ لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذكر أن صاحبهما جدير بأن يحصل له هذا وهذا، وأن يجمع له بين هذا وهذا، وهذا يدل على خطورة أمر البغي وقطيعة الرحم.

رابعا: الحجب والحرمان من دخول الجنان :

فالجنة هي صلة الله التي جعلها لأهل كرامته ولأهل طاعته؛ فإذا قطع المسلم رحمه حبه الله من جنته؛ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

خامسا: الإفلاس يوم القيامة : يا أكلا للميراث: لا تظن أن ذلك فيه الغنى كلا بل فيه الإفلاس؛ (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

توهم نفسك وقد بعث ما في القبور وحصل ما في الصدور وقد أتيت بصلاة وزكاة وصوم وحج ولكنك قد أكلت المواريث انظر إلى نفسك يوم القيامة؛ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟». قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا. وَأَكَلَ مَالَ هَذَا. وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (رواه مسلم).

سادسا: الفضيحة يوم القيامة: ألا فلتعلم أن ما أكلت من حق أختك؛ من مال و عقار؛ ستطوقه يوم القيامة بإذن الله، لو ظلمتها جنيهاً سيأتي عليك ناراً، ولو ظلمتها شبراً من أرض فسيأتي حول

عنك يوم القيامة ناراً من سبع أرضين، قال الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى: "مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ" (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ). وهذا الحديث له قصة عجيبة في الصحيحين؛ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنَ نُفَيْلٍ خَاصَمْتَهُ أُرْوَى بِنْتُ أُوَيْسٍ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَادَّعَتْ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَقَالَ سَعِيدٌ أَنَا كُنْتُ أَخَذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَمَاذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمَّ بَصَرَهَا وَافْتُلُّهَا فِي أَرْضِهَا قَالَ فَمَا مَأْتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ. " (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

نماذج من ورع السلف وحذرهم من أكل الميراث! ونختم حديثنا بروائع من تاريخ أمتنا تبين العدل وتبرز الخوف من الله -تعالى-؛ وهذه القصص هي لنسوة عرفن الله -تعالى- وقلن : (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة: ٢٨٥].

القصة الأولى: ومن ورع نساء السلف ما حكاه الحافظ ابن الجوزي -رحمه الله-: "أن امرأة من الصالحات كانت تعجن عجينة، فبلغها -وهي تعجن- موت زوجها، فرفعت يدها منه، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء؛ أي: أن مال الرجل إذا توفي انتقل وصار ملكاً لورثته الشرعيين، فلم يصبح لها وحدها، فلذلك رفعت يدها من العجين، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء".

القصة الثانية: وأخرى كانت تستصبح بمصباح؛ يعني بالزيت أو شيء من هذا فجاءها خبر زوجها فأطفأت المصباح، وقالت: هذا زيت قد صار لنا فيه شركاء، يعني: ما يجوز لها أن تستقل بالانتفاع به؛ فيا ويل من يأكلون أموال الميراث! وينفقون أموال الطفل اليتيم في السراذقات والتفاخر، وهم لا يخافون الله -سبحانه وتعالى- من أكل أموال اليتامى ظلماً، ويتلفون أموالهم في أشياء حرم الله أن تنفق فيها كالمباهاة والفخر.

حول اسم الله الرقيب

- * ثبوت اسم " الرقيب " لله - عز وجل-
- * من صفات الرقيب - سبحانه -
- * قصص من حياة السلف تبين أثر اسم الله الرقيب .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تُغْفَر الذنوب وتُمحَى السيئات، وعلى أبوابه تُسَكَّب العِبَرَات، وبطاعته تُنَال الخيرات والبركات، وبمعصيته تَحُلُّ الأزمات والنكبات، والصلاة والسلام على خير البريات، سيد الخلق وإمام السعداء، وقائد الغر الميامين إلى رب العالمين، سيدنا محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة: نتعلّم من رمضان ونحن صِيَّامٌ بالنهار، قَوَّامٌ بالليل، لا يَعْلَمُ حالنا إلاَّ الله، فلو شاء الواحد منا أن يتناول شيئاً من الطعام أو الشراب دون أن يَشْعُرَ به أحد لَفَعَلَ، ولا يمنعه من ذلك إلاَّ مراقبته الله -عزَّ وجلَّ- فنعيش مع الرقابة الداخلية والضمير الإنساني، ومع اسم الله "الرَّقِيب" في هذه الكلمات.

وَرَدَ اسْمُ اللَّهِ الرَّقِيبِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى:-
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١] وقوله -
تعالى:- (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [المائدة: ١١٧]
وقوله -تعالى:- (لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) [الأحزاب: ٥٢].

من هنا، نحن في لجنة امتحان الحياة الدنيا، والله هو الرقيب، (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ) [الملك: ٢]، (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الكهف: ٧]، ولكن قد نستطيع أن نغافل الرقيب في إمتحانات الشهادات التعليمية ونغشّ، ولكن فرقٌ بين رقيب الإمتحانات التعليمية، والرقيب في إمتحان الحياة الدنيا، وهو الله -عزَّ وجلَّ-.

صفات الرقيب - سبحانه وتعالى ودلائل رقبته :-

(يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ) [سبأ: ٢]، (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [الحديد: ٤]، (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [المجادلة: ٧]، (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر: ١٩] قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله -تعالى-: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر: ١٩]: "هو الرَّجُلُ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ، وَفِيهِمُ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ، أَوْ تَمُرُّ بِهِ وَبِهِمُ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ، فَإِذَا غَفَلُوا لَحِظَ إِلَيْهَا، فَإِذَا فَطِنُوا غَضَّ بَصَرَهُ عَنْهَا، فَإِذَا غَفَلُوا لَحِظَ، فَإِذَا فَطِنُوا غَضَّ، وَقَدْ اطَّلَعَ اللَّهُ -تعالى- مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ وَدَّ أَنْ لَوْ اطَّلَعَ عَلَى فَرْجِهَا" (رواه ابن أبي حاتم)، وقال ابن عباس: (خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ): "هو الرَّجُلُ يَكُونُ جَالِسًا مَعَ الْقَوْمِ، فَتَمُرُّ الْمَرْأَةُ، فَيَسَارِقُهُمُ النَّظَرَ إِلَيْهَا"، وقال أيضا: "يَعْلَمُ اللَّهُ -تعالى- مِنَ الْعَيْنِ فِي نَظَرِهَا هَلْ تَرِيدُ الْخِيَانَةَ أَمْ لَا؟"، وكذا قال مجاهد وقتادة، وقال مجاهد: "هي مُسَارِقَةُ نَظَرِ الْأَعْيُنِ إِلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ".

يُخْبِرُ -عزَّ وجلَّ- عَنْ عِلْمِهِ التَّامِّ الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ؛ جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، دَقِيقِهَا وَعَظِيمِهَا؛ لِيَحْذَرَ النَّاسُ عِلْمَهُ فِيهِمْ، فَيَسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ -تعالى- حَقَّ الْحَيَاءِ، وَيَتَّقُوهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَيُرَاقِبُوهُ مَرَاقِبَةً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنَّهُ -عزَّ وجلَّ- يَعْلَمُ الْعَيْنِ الْخَائِنَةَ، وَإِنْ أَبَدَتْ أَمَانَةَ، وَيَعْلَمُ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ خَبَايَا الصُّدُورِ مِنَ الضَّمَائِرِ وَالسَّرَائِرِ.

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله -تعالى-: (وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر: ١٩]: "يَعْلَمُ إِذَا أَنْتَ قَدَّرْتَ عَلَيْهَا؛ هَلْ تَزْنِي بِهَا أَمْ لَا؟" وقال السُّدِّيُّ: (وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر: ١٩] أَيُّ: مِنَ الْوَسْوَسَةِ".

(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [الأنعام: ٥٩].

إذا كان ورق الأشجار والحبُّ في الأرض مراقبًا، فبالأجدر ابن آدم.

(وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [المك: ١٣ - ١٤]، (وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) [طه: ٧]، عِلْمُهُ لِلسِّرِّ وَالْخَفَاءِ يَسْتَوِي مَعَ عِلْمِهِ لِلجَهْرِ وَالْعَلَانِيَةِ.

كُلُّنَا نَعْلَمُ وَلَكِنْ مَنْ يَعْمَلُ؟ مَنْ يَعْمَلُ لِنَنْظُرِ اللهُ حَسَابًا؟ مَنْ يَرِاقِبُ اللهُ؟ مَنْ يَسْتَحِي مِنْ نَظْرِ اللهِ إِلَيْهِ؟ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يَصَلِّي لِأَطَانٍ عَلَى عُنُقِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَاتِ تَعْجَبًا مِنْهُ: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) [العلق: ٩ - ١٤].

“نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللهُ- تَوَعَّدَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ، فَوَعَّظَهُ -تَعَالَى- بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَوْلَا؛ لِهَذَا قَالَ: (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) [العلق: ١٤]؛ أَي: أَمَا عِلْمُ هَذَا النَّاهِي لِهَذَا الْمَهْتَدِي أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَسِيَّجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ أَنْتُمْ الْجَزَاءُ” (ابن كثير).

يَا كُلَّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَرْتَكِبَ مَحْرَمًا، يَا مَنْ تَغْشُونَ فِي تِجَارَتِكُمْ، يَا مَنْ تُغَافِلُونَ أَصْحَابَ الْأَعْمَالِ: لَوْ تَرَبَّيْنَا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى لَا بَدَّ أَنْ تَتَغَيَّرَ أَحْوَالُنَا وَمَجْتَمَعَاتُنَا، وَيَكُونُ اسْمُ “الرَّقِيبِ” أَفْضَلَ وَأَقْوَى لِلْمَجْتَمَعِ مِنْ أَلْفِ شُرْطِي يَرِاقِبُ النَّاسَ، مِنْ أَلْفِ كَامِيرَا تَرِاقِبُ النَّاسَ فِي الْمَصَانِعِ وَالطَّرِيقِ وَغَيْرِهِ.

قصص من حياة السلف تبين أثر اسم الله الرقيب :

أَحْبَبْنَا فِي اللهِ تَعَالَى أَذْكَرَ لَكُمْ بَعْضَ النَّمَاذِجِ مِنْ حَيَاةِ السَّلَفِ عَلَى الْمِرَاقِبَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ اسْمِ اللهِ الرَّقِيبِ ، هَذَا عُرْوَةُ ابْنِ الزَّبِيرِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- خَطَبَ ابْنَةَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو سَوْدَةَ وَعَبْدَ اللهِ بْنِ عَمْرِو يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فِي الْحَجِّ فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عُرْوَةُ: "لَوْ كَانَ يُرِيدُ لِأَجَابِنِي"، وَاللهُ لَا أَعُودُ إِلَيْهِ - يَعْنِي فِي هَذَا الشَّأْنِ - يَقُولُ: "فَسَبَقَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا أَتَيْتَهَا قَدِمْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِيهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ"، فَقَالَ: "قَدْ ذَكَرْتَ سَوْدَةَ"، فَقُلْتُ: "نَعَمْ"، فَسَأَلَهُ عَنْ رَغْبَتِهِ، هَلْ لَا يَزَالُ يَرِغِبُ فِيهَا فِي الزَّوْجِ مِنْهَا، فَقُلْتُ: "نَعَمْ"، فَقَالَ: "إِنَّكَ قَدْ ذَكَرْتَهَا لِي وَأَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَتَخَايَلُ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ بَيْنَ عَيْنِي، وَكُنْتُ قَادِرًا عَلَى أَنْ تَلْقَانِي فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْمَوْطِنِ"، لَاحِظْ مَا رَدَّ عَلَيْهِ، نَحْنُ نَطُوفُ مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، الْجُودِ وَالنَّظَرِ وَالْإِلْتِقَاتِ وَلرَبِّمَا صَدْرٌ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ أَيْضًا مَا لَا يَلِيقُ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ وَيَسْتَحِي الْإِنْسَانَ مِنْ ذِكْرِهِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ.

هذا عبادة بن الصامت كان جالساً مع أصحابه - رضي الله عنه- فأقبل الصنابحي، فقال عبادة: "من سره أن ينظر إلى رجل كأنما رقي به فوق سبع سماوات فعلم على ما رأى فليُنظر إلى هذا من شدة مراقبته وتأدبه وخوفه وتحزره".

كان شيخٌ يعظّم غلاماً ويقربّه دون بقيّة تلاميذه، فلما شكّوا ذلك، أراد أن يُعطيهم درساً، فأعطى كلّ واحد منهم طائراً، وقال: ليذهب كلّ واحد منكم إلى حيث لا يراه أحد، ويذبح طائرَه، فذهب الجميع وعادوا وقد ذبحوا الطيور، إلاّ هذا الغلام، واعتذر بأنه كلّما ذهب إلى مكان وجد من ينظره ويطلع عليه، وجد الله مُراقِبَه، ومن هنا قال الشيخ: لهذا أقرّبَه؛ لِمَا يحمل من يقين في قلبه، وترجمة عمليّة لما يَعتقده.

ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه أبو هريرة: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل، فقال: ما الإيمان؟ قال: "الإيمان أن تُؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث"، قال: ما الإسلام؟ قال: "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان"، قال: ما الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (البخاري ومسلم).

كان الإمام أحمد رحمه الله يئنُّ في مرض موته، ذكر له أن طاووس بن كيسان قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يئن أحمد رحمه الله حتى مات، إلى هذا الحد مع أن الأنين ليس بمحرم. وهذا ابن دقيق العيد أيها الأحبة، يقول: "ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلاً، إلا أعددت له جواباً بين يدي الله عز وجل"، ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلاً؛ نعم كم مضى من أعمارنا؟، هل نحن كذلك؟، ولذلك أقول: نحن أيها الأحبة نحتاج إلى توبة، الداعية يحتاج إلى توبة، والعالم يحتاج إلى توبة، وطالب العلم يحتاج إلى توبة، والإنسان الذي يقول عن نفسه أو يقول عنه الآخرون بأنه ملتزم ومتدين يحتاج إلى توبة، من منا أيها الأحبة ما قال كلمة ولا فعل فعلاً إلا أعد له جواباً بين يدي الله تبارك وتعالى.

أيها الأحبة من كثرت ما نتكلم ومن كثرت ما نسمع على قلة العمل، فينبغي أن يكون لنا طريقة أخرى في حالنا مع الله تبارك وتعالى وفي النظر إلى أعمالنا، دعك مما يقوله الناس فإنهم ينظرون إلى ظاهرك والله عز وجل ناظر وعالم لباطنك.

عن نافع قال: **خَرَجَ ابْنُ عُمَرَ** في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له، ووضعوا سُفْرَةَ له، فَمَرَّ بهم راعي غنم، قال: فسَلَّم، فقال ابن عمر: “هَلُمَّ يا راعي، هَلُمَّ فأصِيبْ من هذه السفرة”، فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر: “أَتصوم في مثل هذا اليوم الحارَّ شديد سمومه، وأنت في هذه الجبال ترعى هذا الغنم؟” فقال له: إي والله، أبادر أيامي الخالية، فقال له ابن عمر -وهو يريد أن يختبر ورَعَه-: “فهل لك أن تبيِّعنا شاةً من غنمِكَ هذه فنُعطيك ثمنها، ونعطيك من لحمها فتُفطِرَ عليه؟” فقال: إنها ليست لي بَعْنَم، إنها غنم سيِّدي، فقال له ابن عمر: “فما عسى سيِّدك فاعلاً إذا فقَّدها، فقلت: أكلها الذئب” فولَّى الراعي عنه وهو رافعٌ أُصْبَعه إلى السماء، وهو يقول: أين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يردُّ قولَ الراعي وهو يقول: فأين الله؟ قال: فلما قَدِمَ المدينة بعث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي، ووهب له الغنم”

(شَعَبَ الإيمان للبيهقي، والطبراني في المعجم الكبير)، مراقبته لله كانت له نجاةً في الدنيا من ذُلِّ العبودية، وستكون نجاةً له من ذُلِّ النار يوم القيامة.

كان **الفاروق عمر رضي الله عنه** يتجوَّل ليلاً كعادته؛ للاطمئنان على رعيته، فسمع صوت بائعة اللَّبْن وهي تقول لابنتها: يا بُنيتي! ضعي الماء على اللَّبْن، فقالت الفتاة: “يا أمَّاه، ألم تعلمي أنَّ أمير المؤمنين قد نهى عن خَلط اللَّبْن بالماء؟” قالت: يا بُنيتي، عمر بن الخطاب لا يرانا الآن، فقالت الفتاة: “يا أمَّاه، إن كان عمر لا يرانا، فَرَبُّ عمر يرانا”. فوضَع علامة على البيت وذهب لأولاده، وقال لهم: في هذا البيت فتاة، أيكم يحب أن يتزوَّج هذه الفتاة؟ والله لا تخرج هذه الفتاة من بيت ابن الخطاب، وإن لم تُرَضوا أن تتزوَّجوها أنتم، فسأتزوَّجها أنا، ثم تزوَّجها عاصمُ بن عمر بن الخطاب، تزوَّج بائعة لبِن، ويشاء الله أن يأتي من نسلها عُمر بن عبدالعزيز، ويكون بركة مقولتها: “إن كان عُمر لا يرانا، فإنَّ الله يرانا” ويكون الخليفة للمسلمين، وصاحب الأفضال العظيمة، وينتشر العدل بامرأة راقبت الله في تصرف لها.

هناك قصة لرجل، وقصته كُتبت في عدَّة كتب، كان قد ظلَّم في مال، وكان مالاً كثيراً، والرجل لم يتحمَّل هذه الصِّدمة، فمَرِض، ويبدو أنه كان مرض الموت، فنادى على ابنه الكبير، وقال له: إن أنا مت فمُرَّ بجنازتي من أمام دكان الرجل الذي ظلَّمني وأكل مالي، وأعطه هذه الرِّسالة، وقرأها أمامه وأنت تسير بجنازتي. ومات الرَّجُل، ونفَّذ ابنه الوصية، بأن مرَّ من أمام دكان هذا الرجل، وقال له: أرسلَ لك الميت هذه الرسالة، كُتِبها قبل أن يموت، ففتح الرِّسالة وقرأ: “إنِّي قد ذهبتُ إلى الله، وهو يعلم ما فعلته أنت بي؛ فهو يراني ويراك، وأنت ستأتي عن قريب، موعدنا يوم القيامة لأستردَّ حقِّي”

التوحيد أولاً

العناصر :

- * المحور الأول: فضل شهادة أن لا إله إلا الله.
- * المحور الثاني: معنى شهادة أن لا إله إلا الله.
- * المحور الثالث: شروط شهادة أن لا إله إلا الله.

إن الحمد لله، ونحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ١٠٢].

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار؛ وبعد.

حديثنا مع حضراتكم في هذه الدقائق المعدودات عن موضوع بعنوان: «التوحيد أولاً»، وسوف ينتظم هذا الموضوع بعون الله وتوفيقه حول ثلاثة محاور:

المحور الأول: فضل شهادة أن لا إله إلا الله.

المحور الثاني: معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

المحور الثالث: شروط شهادة أن لا إله إلا الله.

فأرغوني قلوبكم، وأسماعكم جيّداً، والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هدى الله، وأولئك هم المفلحون.

المحور الأول: فضل شهادة أن لا إله إلا الله.

١- شهادة أن لا إله إلا الله هي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة :
وهي أصل الدين وأساسه ,وبقية أركان الدين متفرعة عنها.

٢- وهي سبب دخول الجنة : روى البخاري ومسلم عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ وَكَلِمَتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرِيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ
النَّارَ حَقٌّ ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ . »

٣- وهي سبيل النجاة من النار:

قال الله جل جلاله: (فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) [آل عمران: ١٨٥].

وروى مسلم عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ».

٤- وهي سبيل السعادة في الدارين :

لا وصول إلى السعادة إلا بهذه الكلمة وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة.

قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ٩٧].

٥- وهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه , ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة
والنار.

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦].

٦- وهي أعظم نعمة أنعم الله جل جلاله بها على عباده : أن هداهم إليها؛ ولهذا ذكرها في سورة
النحل التي هي سورة النعم ,فقدمها أولا قبل كل نعمة قال تعالى: (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ
أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) [النحل: ٢].

٧- وهي أفضل ما ذكر الله عز وجل به وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة:

روى الإمام أحمد بسند صحيح عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لِآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ؛ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمْتَهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» [صحيح الأدب المفرد] [لَقَصَمْتَهُنَّ = لكسرتهن]..

المحور الثاني: معنى شهادة أن لا إله إلا الله:

معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، «لا إله» نافيةٌ جميع ما يعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد، «إلا الله» مثبتةُ العبادة لله وحده فهو الإله الحق المستحق للعبادة.

قال عز وجل: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [لقمان: ٣٠].

قال الشيخ الحكمي: مَنْ قَالَهَا مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا وَكَانَ عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَا فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَاتَ مُؤْمِنًا يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِنًا .

المحور الثالث: شروط شهادة أن لا إله إلا الله:

قَالَ الْحَسَنُ، وَوَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: «المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سببٌ لدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَلَكِنْ بِاسْتِجْمَاعِ الشَّرُوطِ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ».

وَقَالَ الْحَسَنُ لِلْفَرَزْدَقِ وَهُوَ يَدْفِنُ امْرَأَتَهُ: «مَا أَعَدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ؟» قَالَ: «شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً»، قَالَ الْحَسَنُ: «نِعْمَ الْعِدَّةُ، لَكِنْ لِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَرْوْطًا فَايَاكَ وَقَدْفَ الْمُحْصَنَاتِ».

وَقِيلَ لِلْحَسَنِ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَدَّى حَقَّهَا وَفَرَضَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ لِمَنْ سَأَلَهُ: أَلَيْسَ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ مَا مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ أَنْتَيْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فَتِحَ لَكَ وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ».

وقال العلماء: لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها.

وقد ذكر هذه الشروط الشيخ الحكمي، حيث قال:

وَبَشْرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَّتْ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا

الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ وَالْإِنْفِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّةُ وَفَقَّكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّهُ .
الشرط الأول: العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك.

قال الله عز وجل: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) [محمد: ١٩].

وروى مسلم عن عُثْمَانَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك.

قَالَ اللَّهُ عز وجل: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحجرات: ١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين، والعياذ بالله، الذين قال الله تعالى فيهم:
(إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)
[التوبة: ٤٥].

وروى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»

الشرط الثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قص الله سبحانه وتعالى علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردها وأباها.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهُدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) [الزخرف: ٢٣ - ٢٥].

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». (رواه البخاري ومسلم).

الشرط الرابع: الانقياد لما دلت عليه، المنافي لترك ذلك.

قَالَ تَعَالَى: (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) [الزمر: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) [النساء: ١٢٥]، ومعنى يسلم وجهه أي: ينفاد وهو محسن موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسنا فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى.

الشرط الخامس: الصدق فيها، المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه.

قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: (أَلَمْ * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [العنكبوت: ١ - ٣].

وروى البخاري ومسلم عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِمَّا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». (رواه البخاري ومسلم).

الشرط السادس: الإخلاص، وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك.

قَالَ اللَّهُ عز وجل: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) [الزمر: ٣].

قَالَ تَعَالَى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) [البينة: ٥].

وروى البخاري ومسلم عن عَثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) [البقرة: ١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى فِي اسْتِثْرَاطِ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [آل عمران: ٣١].

وروى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَاَلِدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ».

قصة موسى (عليه السلام) مع بنتي صاحب مدين..

* أهمية القصص القرآني .

* من هو صاحب مدين .

* الدروس والعبر والدلالات.

إذا كان الواحد منا ينشرح صدره، وتمتلئ جوانحه بالراحة، ويتأثر فؤاده فيخفق ويهتز، وقد تتساقط دموع عينيه بغزارة إذا قرأ قصة جميلة لأحد القصاصين أو الأدباء المبدعين، أو سمع حكاية معبرة من أحد الناس، أو مرّ على مشهد مؤثر من مشاهد الحياة الزاخرة فكيف إذا كانت هذه القصة أو الحكاية أو المشهد في القرآن الكريم؟ أعظم كتاب في الوجود ((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) {فصلت: ٤٢}، وكيف إذا كان ناقل المشهد هو الله رب العالمين، الخالق العظيم جل جلاله، وتقدست أسماؤه ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)) {يوسف: ٣} ...

ولذلك كانت القصة القرآنية دوحة باسقة الظلال، دانية الجنى، ذات أفنان مختلفة الثمار، عميقة الأصل، سامقة الفرع، لا ينتهي ظلها، ولا يذهب رونقها، فهي ذات ظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة. رونق أسلوب وبتديع نظم، وجمال صورة، عدا ما فيها من المواقف والدروس والعبر، والاستنتاجات الكامنة وراء الأحداث، ستبقى القصة القرآنية الشعلة التي تضيء لهذا الإنسان، لتصل حاضره بمستقبله، وستبقى النفحة الربانية التي تشرق بها النفس ويطهر القلب، وستبقى الوثيقة الوحيدة الصادقة التي يطمئن الإنسان لمصداقيتها، وستبقى النمط السوي الذي إن ترسمناه حقاً فسيقينا سلبيات التشويش والتهويش والتشويه.

من هو صاحب مدين :

يقول ابن كثير رحمه الله: قد اختلفت المفسرون في هذا الرجل من هو؟ على أقوال أحدهما: أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء. وقيل الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا، قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أن شعيبا عليه السلام، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟

وأيضاً، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟ " ولو كان ذلك الرجل شعيباً، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان، وأيضاً فإن شعيباً عليه الصلاة والسلام، قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاد الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب، ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادماً له، وهو أفضل منه وأعلى درجة، والله أعلم، [إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى فلا منافاة وعلى كل حال لا يعتمد على أنه شعيب النبي بغير نقل صحيح عن النبي عليه وسلم] (تفسير السعدى) .

الدروس والعبر والدلالات:

دعونا نعش مع هذه القصة القرآنية: من سورة القصص ومع قصة النبي الكريم، والرسول العظيم موسى عليه السلام، لنتوقف ونتأمل ونتدبر ونستخرج بعض الدروس والعبر والمواقف والدلالات، لتشرق النفوس، وتطهر القلوب، وتستمتع العاطفة، ويقتنع العقل، وتسمو الروح، ويرتبط التدين الحق بالحياة العملية، { وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيَّبْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (القصص: ٢٢- ٢٨)

الدرس الأول: حسن الظن بالله، والثقة به، والاعتماد عليه .

قال تعالى : ((وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)) أي: إلى الطريق الأقوم. ففعل الله به ذلك، وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، فجعل هادياً مهدياً. (ابن كثير) يقول عليه السلام وهو متوجه ناحية مدين لعل الله يرشدني إلى الطريق السوي الأقوم الذي يوصلني إلى مقصدي وغايتي قال المفسرون: خرج خائفاً بغير زاد ولا ظهر -مواصلة-

وكان بين مصر ومدین مسیرةً ثمانية أيام، ولم يكن له علمٌ بالطريق سوى حسن ظنه بربه (صفوة التفاسير)، وهذا درس عظیم نتعلمه من الأنبياء عليهم السلام ومن أتباعهم العظام على مرّ الزمان في حسن الظن بالله، وتفويض الأمر إليه، والله سبحانه لا يخلف ظن عبده به؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي " (صحيح الجامع)

الدرس الثاني: المؤمن يهتم بحال الناس، و يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

قال تعالى: ((وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا..)) إن المؤمن بالله يسأل عن حال الناس، ولا يسكت عن الأوضاع الخطأ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فموسى عليه السلام لم يكتف برؤية المشهد؛ رجال يستأثرون بالماء دون النساء، وامرأتان تبدلان جهدهما تذودان و تكففان غنهما أن ترد غنم أولئك الرعاة لئلا يؤذيا بل بادر بالسؤال والاستجواب.

الدرس الثالث: خطورة اختلاط الرجال بالنساء وما ينتج عنه من مفسد.

((قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)) فالفتاتان فضلنا الانتظار والصبر ومدافعة الأغنام المندفعة صوب الماء، على مزاحمة الرجال، والاختلاط بهم، فالاختلاط شرٌّ محض يؤدي إلى شيوع البغاء، وقلة الحياء، وضياع الأعراض، وشيوع المنكرات، وفشو الزنا، وغير ذلك من الموبقات العظيمة أين نساؤنا وبناتنا من هذه النماذج المشرقة؟! لا شك أن الفرق شاسع بين نساء يخالطن الرجال ويمازحن الرجال ويضاحكن الرجال ويهاتفن الرجال وهذا مما عمّت به البلوى في أسواقنا ومدارسنا ونوادينا وشواطئنا وغيرها؛ فإلى الله المشتكى وإليه الملتجأ!!

الدرس الرابع: فائدة الاعتذار، وإزالة الشبهة عن النفس.

ثم قالتا: ((وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)) فيه اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي بأنفسهما، وتنبيه على أن أباهما لا يقدر على السقي لشيخوخته وكبره، واستعطاف لموسى على إعانتها.

الدرس الخامس: المساعدة وقضاء الحوائج في حياة المسلم.

قال تعالى: ((فَسَقَى لَهُمَا)) كانت هذه الإجابة العملية من سيدنا موسى عليه السلام، بعد مشاهدته لذلك المنظر، وسماعه لذلك الجواب، واستشعاره لمعانتهما، تصرف تصرف الرجل ذي المروءة والشهامة، الرجل الكريم الذي يعرف ما أوجب الله عليه وما يحبه الله ويرضاه له تصرف الرجل الذي إذا ذكر في مجتمعات النساء قلن ما علمن عليه من سوء " فَسَقَى لَهُمَا " وهذا هو حال المسلم مع الناس؛ مساعدة، وقضاء حوائج، ومواساة بالمال والنفس، وتقديم كل ما يستطيع.

الدرس السادس: اللجوء والتضرع والدعاء والافتقار للخالق جل شأنه.

قال سبحانه: ((ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)) درس في اللجوء إلى الخالق سبحانه والاستعانة به ودعائه والتوكل عليه .

الدرس السابع: أدب المناجاة والذوق الرفيع العالي، والذكر المستمر.

ثم انظر إلى أدب الدعاء والمناجاة والذوق العالي الرفيع في قول موسى عليه السلام ((رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)) لم يقل: أنا فقير إلى خيرك يا رب، ومحتاج، ولم يقل أطمعني مثلاً، بل عبر عن حاجته بهذه الكلمات الرائعات، وهذا شأن الأنبياء صفوة الخلق، في جميل المناجاة وحسن الدعاء.

الدرس الثامن: حياء المرأة الفطري .

قال تعالى: ((فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)) جاءت بتكليف من أبيها تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ مشية فيها حياء، لا فيها تبدل لا فيها تبرُّج، لا فيها إغواء، لا فيها تكسر، وإنما مشية الحياء، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم فيه أدب المشي للنساء، وأن المرأة تمشي في جانب الطريق لا في منتصفه ولا تمشي بحركات ملفتة للنظر كما تفعل نساء اليوم؛ لكنها تمشي على استحياء في طريقها، ((تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أي تستر وجهها وهي تأتي في الطريق لتنادي موسى عليه الصلاة والسلام.

الدرس التاسع: كلام المرأة المسلمة مع الأجانب مختصر وواضح وغير مضطرب ولا مغري!!

((قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَفَيْتَ لَنَا)) وجهت الدعوة إلى موسى عليه السلام في أقصر لفظ وأوضحه ، ما أكثرت من الكلام ولا أطالت في الحديث وإنما لفظ مختصر لكنه واضح

في غير ما اضطراب ولا فتنة قال ابن كثير: وَهَذَا تَأْدُبٌ فِي الْعِبَارَةِ، لَمْ تَطْلُبْهُ طَلَبًا مُطْلَقًا لِنَلَّا يُوْهِمَ رَيْبَةً، بَلْ قَالَتْ: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} يَعْنِي: لِيُثْبِتَكَ وَيُكَافِئَكَ عَلَى سَقَايِكَ لِعَنَمِنَا

الدرس العاشر: مكافأة صنيع المعروف، وأهمية تربية الأبناء التربية السليمة الصحيحة.

((قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)) إِنَّ أَبِي يَطْلُبُكَ لِيَعْوِضَكَ عَنْ أَجْرِ السَّقَايَةِ لِعَنَمِنَا، لِأَنَّكَ صَنَعْتَ إِلَيْنَا مَعْرُوفًا وَنَرِيدُ أَنْ نَكْفِئَكَ. وفيما مضى من وصف لهاتين الفتاتين ثناء من ربنا عزّ وجلّ في القرآن عليهما وعلى أبيهما الصالح القانت الذي أحسن تربيتهما وتوجيههما وتعليمهما حتى كانتا على مثل هذا الخلق القويم "وهذا يجعل واجب الآباء والمربين مهمًا ومؤثرًا في تربية خلق الحياء الفطري، الذي يحجز الأطفال عن العيِّ والخجل، ويحفظ الشباب من الشرور والآثام

الدرس الحادي عشر: حاجة الإنسان إلى من يخفف عنه، ويطمئن قلبه.

قال تعالى: ((فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) لما وصل عليه السلام إلى الرجل الصالح وذكر له ما كان من أمره، وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده فقال له: لا تخف، و طب نفسا، وقرّ عينا فقد خرجت من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا ولهذا قال " نجوت من القوم الظالمين " فالإنسان دائما يحتاج إلى من يخفف عنه مصائبه ويطمئن قلبه ويبشره بما يدخل السرور على قلبه.

الدرس الثاني عشر: صوت الأنوثة المستقيمة السليمة .

((قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ)) فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والتبذل وهو قوي على العمل أمين على المال . فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه . وهي لا تتلثم في هذه الإشارة ولا تضطرب ، ولا تخشى سوء الظن والتهمة . فهي بريئة النفس ، نظيفة الحس ؛ ومن ثم لا تخشى شيئا ، ولا تتلثم وهي تعرض اقتراحها على أبيها إنها وأختها تعانيان من رعي الغنم ، ومن مزاحمة الرجال على الماء ، ومن مزاحمة الرجال الذي لا بد منه للمرأة التي تزاوّل أعمال الرجال وهي تتأذى وأختها من هذا كله، وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت ؛ امرأة عفيفة مستورة لاتخالط الرجال الغرباء في المرعى والمسقى والمرأة العفيفة الروح

النظيفة القلب ، السليمة الفطرة ، لا تستريح لمزاحمة الرجال ، ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة.

الدرس الثالث عشر: شرطان أساسيان للإدارة الصحيحة.

((إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينِ)) وقولها كلام حكيم جامع لأنه إذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر من الأمور فقد تم المقصود " كان من أهم الشروط وأكثرها أصالة شرطان لخصا في «القوة» و«الأمانة». ومن البديهي أن القوة المذكورة - أنفأ - ليس المراد منها قوة الجسم فحسب، بل القدرة على تحمل المسؤولية أيضاً.

الدرس الرابع عشر: عرض الرجل وليته على الرجل الصالح.

((قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ)) إني أريد أن أزوجه إحدى بنتي هاتين "فهو يعرض نكاحاً لا يخجل منه يعرض بناء أسرة وإقامة بيت وليس في هذا ما يخجل ، ولا ما يدعو إلى التخرج والتردد والإيماء من بعيد ، والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تنحرف عن سواء الفطرة ، وتخضع لتقاليد مصطنعة باطلة سخيفة ، تمنع الوالد أو ولي الأمر من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه وكفايته لابنته أو أخته أو قرييته ؛ وتحتم أن يكون الزوج أو وليه أو وكيله هو الذي يتقدم، أو لا يليق أن يجيء العرض من الجانب الذي فيه المرأة ! ومن مفارقات مثل هذه البيئة المنحرفة أن الفتيان والفتيات يلتقون ويتحدثون ويختلطون ويتكشفون بعضهم لبعض في غير ما خطبة ولا نية نكاح . فأما حين تعرض الخطبة أو يذكر النكاح ، فيهبط الخجل المصطنع، وتقوم الحوائل المتكلفة وتمتنع المصارحة والبساطة والإبانة "

الدرس الخامس عشر: الإجارة على النفس.

((عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ)) قال الشيخ الصالح لموسى عليه السلام: كل ذلك بشرط أن تكون أجيراً لي ثماني سنين ترعى فيها غنمي {فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ} أي فإن أكملتها عشر سنين فذلك تفضل منك، وليس بواجب عليك " إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِي سِنِينَ أَوْ عَشْرًا عَلَى عِفَّةٍ فَرَجِهِ وَطَعَامِ بَطْنِهِ " (رواه ابن ماجة وضعفه الألباني في ضعيف الجامع).

الدرس السادس عشر: عدم المشقة على المسلم. ((وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ)) يقول الرجل الصالح لموسى عليه السلام: لا أريد أن أوقعك في المشقة باشتراط العشر. ولا أريد أن أتعبك في

العمل، وهذا دأب الصالحين في التعامل مع إخوانهم إذا كلفوهم بعمل من الأعمال، أو استأجروهم لغرض من الأغراض.

الدرس السابع عشر: أدب جميل في التحدث عن النفس .

((سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)) أَيُّ: لَا أَشَاقُّكَ، وَلَا أُوَادِّكَ، وَلَا أَمَارِيكَ.

ستجدني إن شاء الله حسن المعاملة، لئِن الجانب، وفيأ بالعهد فهو لا يزكي نفسه ولا يجزم بأنه من الصالحين . فلا يقدر أحد أن يهدي نفسه، أو يدخل في الإيمان، أو يجر لنفسه نفعاً، إلا بمشيئة الله تعالى " فرغبه في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره.

الدرس الثامن عشر: لا مجال للغموض في مواضع العقد وشروط التعاقد.

قال موسى عليه السلام: ((ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ)) إِنَّ مَا قَلْتَهُ وَعَاهَدْتَنِي عَلَيْهِ قَائِمٌ بَيْنَنَا جَمِيعاً لَا نَخْرُجُ عَنْهُ، وَ "سواء قضيت ثمانى سنوات أو أتممت عشر، فلا عدوان في تكاليف العمل، ولا عدوان في تحميم العشر؛ فالزيادة على الثمانية اختيار " .

الدرس التاسع عشر: وضوح الشخصية، والاحتياط للنفس، وأداء العمل على الوجه الأكمل .

بين موسى عليه السلام هذا البيان: ((ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ)) أَيُّ فَلَا حَرْجَ عَلَيَّ، وَقَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا فَعَلَ أَكْمَلَ الْأَجَلَيْنِ وَأَتَمَّهُمَا. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: ((قَالَ سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِّنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ: أَيُّ الْأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ فَقُلْتُ لَا أُدْرِي حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى حَبْرِ الْعَرَبِ، فَأَسْأَلُهُ، فَقَدِمْتَ عَلَى (ابن عباس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلْتَهُ، فَقَالَ: قَضَى أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا)) تمشياً مع استقامة فطرته ووضوح شخصيته، وتوفية بواجب المتعاقدين في الدقة والوضوح والبيان . وهو ينوي أن يوفي بأفضل الأجلين كما فعل. ومن أجل استحكام العقد بينهما والاحتياط للنفس جعل موسى عليه السلام الله كفيلاً على ما تم بينهما، وقال: ((والله على ما نقول وكيل)) والله شاهد على ما تعاهدنا وتواتقنا عليه فهو الشهيد الموكل بالعدل بين المتعاقدين وكفى بالله وكيلاً.

فقد توكل موسى عليه السلام على ربه سبحانه في كل شأن من شئون حياته، وفي هذه القصة، نرى نماذج وأمثلة توحى بثقة موسى المطلقة بربه جل جلاله: فعندما قصد مدين هاربا خائفا يترقب ((قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)) وحينما ذهب إلى الظل متعباً مرهقاً ((فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)) وحينما تم العقد بينه وبين الرجل الصالح قال: ((وَاللَّهِ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ)) والتوكل على الله هو حال جميع الأنبياء والرسل وأتباعهم إلى يوم الدين قَالَ تَعَالَى: ((وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)) {إبراهيم: ١١}.

فضل القرآن الكريم و أهله

العناصر :-

- * منزلة القرآن الكريم ومكانته.
- * فضائل القرآن الكريم .
- * وجوب تلاوة القرآن وتدبره والعمل بأحكامه.
- * فضائل حَمَلَة القرآن والعاملين به .
- * جزاء المعرضين عن القرآن وأحكامه.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلِّ فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

* منزلة القرآن الكريم ومكانته.

رُبْنَا – سبحانه – كاملٌ في ذاته وأسمائه وصفاته، لا كُفُو له ولا مثيل، وصفاته أكملُ الصفات وأحسنها، ومن صفاته – سبحانه – الكلام، يتكلم متى شاء، إذا شاء، بما شاء، ولا مُنتهى لكلماته، (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) [الكهف: ١٠٩]

كلامه أحسنُ الكلام، وفضلُ كلامه على كلام الخلق كفضلِ الخالقِ على المخلوق، والآؤه – سبحانه – على العباد لا تُحصَى.

ومن حكمة الله ورحمته بهم أن بعثَ فيهم رُسُلَهُ وأنزلَ عليهم كُتُبَهُ، فأنزلَ التوراة والإنجيلَ والزَّبُورَ وصُحُفَ إبراهيمَ وموسى، وختمَها بالقرآن العظيم أعظمها فضلًا وأشرفها قدرًا.

حمِدَ نَفْسَهُ – سبحانه – على إنزاله للقرآن فقال:
(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) [الكهف: ١].

وَعَظَّمَ ذَاتَهُ الْعَلِيَّةَ بِإِنْزَالِهِ فَقَالَ: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)
[الفرقان: ١].

وَأَقْسَمَ بِهِ فَقَالَ: (يَسَّ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) [يس: ١، ٢].

وهو مما أقسم عليه، (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ)
[الواقعة: ٧٥، ٧٦]

مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ وَمُهَيِّمٌ عَلَيْهَا وَنَاسِخٌ لَهَا وَمُؤْتَمِنٌ عَلَى مَا كَانَ فِيهَا.

بَشَّرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَ نَزْوِلِهِ، (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) [الشعراء: ١٩٦].

قال ابن كثير - رحمه الله -: "ذكرُ هذا القرآن والتتويهُ به موجودٌ في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم".

ودعا إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - أن يبعث الله نبياً لتلاوته وتعليمه، فقالا:

(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [البقرة: ١٢٩].

القرآنُ كلامُ ربِّ العالمين تكلم به حقيقةً بحرفٍ وصوتٍ مسموعين، منه بدأ وإليه يعودُ في آخر الزمان، سمعه جبريلٌ - عليه السلام - خيرُ الملائكة من الله، ونزل به على خير الرُّسل في أشرف البقاع، وفي خير شهرٍ، وفي خير الليالي ليلة القدر، لخير أمةٍ بأفضل لغةٍ وأجمعها.

كِتَابٌ لَا يُعَدِّلُهُ كِتَابٌ، (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) [العنكبوت: ٥١]

امتننَ به - سبحانه - على هذه الأمة فقال: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) [آل عمران: ١٦٤].

هو شرفٌ للنبي - عليه وسلم - ولأمته، (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) [الزخرف: ٤٤].

وهو روحها لتوقف الحياة الحقيقية عليه، وإذا ابتعد المرء عنه كان حياً بلا حياة، قال - سبحانه - : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) [الشورى: ٥٢].

لو أنزله الله على جبلٍ لخشع وتصدع ذلاً لله وطاعة.

لا يصح إيمان عبدٍ حتى يُؤمنَ به جُملةً وتفصيلاً، قال - سبحانه -:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ) [النساء: ١٣٦]

وهو في السماء في صُحفٍ مُكرّمة، مرفوعةٍ مُطَهَّرةٍ، بأيدي سفرة - وهم الملائكة -، كرامٍ بررة.

حفظه الله قبل إنزاله، فقال: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) [البروج: ٢١، ٢٢].

وصانته من الشياطين وقت نزوله، (وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ)

[الشعراء: ٢١٠، ٢١١]، وتكفل بحفظه بعد نزوله، (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

[الحجر: ٩].

قدّمه الله في الذكر على كثيرٍ من نعمه، فقال: (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ) [الرحمن: ١، ٢].

علّم الله عباده القرآن ويسره لهم تلاوةً وعملاً وحفظاً، يحفظه العربي والأعجمي، والصغير

والكبير، والذكر والأنثى، والغني والفقير

كثرت أسماؤه وتعددت أوصافه، جعله الله هُدىً وذكرى للعالمين، عامٌ للبشرية كلّها كعموم رسالة

نبيّنا - عليه وسلم -، فلا يختصُّ بأمةٍ دون أمة.

يُشبهه بعضه بعضاً، وتُصدّق آياته آياته، (كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي) [الزمر: ٢٣].

مُستقيمٌ لم يجعل الله له عوجاً، لا اختلاف فيه ولا تناقض، (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: ٨٢].

هو أحسنُ الحديث وأفضله، (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ) [الزمر: ٢٣].

قال النووي - رحمه الله -: "فدلّ على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله وغير

المنزلة".

وصفه الله بالعظمة فقال: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) [الحجر: ٨٧].

وكتب الله له العلوّ في ذاته وقدره، فقال: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ) [الزخرف: ٤].

بيّن في لفظه ومعناه، وبيانٌ للأمور على جليتها، قال - سبحانه -:

(هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ١٣٨].

قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: "بيّن لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء".

حكيمٌ فيه ومنه الحكمة، (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) [يونس: ١]، كريمٌ عند الله فيه من المكارم

أعلاها، وبه يُكرّم العبدُ ويُعظّم عند الله وخلقِه، قال تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) [الواقعة: ٧٧].

فيه هدايةُ الخلق، ومع الهداية فيه الرحمة، (هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الأعراف: ٥٢].

عصمة من الضلال لمن تمسك به، قال – عليه الصلاة والسلام -:
«تركتُ فيكم ما لن تضلُّوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله» (رواه مسلم).
مجيدٌ بالغٌ في الشرف أعلاه، قال تعالى: (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) [ق: ١].
عزيزٌ لا يُجاريه في عزه شيء، ومن دنا منه ناله العزُّ، (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) [فصلت: ٤١].
عالٍ لا يُداني، كثيرُ الخير والمنافع، ووجوه البركة فيه، قال – سبحانه -:
(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ) [الأنعام: ١٥٥].

فضائل القرآن الكريم

من تلاه وعمل به ونشره في الآفاق عزَّ وناله الأمنُ والرخاء. قال ابن كثيرٍ – رحمه الله -:
"لما كانت خلافةُ عثمان بن عفان – رضي الله عنه – امتدَّت الممالك الإسلامية إلى أقصى
مشارك الأرض ومغاربها، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن".
كتابُ الله نورٌ في الحياة لإبصار نور الدنيا والآخرة، قال – سبحانه -:

(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) [المائدة: ١٥].
وبه تحيا الأرواح، فهو الحياة لمن استجاب له، (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)
[الأنفال: ٢٤] ومع حياة الأرواح به فهو شفاءٌ لأمراض الأبدان.
هو موعظةٌ وتثبيتٌ للقلب عند الفتن والمصائب والمصاعب، (كَذَلِكَ لِنُنَبِّئَ بِهِ فُؤَادَكَ)
[الفرقان: ٣٢].

بالقرآن تجتمع كلمةُ الأمة وتزولُ خلافاتهم، (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)
[آل عمران: ١٠٣].

وبه فصلُ الخلاف والنجاح، (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود: ١].
تحدى به الأولين والآخرين إنسهم وجنهم، فقال: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا
بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: ٨٨].
ما سمعه عاقلٌ إلا شهد أنه حقٌّ، سمعته الجنُّ فقال بعضهم لبعضٍ: أنصتوا، وعادوا إلى قومهم
قائلين: (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) [الجن: ١].

خيرُ الذكر وأفضله، تلاوته تزيدُ في الإيمان، (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا
تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) [الأنفال: ٢].

آياته أبكت العظماء؛ قرأ ابن مسعود - رضي الله عنه - على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من سورة النساء، فلما بلغ قوله: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) [النساء: ٤١]، قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «حسبك». قال: «فالتفت فإذا عيناه تذرفان» (رواه البخاري). وكان أبو بكر - رضي الله عنه - إذا قرأ القرآن لا يكاد يُسمع من خلفه من البكاء. وقرأ جعفر الطيار - رضي الله عنه - على النجاشي صدرًا من سورة مريم، فبكى حتى أخضل لحيته، وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم.

وأمر الله بإجارة المُستجير من الكفار حتى يسمع القرآن، قال - سبحانه -:

(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) [التوبة: ٦].

حوى من العلوم أجمعها، ومن المعارف أنفعها، وأهلها العارفون بمعانيه هم العلماء حقًا، قال - سبحانه -:

(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) [العنكبوت: ٤٩].

ومُعَلِّم القرآن ومُتَعَلِّمه هم خيرُ الناس، قال - عليه الصلاة والسلام -:

«خيرُكم من تعلَّم القرآن وعَلَّمه»؛ (رواه البخاري).

فيه من الأنبياء أصدقها، ومن البراهين والدلائل أظهرها، ومن القصص أحسنها، ومن الحكم

أبلغها، ومن البلاغة والفصاحة أجملها. قال شيخ الإسلام - رحمه الله -:

"نفسُ نظم القرآن وأسلوبه عجيبٌ بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحدٌ بنظير هذا الأسلوب،

فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الخطابة ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام

الناس عربهم وعجمهم". والإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، كتابُ الله شاملٌ

في أحكامه، عدلٌ في قضائه، حكيمٌ في أمره ونهيه، عليه هيبةٌ وجلالٌ، وله قوةٌ وتأثيرٌ وجمالٌ،

مُعْجَزٌ بأقل ألفاظه، هادٍ بأيسر دلائله، آيةٌ باهرةٌ ومُعْجزةٌ ظاهرة.

من عمل به أُجِر، ومن حكم به عدلٌ، ومن تمسك به عصم، ومن اتبعه رُحِم،

(فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [الأنعام: ١٥٥]. هو أنفع الذكر وأجمعه،

وجوب تلاوة القرآن وتدبره والعمل بأحكامه امتدح الله من تلاه وأثنى على العاملين به، ووعدهم

بالوفاء والزيادة، فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) [فاطر: ٢٩، ٣٠].

هو التجارة الربحة المضاعفة، من قرأ حرفًا منه فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها.

وتعلّمه خيرٌ من أموال الدنيا، قال – عليه الصلاة والسلام –: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلّم» – أي: يتعلّم – «أو يقرأ آيتين من كتاب الله خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ له من ثلاث، وأربعٌ خيرٌ له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل» (رواه مسلم).

والماهرُ بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة (متفق عليه) (مجالسُ القرآن ومواطنُ تعلّمه مظانٌ تنزلُ السكينة والرحمة على مُعلّميها والمُتعلّمين، قال – عليه الصلاة والسلام –: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى يتلون كتابَ الله، ويتدارسونه بينهم» إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (رواه مسلم). وباستماعه نيلُ الرحمات، قال – سبحانه –: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) التمسكُ به وتلاوته هو وصيةُ النبي – صلى الله عليه وسلم – للأمة. سئل عبدُ بن أبي أوفى – رضي الله عنه – عن وصيةِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال: "أوصى بكتابِ الله" (رواه البخاري).

قال ابن حجر – رحمه الله –: "والمُرَادُ بالوصيةِ بكتابِ الله حفظُه حسًّا ومعنى، فيُكرّم ويُصانُ ويُتَّبَعُ ما فيه، ويُداوَمُ على تلاوته وتعلّمه وتعليمه".

فضائل حَمَلَةِ الْقُرْآنِ وَالْعَامِلِينَ بِهِ. حاملُ القرآن مُكرّمٌ في حياته وبعد مماته؛ ففي الحياة

«يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَاهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ» (رواه مسلم).

وبعد الوفاة: كان – عليه الصلاة والسلام – يجمعُ بين الرجلين من شُهَدَاءِ أَحَدٍ، ويسألُ: «أيهُم أَكثَرُ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ»، فيقدّمه في اللحد. (رواه البخاري). وأهلُ القرآن خيرٌ جليسٍ للمرء، "كان القراءُ أصحابَ مجالسِ عُمُرٍ ومُشاوَرَتِهِ" (رواه البخاري). وهو حُجَّةٌ لأهله يوم الدين وشافعٌ مُشَفِّعٌ عند رب العالمين، قال – عليه الصلاة والسلام –: « اقرؤوا القرآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » (رواه مسلم). وصاحبُ القرآن في أعلى درجات النعيم، « اقرأ وارْتَقِ ورتلْ كما كُنْتَ تُرْتَلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا » (رواه أبو داود – صحيح الترغيب والترغيب). فالفرحُ بالقرآن العظيم وتعليمه من أرفع مقامات الإيمان، ولا غنى لأحدٍ عن كتابِ الله، فذبيئنا محمدٌ – صلى الله عليه وسلم – أكملُ الناس عقلاً، وكاملُ عقله لم يهده إلى الصواب، وإنما هدايته بالقرآن، قال – سبحانه –: (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي) [سبأ: ٥٠].

وأَسْعَدُ النَّاسَ أَقْرَبُهُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَهُوَ شَرَفٌ وَسُودَدُ الْمُسْلِمِينَ، وَرُقِيٌّ وَفَخْرُ الْأَجْيَالِ، وَهُوَ أَمَانٌ لِلْمُجْتَمَعِ وَبِرْكَةٌ عَلَيْهِ، وَفِيهِ الْأَنْسُ وَالرَّفْعَةُ وَرِضَا رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ] (يونس: ٥٧)

جزاء المعرضين عن القرآن وأحكامه. من اتبع القرآن ناله الهدى، ومن أعرض عنه ضلَّ في الرَّدَى، قال - سبحانه -: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي فَانِّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [طه: ١٢٣، ١٢٤].

ولا طريق للهداية بدونه، ومن حُجِبَ قلبه عن الانتفاع به فلن يهتديَ بغيره، قال - سبحانه -:

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) [الجاثية: ٦]. وكما أن القرآن يرفعُ صاحبه فإنه يضعُ من

عاداه، قال - عليه الصلاة والسلام -: «إن الله يرفعُ بهذا الكتابِ أقوامًا ويضعُ به آخرين»

(رواه مسلم). وكلامُ الله عزيزٌ عظيم، من أنكرَ حرفًا منه أو هزلَ به كفر، قال - سبحانه -:

(قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ولم يسخرَ أحدٌ بكتابِ الله أو أهله أو تعليمه إلا أذله الله. فحقيقٌ بالمُسلم أن ينصُرَ كتابَ ربِّه ويعتزَّ

به؛ لينالَ أعلى الدرجات. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبيِّنا محمد، وارضَ اللهم عن خلفائه

الراشدين، وعن سائرِ الصحابةِ أجمعين، وعنَّا معهم بجودِكَ وكرمِكَ يا أكرم الأكرمين.

الأدب مع النية

العناصر :-

- * أهمية النية .
- * كيفية تصحيح النية .
- * من أحكام النية .
- * خطورة الإعتذار بعدم النية .

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

أهمية النية

فإن النية محط نظر الله تعالى من العبد، وإن العباد يبعثون على نياتهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا أَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» . (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) وهذا الحديث يدور الدين عليه، وهو ثلث العلم، وهذه النية نواة الصلاح، وبذرة القبول، وأعمال العباد مرهونة بصلاح النوايا، وحظ العامل ونصيبه من العمل نيته، فإن كانت صالحة كان له الأجر، وإن كانت فاسدة فعليه الوزر، صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية.

وأخلص النية فيما تبتغي *** وإنما النية للفعل كالروح

هذه النية في أعمالنا كالأرواح في الأجساد، ومن خطير أمر النية أنها لا تدع قولاً ولا فعلاً إلا كانت أصله ومبدؤه، وداؤها الرياء، وإذا كان التفات الرجل في صلاته اختلاس يختلسه الشيطان من العبد فكيف بمن يلتفت قلبه إلى غير الله سبحانه وتعالى فيقصد بعمله غير الله؟

إصلاح النية فيه مجاهدة وصعوبة، ولكن يبسره الله تعالى على من أخلص، تصفية العمل من الآفات أشد من العمل نفسه، وحدث يزيد بن هارون بحديث: إنما الأعمال بالنيات وأحمد بن حنبل رحمه الله جالس فقال أحمد ليزيد: يا أبا خالد هذا الخناق، هذا الشيء الصعب، هذا الشيء الذي يحتاج إلى جهاد، القلب كثير التقلب وهو رقيق تؤثر فيه الخطرات، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرَّفَ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» .

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ) وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقَدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلِيَانَا» (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ= وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ) فَتَصْحِيحُ النِّيَّةِ يَشُقُّ عَلَى النَّفْسِ تَحْتَاجُ الْقَضِيَّةَ فِيهِ إِلَى مَعَالِجَةٍ، حَتَّى قَالَ سَفِيَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ مِنْ أُمَّةِ السُّلْفِ: مَا عَالَجْتَ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي فَإِنَّهَا تَتَقَلَّبُ عَلَيَّ، تَتَّغَيَّرُ وَتَتَّحَوَّلُ، يَحْتَاجُ إِلَى رَدِّهَا، وَإِلَى تَوْجِيهِهَا، وَإِلَى تَحْدِيدِهَا.

وقال بعض الصالحين: اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة: ترك الطمع فيما بيني وبين الناس، وإخلاص العمل لله عز وجل، تخليص العمل حتى يخلص أشد من العمل، والخوف على العمل وحفظ العمل بعد أدائه أشد من العمل نفسه، تخليص النية من فسادها أشد من طول الاجتهاد؛ لأن قطاع الطرق كثيرون، وأنت في سيرك إلى الله يخرج عليك العدو من هاهنا وهاهنا، وأنت تقاوم، وتجاهد، وتصحح، وتوجه، وتذكر نفسك.

قال بعض العلماء: وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد للتدريس في أعمال ليس إلا، فإنه ما أتى على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك. ما ابتلوا، ما أتاهم إبليس إلا من هذا الباب.

روى ابن عساكر: أن أبا الحسين النوري رحمه الله اجتاز بزورق فيه خمر، فقال: ما هذا؟ ولمن هذا؟ فقال له الملاح: هذا خمر لأحد الكبراء وسماه، فصعد أبو الحسين إليها، فجعل يضرب الدنان -جرار الخمر- بعمود في يده حتى كسرها إلا واحداً، فجاءت الغلمان فأخذوه، فأوقفوه بين يدي صاحب الجرار، فقال له: ما الذي حملك على ما فعلت؟ قال: شفقة عليك، ولدفع الضرر عنك، وهذا جواب سديد حكيم في الدعوة، شفقة عليك ولدفع الضرر عنك، قال: ولأي شيء تركت منها واحداً؟ قال: لأنني إنما أقدمت عليها فكسرتها إجلالاً لله تعالى فلم أبالي أحداً، فلما

انتهيت إلى هذا الأخير دخل في نفسي إعجاب من قبيل أني أقدمت على مثلك. يعني: قد صارت عندي هذه القوة والجرأة فأعجبت فتركته، قال: اذهب قد أطلقت يدك فغير ما أحببت أن تغيره من المنكر.

كيفية تصحيح النية

تصحيح النية هو تأهيل العمل ليقبله الله عز وجل، وفساد النية يسبب حبوط العمل، وضياع الجهد، وفضيحة في الدنيا والآخرة، وتصحيح الأعمال هباء منثوراً، ومثل فساد العمل إذا خالطته النية الفاسدة كشخص عنده سند بمليون ليس عنده إثبات إلا هو فكان مقلوباً على الوجه الآخر فظنه ورقة عادية مرة فأخذه فكتب عليه بعض الأرقام والحسابات، ثم مزقه، ثم اكتشف أن هذا سند المليون قد ضاع، فكيف يكون ندمه وحسرتة وقد ذهب ماله أدرج الرياح؟ فهل يريد العبد أن يجهد نفسه في صوم، وصدقة، وتلاوة، وبر الوالدين.. ونحو ذلك ثم يذهب أجره هباء منثوراً بتسميع، أو رياء، أو إعلان، يقصد به المفاخرة، ورجاء ما في أيدي الناس؟ فلا تكن كمن يحرق في الماء، أو يبذر في الصحراء.

وقد أشار شيخ الإسلام رحمه الله إلى أن كثيراً من الاختلافات في المذاهب التي فيها تعصب، وتناحر، وتضارب بين أتباعها سببه فساد النية، إرادة العلو في الأرض، والبغي على الآخرين، وقل مثل ذلك الآن في مشكلات كثيرة عند الناس، لو حسنت النوايا بين الزوجين لانتهت مشكلات زوجية كثيرة، لو حسنت النوايا بين الشركاء لاكتفت المحاكم من قضايا كثيرة.

عباد الله، يطلب بعض الناس الدنيا بعمل الآخرة فيقول: أدخل الجامعة لأجل شهادة، لماذا؟ هذه نيته، لماذا لا تكن النية تعلم الدين لله وما يأتي من المصالح بعد ذلك تبعاً لا يضر، إذا كان الأساس لله ما يحصل بعد ذلك تبعاً لا يضر، أنت تصوم لله فإن حصل بالصوم فوائد صحية فحيا هلا.

عباد الله، قال العلماء في تعلم العلم: يجب أن يحسن النية فيه، قال أحمد رحمه الله: طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته، قيل: فأبي شيء تصحيح النية؟ قال: ينوي أن يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل. قال أبو العالية: تعلمت الكتابة والقرآن فما شعر بي أهلي، ولا روي في ثوبي مداد قط. قال الحسن رحمه الله: من طلب بالعلم عرض الدنيا عصا ربه، وأتعب نفسه وباء بالإثم، قال معمر: طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله.

أحياناً يحدث أن بعض الناس يبدأ بالعمل لغير الله فيوفقه الله وتدركه رحمة الله فيغير نيته، إذا تصحيح النية ممكن، أنت يمكن أن تبدأ بعمل لأجل مخلوق، ثم يحضرك خوف الله، ومراقبة الله، وقصد الله، فتذهب النية الباطلة، وتحل بدلاً منها نية طيبة، فهنيئاً في هذه الحالة، وقد تكون النية الحسنة خفيفة ثم تقوى، قال مجاهد رحمه الله: "طلبنا العلم ومالنا فيه كثير نية، ثم رزقنا الله تعالى فيه تصحيح النية" ولأن فساد النية قد يقع في جمع الكتب وصنوف العلم حتى الشرعية فطن الأئمة لهذا، وابتدأ البخاري وغيره كتبهم -رحمهم الله- بحديث: إنما الأعمال بالنيات، وبعض ما كتب فيه إبداعات، في السجع، وخطب، ومنثورات، وبلاغات، ولكنها لا تثمر، نوايا بعض المؤلفين حملت كتبهم في مشارق الأرض ومغاربها، كم من مصل أضنى نفسه قياماً، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكذلك بذل الأموال فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً، وما أعظم ما تنفقه بعض المنظمات العالمية والدعايات الدنيوية لتحقيق شهرة، أو تحسين سمعة، أو كسب أصوات الناس، فيعملون أعمال بر لأجل ذلك، فيذهب عملهم هباء منثوراً، فكيف بمن يرائي بمال غيره إنها مصيبة، قال مالك رحمه الله: "قولوا لمن لم يكن صادقاً لا تتعب" وأسوأ من ذلك من يجمع بين الرياء والكذب، قال بعض السلف: "أدر كنا الناس يراءون بما يعملون فصاروا الآن يراءون بما لا يعملون" فيقول: فعلت وفعلت وهو كذاب، فيرائي على كذب.

كان بشر رحمه الله يصلي فيطول، فراه رجل وجعل ينظر إليه، ففطن لذلك بشر، فلما انصرف من الصلاة قال: يا أخي لا يعجبك ما رأيت مني فإن إبليس قد عبد الله دهنراً مع الملائكة. يعني: ثم انصرف، ولذلك قد يقوم بعض الناس بأعمال في خدمة الدين، لكن القصد ليس لله، وتحصل مصالح من جراء ذلك، فبأي شيء يفسر هذا؟ الجواب: أخبر النبي صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُنَيْنًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ وَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ الَّذِي تَحَدَّثْتَ أَنَّ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَدْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ فَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ فَقَالَ أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ يَرْتَابُ فَبَيِّنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ وَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الْجِرَاحِ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ فَأَنْتَرَعَ سَهْمًا فَأَنْتَحَرَ بِهَا فَاشْتَدَّ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَدَقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ قَدْ أَنْتَحَرَ فُلَانٌ وَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ يَا بَلَّالُ قُمْ فَأَذِّنْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجْلِ الْفَاجِرِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ) .

عباد الله، لا بد أن يكون الواعظ صادقاً في النصيحة ، وإذا رأى بعض المتسابقين في المسابقة الوظيفية من هو أمثل منه لا يتقدم عليه، وما أسهل الكلام وأصعب العمل، قال بعض العلماء: أعربنا في القول ولحنا في العمل. يعني: كلامنا فصيح و عملنا ركيك.

كان طاووس رحمه الله لا يحدث إلا بنية، ويسأل أن يحدث، حدثنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يحدث أحياناً، ف قيل له في ذلك، قال: أتحبون أن أحدث بغير نية، إذا حضرتني نيتي فعلت.

واحذر ضحك الشيطان في ست ساعات: ساعة الغضب، والمفاخرة، والمجادلة، وهجمة حماس مفاجئة، وبكاء وأنت تعظ الناس، وقد يقع فساد النية حتى في أشق الأعمال وهو الجهاد؛ ولذلك أخبر

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيَرَى مَكَانَهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ كَلِمَةً اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) إِنْ لَمْ يَلْمِ لِيَقْبَلِ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصاً وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ .

من أحكام النية

عباد الله، نحتاج في قضية النية إلى أمور:

منها: إذا هممت بالحسنة فاعملها، وإذا هممت بالسيئة فلا تعملها، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يأجرك عشرأ على فعل الحسنة ويأجرك على ترك السيئة وعدم فعلها.

وكذلك فإن بعض الناس يترك العمل الصالح خشية الرياء، وهذا من إقعاد الشيطان وتلبيسه، إذا حضرتك فرصة لعمل صالح فاجعل نيتك لله وأقدم، لا تترك الفرصة أبداً، وإذا قال لك الشيطان: أنت مرء، فاجعل كيده في نحره واعملمها لله.

وأيضاً: فإن النية الحسنة لا تصح العمل إذا كان باطلاً، فقد يكون العمل على غير السنة ونية صاحبه طيبة، يريد أن يتقرب إلى الله، لا ينفعه ذلك، ولو كان رجل يسرق ويتصدق أخذ واكتشف أمره فقال: أنا أسرق لأن السيئة بواحدة وأتصدق فأكسب عشر حسنات فأنا بالنتيجة قد كسبت تسعاً، وهذا جاهل والسبب في ذلك ما هو يا عباد الله؟ كيف نرد على هذه الشبهة؟

الجواب: أن الله لا يقبل عمله لأنه من حرام، الصدقة التي من حرام هل يقبلها الله؟ إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وبالتالي ليس له عشرة ولا واحد، ويبقى عليه إثم السرقة.

خطورة التعذر بعدم النية :

عباد الله، إن أمر النية عجيب، وإن بعض الناس يتذرعون في ترك الواجبات وفعل المحرمات بأنه ليس عندهم نية صالحة الآن، وهذا من أبطل الباطل، فتدعى فتاة للحجاب فتقول: ما عندي نية صالحة سأؤجل، يدعى شخص للصلاة فيقول: ما عندي نية صالحة سأؤجل، كيف تترك الواجب بهذا العذر؟! لا عذر لك، ما دام واجباً افعله ويجب عليك وأن تجعله لله، وما دام حراماً فيجب عليك أن تتركه وأن تتركه لله.

وكلما تعددت النيات كان الأجر أعظم، فقد يتزوج إنسان لقضاء الشهوة، وقد يتزوج آخر يبتغي إعفاف نفسه وإعفاف المرأة، وكذلك يبتغي الأجر بالإنفاق على الزوجة والأجر بالإنفاق على الأولاد، ويبتغي عقد صلة مع أهل المرأة، وهذا من تقوية الأواصر في المجتمع، علاقة الصهر بالإضافة إلى علاقة النسب، وهكذا وهكذا من النيات الحسنة التي تضاعف أجر الإنسان، وقد يقرأ شخص القرآن لأجل ثواب القراءة، وقد يقرأه شخص ويريد أيضاً بالإضافة إلى تكثير الحسنات ورفع الدرجات أن يكون القرآن له شافعاً يوم القيامة؛ لأن القرآن يشفع للعبد، وأن يعمر قلبه بالقرآن، وكذلك أن يقرأه بنية طمأنينة قلبه: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) وبنية تحصيل العلم، وهذا مهم جداً، قراءة القرآن بنية تحصيل العلم، ولذلك فهو يقف عند الآية وإذا لم يعرف تفسيرها قرأ ذلك من هامش بالمصحف مثلاً أو رجع إلى تفسير أو سأل، ويقرأ القرآن للعمل به، وهذا هو الأهم، يقرأه للعمل، بعض الناس يقرؤونه للبركة والاستشفاء، وبعض الناس يقرؤونه للتدبر والعمل.

تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل، وتقلب المباحات إلى طاعات بالنية، ولذلك أنت إذا جئت إلى

البقالة تشتري طعاماً للبيت ، كلهم يشترون طعاماً من هو الذي يؤجر على شرائه؟ الذي

يستحضر عند دفع المال أنه ينفق كما أمره الله على أهله، يحتسب هذا هو الاحتساب، وهذه النية

شأنها عظيم فإنها تريح القلب، وكذلك تقدم العبد عند ربه، تعاهد قلبك يا عبد الله، ولا ترى نفسك

مخلصاً، اتهم نفسك واعمل وزد في العمل تصحيحاً، ولا بأس أن تتوقف هنيهة قبل العمل لتصحح النية، لا تترك العمل، لكن لا بأس أن تتوقف هنيهة قبل العمل، قيل لنافع بن الزبير: أشهد معنا الجنازة، فقال: كما أنتم، ثم وقف هنيهة ومضى فسئل بعد ذلك قال: حتى أجمع نيتي. ولذلك فإن الفقه يرفع الإنسان درجات، والدعاء بالإخلاص عظيم، وكذلك بتخليص النفس من الرياء والدعاء المشهور في هذا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفر لك لما لا نعلم وصلاتك ونسكك ومحياك ومماتك الله فتذكر ذلك يا عبد الله.

ومن علامات الإخلاص: أن يكون في السر أحسن من العلن، والعكس خطير، وكذلك ألا يضره المدح والذم ما دام يعمل لله، مدح أو ذم فهو يستمر في العمل ثالثاً: فمهما كان العمل يسيراً إذا كلف به شرعاً يمضي به دون تأفف، يتقبله الله، وبعض الناس يكون في نفسه مرض خفي وهو يعبد الله فيظهر بعد . اللهم إنا نسألك أن تعلمنا ما ينفعنا، وأن تنفعنا بما علمتنا، وأن تزيدنا علماً، وأن ترزقنا التقوى والتمسك بالعروة الوثقى، وصحة النية، وصحة العمل يا رب العالمين.

شهر رجب بين السنة والبدعة

العناصر :

- * أن يعرف المسلم أن الإسلام مكتمل الأركان وكامل البناء .
 - * أن يجاهد العبد نفسه بعدم الوقوع في البدع .
 - * أن يتقى العبد الأسباب التي تشوش عليه صحيح السنة .
 - * بيان أن الطاعات يتضاعف أجرها والمعاصي كذلك يتضاعف إثمها في الأشهر الحرم.
- الحمد لله الذي أكمل لنا الدين ، وأتم علينا نعمته ورضي لنا الإسلام ديناً، والصلاه والسلام علي نبينا محمد الذي بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً أما بعد: فمن المعلوم عند جميع المسلمين إن شهر رجب من الأشهر الحرم التي قال الله فيها : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة : ٣٦)
- وثبت في الصحيحين عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ مُضَرٌ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) قال ابن حجر رحمه الله : قوله صلى الله عليه وسلم : "ورجب مُضَر" إضافة إليهم لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم { فتح الباري ج ٨ ص ١٧٦ } وهكذا قاله ابن الأثير في النهاية.

لماذا سمي رجب رجباً؟

قال ابن رجب رحمه الله : سمي رجب رجباً لأنه كان يُرجب أي يُعظم ، يقال رجب فلان مولاه اي عظمه.

وقد اشتهر علي كثير من الألسنة فضائل ومناقب هذا الشهر الكريم أكثرها غير صحيح وصحيحها غير صريح وكثرت حاجه الناس الي معرفة الخطأ من الصواب والتمييز بين الحق والباطل وبيان ما هو سنة صحيحة وما هو بدعه قبيحة .

السنة في هذا الشهر الحرام :

روي الطبري في تفسيره في قول الله تعالى : { فَلَا تَظْلِمُوا أَنْفُسَكُمْ } في كلهن ، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حراماً ، وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم

وعن قتادة رحمه الله قال : إن الظلم في الشهر الحرام أعظم خطيئة ووزرا فيما سواه وإن كان الظلم علي كل حال عظيما ولكن الله يُعظم من أمره ما يشاء .

وقال : إن الله اصطفى من خلقه صفايا ، اصطفى من الملائكة رسلاً ، واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظمه الله فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم والعقل .

والميزان في إثبات أفضلية شهر أو يوم أو ليلة أو ساعة شرع الله تعالى فيما ثبت في الكتاب والسنة الصحيحة أن له فضلاً ، ثبت له الفضل وما لم يرد فيهما أو ورد فيه أحاديث ضعيفة أو موضوعة فلا يعترف به ولا يميز علي غيره .

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أُمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } "المائدة ٢"

قال ابن كثير في تفسيره : أي لا تحلوا محارم الله التي حرّمها والذي يشرع في رجب من الصيام هو ما يشرع في غيره من الشهور من صيام الإثنين والخميس والأيام الثلاثة القمرية وصيام يوم وإفطار يوم .

وذكر ابن رجب : أن جمهور العلماء ذهبوا الي أن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ لأن الصحابة رضي الله عنهم استمروا في مواصلة الجهاد بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وسلم ولم يتوقفوا عن الجهاد في الأشهر الحرم

ما أحدث الناس في رجب من البدع :

المؤمن يكفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردُّ)) رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو ردُّ))

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه ولا صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحُجج، وقال: أيضاً الأحاديث الصريحة الواردة في فضل رجب أو في فضل صيامه أو صيام شيء منه تنقسم الي قسمين قسم ضعيف وقسم موضوع.

من أوائل ما ابتدع الناس في رجب بعض الصلوات وهي عندهم على أنواع :

١- منها ما يسمى (بالصلاة الألفية) ، وهي تصلى في أول رجب وفي نصف شعبان وهي غير صلاة الرغائب كما سيأتي .

٢- صلاة أم داود وهي تصلى في نصف رجب ذكرها شيخ الإسلام في .
(اقتضاء الصراط المستقيم)

٣- صلاة الرغائب ويسميتها البعض (الصلاة الإثني العشرية وهي تصلى في أول جمعة بعد العشاء وقيل بين العشاءين وهي اثنا عشر ركعة ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة القدر ثلاثة ، وسورة الإخلاص اثنا عشر مرة ، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة .

قال ابن رجب في (لطائف المعارف) : (فأما الصلاة فلم يصح قي شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به ، والاحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل ، فلا تصح) .

ومما أحدث الناس كذلك في رجب الصيام ، وهم فيه علي أصناف :

١ - فمنهم من يحرص علي صيام اليوم الأول والثاني والثالث منه ، ويرون في ذلك الأحاديث الموضوعية ، كحديث : (من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة تسعمائة سنة) ، وحديث (صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاثة سنين ، والثاني كفارة سنتين ، ثم كل يوم شهراً)

وحديث : (رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي) . وكل ذلك كذب مصنوع وموضوع .

٢ - ومنهم من يصوم اليوم السابع منه فقط ويصلي صلاة الرغائب في تلك الليلة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والصواب الذي عليه المحققون من أهل العلم النهي عن أفراد هذا اليوم بالصوم ، وعن الصلاة المحدثه ، وعن كل ما فيه تعظيم لهذا اليوم من صنعة الأئمة ، وازهار الزينه ونحو ذلك .

٣ - ومنهم من يصوم الشهر كله .

قال ابن رجب : (وأما الصيام فلم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه)

وجاء عن السلف أنهم كانوا ينهون عن صيام رجب كاملاً .

و روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يضرب أكف الرجال في صوم رجب حتي يضعونها في الطعام ويقول : (ما رجب ؟ إن رجا كان يعظمه أهل الجاهليه ، فلما كان الإسلام ترك) وفي روايه : كره أن يكون صيامه سنة ، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه كان ينهي عن صيام رجب كله . وعن أبي بكره ؟ رأي أهله يتهيأون لصيام رجب ، فقال لهم : (أجعلتم رجب كرمضان !) . وعن ابن عمر ؟ أنه كان يري أن يفطر منه أياماً وكرهه أنس ابن مالك وسعيد ابن جبيرة وغيرهم .

قال الحافظ ابن حجر في " تبين العجب بما ورد في فضل رجب " : (لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه ، ولا صيام شئ منه معين ، ولا في قيام ليله مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة) .

وأحدثوا كذلك زياره مسجد النبي عليه وسلم وقبره في هذا الشهر

وزياره مسجد النبي عليه وسلم مشروعة في كل السنة وهي من جملة القربات والطاعات ، ولكن تخصيصها في هذا الشهر من البدع التي لم يرد عليها دليل ، فتخصيص عبادة بوقت لم يوقته الله ولا رسوله من البدع المحرمة ، فتنبه! وقد ذكره الشيخ الألباني في "أحكام الجنائز وبدعها " وكذلك من البدع الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج في ليله السابع والعشرين منه ، وقراءه قصة المعراج ، وإطعام الأطعمة والولائم وهذا مما أحدثه الناس في هذا الشهر وهو من البدع المنكره فيقرأون في ليله السابع والعشرين منه قصه المعراج المنسوبة إلى ابن عباس ، وكلها أكاذيب وأضاليل .

وهذا الاحتفال بدعة ولا يجوز ، وذلك من وجوه :

الأول : أن أهل العلم مختلفون في تحديد تاريخ وقوع هذه الحادثة العظيمة اختلافاً كبيراً ، ولم يقدم دليل علي تعيين ليلته التي وقع فيها ، ولا علي الشهر الذي وقع فيه .

الثاني : لو ثبت تعيين تلك الليلة لم يجز لنا أن نحتفل فيها ، ولا أن نخصها بشئ لم يشره الله ولا رسوله .

الثالث : ما يحصل في تلك الليلة وذلك الاحتفال أمور منكرة .

قال بعض أهل العلم : (وقد تفنن الناس بما يأتونه في هذه الليلة من المنكرات ، وأحدثوا فيها من أنواع البدع دروباً كثيرة ، مثل الاجتماع في المساجد وإيقاد الشموع والمصابيح فيها) .

وللشيخ عبدالعزيز بن باز كلاماً – حول هذه المسئلة ، حيث قال - رحمه الله - :
(هذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها ، لا في رجب ولا في غيره ، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي عليه وسلم عند أهل العلم بالحديث) .

وحول الحكمه الإلهية من عدم تعيين ومعرفة تلك الليلة بعينها ، يقول الشيخ :

(والله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها ، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشئ من

العبادات ، ولم يجز لهم أن يحتفلوا بها ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها

ولم يخصوصها بشئ ، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة ، إما بالقول

وإما بالفعل ، ولو وقع شئ من ذلك لعرف واشتهر ، ولنقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا ، فلقد

نقلوا عن نبيهم رضي الله عنه كل شئ تحتاجه الأمة ، ولم يفرطوا في شئ من الدين ، بل هم

السابقون الي كل خير ولو كان الاحتفال بهذه الليلة مشروعاً لكانوا أسبق اليه ...) إلخ كلامه -

رحمه الله- . وخلاصة القول : إن البدع مع أنها حدث في الدين وتغيير للملة ، فهي أضرار واخلال

تضاع فيها الأوقات وتنفق فيها الأموال وتتعب فيها الأجساد !! ولا حول ولا قوة الا بالله .

وصدق من قال: والخير في اتباع من سلف والشر في ابتداع من خلف .

وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا

العناصر

- * الفرق بين الربا والصدقة .
- * تعريف الربا وأدلة تحريمه .
- * بيان حال أهل الربا في الدنيا والآخرة .
- * كيف يتوب المتعامل بالربا من الربا وفضل إنظار المعسر .
- * تعريف نوعي الربا الفضل والنسيئة.

من المعاملات المالية التي أبطلها الإسلام، وتوعد المتعاملين بها بالحرب التعامل بالربا، الذي يعدُّ وسيلة من وسائل ابتزاز الأغنياء أموال المحتاجين إليهم، وكان هذا النوع من التعامل سائداً في الجاهلية قبل الإسلام، وهو اليوم في الجاهلية المعاصرة أشد .

إِنَّ الرِّبَا يَمْنَعُ النَّاسَ عَنِ اسْتِغْلَالِهِمْ بِمَكْسَبِهِمْ وَرِزْقِهِمْ، لأنَّ صاحب المال في حال تمكّن من خلال عقد الرِّبَا أن يحصل درهماً زيادة سواءً من خلال النِّقْد أو النِّسِيئة، فإنّه يخفّ عليه اكتساب وجه المعيشة بدون مشقة، وبالتالي لا يقدر على تحمّل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة، ممّا يؤدي إلى انقطاع منافع الخلق، ومصالح العالم معروف أنّها لا تنتظم إلا من خلال التّجارات، والحرف، والصناعات .

إِنَّ الرِّبَا يُوَدِّي إِلَى أَنْ يَنْقَطِعَ الْمَعْرُوفُ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْقَرْضِ.

فمن يعطي القرض على الأغلب يكون صاحب مال، وغنيّاً، وأنّ المستقرض يكون فقيراً، فالقول بجواز عقد الربا هو تمكين للغني من أن يأخذ من الفقير الضعيف مالاً زيادةً عن ما يحلّ له، وهذا أمر غير جائز برحمة الرحمن الرّحيم.

الفرق بين الربا والصدقة .

إن الصدقة هي الوجه المشرق الصالح للمعاملة التي يتعامل بها الناس، ويقابلها الوجه الكالح الطالح وهو الربا، وشتان بين الوجهين: فالصدقة عطاء وسماحة، وطهارة وزكاة، وتعاون وتكافل.

والربا شح وقذارة وذنس، وأثرة وأنانية.

والصدقة نزول عن المال بلا عوض ولا رد.

والربا استرداد للدين ومعه زيادة حرام مقطوعة من جهد المدين إن كان قد عمل بالمال الذي استدانه فربح نتيجة لعمله وكده. ولهذا تحدث القرآن عن الصدقة ثم أتبعها بالحديث عن الربا، الوجه الآخر الكالـح الطالـح، وكشف عما في عملية الربا من قبح وشناعة، ومن جفاف في القلب وشر في المجتمع، وفساد في الأرض وهلاك للعباد. ولم يبلغ من تفضيع أمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من تفضيع الربا، ولا بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ من التهديد في أمر الربا. ولما كان الربا قد شاع في عصرنا هذا شيوعاً كثيراً جعل السلامة منه من الصعوبة بمكان، كان لابد من الحديث عن الربا وبيان خطره وخطر عقوبته لعل المرابين يتقون أو يحدث لهم ذكرا، فنقول وبالله التوفيق:

تعريف الربا وأدلة تحريمه . الربا في اللغة: الزيادة قال تعالى:

[وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ] [الحج: ٥]

وهو في الشرع: الزيادة في الدين على رأس المال قلت أو كثرت، وهو حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] [آل عمران: ١٣٠].

وليس القيد هنا لإفادة الشرطية، ولكنه لبيان الواقع فلا يعتد به، بدليل قوله تعالى: [وَإِنْ تُبْتِئُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ]. [البقرة: ٢٧٩] لا يعول على قول من قال: إن الربا المحرم إنما هو الربا الفاحش، الذي تكون النسبة فيه مرتفعة، ويقصد منه استغلال حاجة الناس، أما الربا القليل الذي لا يتجاوز نسبته اثنين، أو ثلاثة في المائة، فإنه غير محرم، ويحتجون على قولهم هذا، بأن الله تبارك وتعالى إنما حرم الربا إذا كان فاحشاً، حيث قال تعالى: {لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة} (آل عمران: ١٣٠) قالوا: إن النهي إنما جاء مشروطاً ومقيداً، وهو كونه مضاعفاً أضعافاً كثيرة، فإذا لم يكن كذلك، وكانت النسبة فيه يسيرة، فلا وجه لتحريمه!

وبئس ما قالوا؛ وذلك لأمر:

أولاً: أن قوله تعالى: {أضعافاً مضاعفة} ليس قيداً ولا شرطاً، وإنما هو لبيان الواقع الذي كان التعامل عليه أيام الجاهلية، كما جاء في سبب النزول، وللتشجيع عليهم بأن في هذه المعاملة ظلماً صارخاً وعدواناً مبيناً، حيث كانوا يأخذون الربا مضاعفاً أضعافاً كثيرة، فمفهوم المخالفة في الآية لاغ وساقط، لا اعتبار له، كما يقول أهل الأصول.

ثانياً: أن المسلمين قد أجمعوا على تحريم الربا قليله وكثيره، وهذا القول يعتبر خروجاً على الإجماع، كما لا يخلو عن جهل بأصول الشريعة؛ فإن قليل الربا يدعو إلى كثيره، فالإسلام حين يحرم الشيء يحرمه كلياً؛ أخذاً بقاعدة (سدّ الذرائع) لأنه لو أباح القليل منه لجرّ ذلك إلى الكثير منه، والربا كالخمر في الحرمة، فهل يقول مسلم عاقل: إن القليل من الخمر حلال؟ لذلك قال العلماء: ما جرى الربا فيه بالتفاضل في كثيره، دخل قليله في ذلك؛ قياساً ونظراً.

ثالثاً: ثم يقال للقائلين بهذا القول: {أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض} (البقرة: ٨٥)؟ فلماذا تحتجون بهذه الآية على دعواكم الباطلة، ولا تقرؤون قوله تعالى: {وأحل الله البيع وحرم الربا} وقوله تعالى: {اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا} (البقرة: ٢٧٨) وقوله سبحانه: {يمحق الله الربا ويربي الصدقات} (البقرة: ٢٧٦) هل في هذه الآيات ما يقيد الربا بالقليل، أو الكثير، أم اللفظ مطلق؟ وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْلَ الرَّبَا وَمُوكَلَّهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) . فالربا محرم بجميع أنواعه بالنصوص القطعية، والقليل والكثير في الحرمة سواء. وصدق الله حيث يقول: {يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم}.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) وَعَدَّ مِنْهَا الرِّبَا.

وثبت عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا، إِلَّا كَانَ عَاقِبَتُهُ أَمْرَهُ إِلَى قَلَّةٍ». (صحيح الجامع)

وفي حديث الرؤيا الطويل : ((فَانْطَلَقْنَا عَلَى نَهْرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ - وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ يَسْبُحُ وَإِذَا عِنْدَ شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبُحُ مَا يَسْبُحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي جَمَعَ الْحِجَارَةَ فَيَفْعُرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجْرًا قَالَ: قُلْتُ: مَا هُوَ لِأَيِّ؟ ... قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَيَلْتَقِمُ الْحِجَارَةَ فَإِنَّهُ أَكَلَ الرَّبَّاءَ)) (رواه البخارى).

ولقد شن القرآن الكريم حملة شديدة على المرابين نسوقها بلفظها ثم نأتي عليها بالبيان.

قال تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: ٢٧٥).

إنها الحملة المفزعة، والتصوير المرعب الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وما كان أي تهديد معنوي ليبلغ إلى الحس مبلغ هذه الصورة المجسمة الحية المتحركة، صورة الممسوس المصروع وهي صورة معروفة معهودة للناس والقرآن يصفهم بأنهم لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .

إنهم لا يقومون في الحياة ولا يتحركون إلا حركة الممسوس المضطرب القلق المتخبط الذي لا ينال استقرارا ولا طمأنينة ولا راحة، وهذا أمر أصبح مشاهدا في هذا العصر، فالناس مع الحضارة والرقي والتقدم والرخاء قلقون خائفون مضطربون، قد فشت فيهم الأمراض العصبية والنفسية، والسبب هو خواء الأرواح من زاد الإيمان، الذي هو سبب الطمأنينة والسكينة والهدوء والراحة [الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] [الرعد: ٢٨]. وحين يشقى العالم وهو في رخاء مادي لا بد أن يعلم أن السبب هو فقد الغذاء الروحي، الذي سببه الإعراض عن ذكر الله، كما قال تعالى: [وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى] [طه: ١٢٤].

.. والذين يأكلون الربا ليسوا هم الذين يأخذون الفائدة الربوية وحدهم، إنما هم كل المتعاونين على إجراء العملية الربوية:

((عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكَلَ الرَّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) .

ولقد اعترض المرابون في عهد رسول الله على تحريم الربا وتحليل البيع ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وكانت الشبهة التي ركنوا إليها هي أن البيع يحقق فائدة وربحا، كما أن الربا يحقق فائدة وربحا، وهي شبهة أوهى من بيت العنكبوت فالعمليات التجارية قابلة للربح والخسارة، أما العمليات الربوية فهي محدودة الربح في كل حالة .

التحريم والتحليل: إن كل عملية يضمن فيها الربح على أية وضع هي عملية ربوية محرمة، بسبب ضمان الربح وتحديده، ولا مجال للمماحلة في هذا ولا للمداراة، ولذا أحل الله البيع وحرم الربا .

ولما كان الله تعالى لا يؤاخذ إلا بعد إقامة الحجة قال: فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف ، فمن سمع موعظة من ربه فلا يكلف برداً ما أخذ من الناس قبل ذلك، وحسبه أن لا يزيد عليهم بعد الموعظة، لكن انظر إلى خطر الأمر وهو قوله تعالى: (وَأْمُرْهُ إِلَى اللَّهِ) ليظل متوجساً من الأمر خائفاً منه يقول: كفاني ما مضى، ولعل الله أن يغفر لي إذا تبت وأنت لم أقع فيه بعد ذلك.

(وَمَنْ عَادَ) بعد بيان الله وتذكيره وتوعده لأكلة الربا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . وفي هذا التصريح بأن أكلة الربا في النار خالدون إلا من مات منهم على التوحيد، فإن خلوده ليس كخلود الكافرين، وإنما ينفعه التوحيد يوماً ما، كما علم من النصوص الأخرى. ولما علم الله أن من عباده من لا يقيم وزناً ليوم الحساب، ويسقطه من حسابه، فقد أنذرهم بالمحق في الدنيا (يَمَحَقُ اللَّهُ الرَّبَا) .

والمحق: هو محو الشيء والذهاب به، وقد اشتهر هذا عند العامة، فكم من آكل ربا حل به البلاء [فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ] . [النحل: ٢٦]

والله سبحانه يعقب على هذا الوعيد فيقول: والله لا يحب كل كفار أثيم والكفار هو الذي كفر نعمة الله ووجد منة ربه. والأثيم من أثم بإصراره على المعصية، وفي هذا النص إشارة إلى أن الله يحب الشاكرين ويحب التوابين.

ثم أدخل هذه الآية وهي قوله: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] (البقرة: ٢٧٧).

أدخلها بين آيات الربا ليبين أن أكبر الأسباب التي تعين على ترك الربا الإيمان، وأن أكل الربا لا يأكل الربا وهو مؤمن، قال تعالى: إن الذين آمنوا أي: صدّقوا إذعان بما جاء من عند الله في هذه المسألة وغيرها وعملوا الصالحات التي تصلح بها نفوسهم وشأن من يعيش معهم، ومنها مواساة المحتاجين، والرحمة بالبائسين وإنظار المعسرين وأقاموا الصلاة التي تذكّر المؤمن بالله فتزيد في إيمانه وحبّه لربه، حتى تسهل عليه طاعته في كل شيء وآتوا الزكاة التي تزكي النفس من رذيلة البخل والحرص وتمرنها على أعمال البر حتى تسهل عليها ويكون ترك أكل أموال الناس بالرba أسهل.

وإنما ذكر الصلاة والزكاة لأنهما أعظم العبادة النفسية والمالية، فمن أتى بهما كاملتين سهل عليه كل عمل صالح، والله يعدهم بأن لهم أجرهم عند ربهم يحفظه لهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهو وعد بالأمن فلا يخافون، وبالسعادة فلا يحزنون، في الوقت الذي يتوعد فيه أكلة الربا بالمحق والسحق، وبالتخيبط والضلال، وبالقلق والخوف.

وفي ظل هذا الرخاء الأمن الذي يعد الله به الأمة المسلمة التي تنبذ الربا من حياتها فتنبذ الكفر والإثم، وتقيم هذه الحياة على الإيمان والعمل الصالح والصلاة والزكاة، في ظل هذا الرخاء الأمن يهتف بالذين آمنوا بالهتاف الأخير ليحولوا حياتهم عن النظام الربوي الدنس المقيت، وإلا فهي الحرب المعلنة من الله ورسوله بلا هوادة ولا إمهال ولا تأخير: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٧٨) فوصفهم بالإيمان، وذكرهم بالتقوى، ثم انتقل إلى الأمر بترك ما بقي من الربا لمن كانوا يرابون.

ثم وصل ذلك بقوله: إن كنتم مؤمنين أي إن كان إيمانكم تاما شاملا لجميع ما جاء به محمد من الأحكام فذروا بقايا الربا.

ويؤخذ من هذا أن من لم يترك ما بقي من الربا بعد نهي الله تعالى عنه وتوعده عليه فلا يعدّ من أهل هذا الإيمان التام الشامل، وهكذا يأخذهم بالترغيب أولا، ثم ثنى بالترهيب الذي يقصم الظهر، ويزلزل القلوب: فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله.

أي: إن لم تتركوا ما بقي لكم من الربا كما أمرتم فاعلموا واستيقنوا بأنكم على حرب من الله ورسوله.

ويا سبحان الله : حرب من الله ورسوله!! إن الخصم ليعرف أن عدوّه يعدّ العدة ليشن الغارة عليه فلا يهدأ ولا ينام، مع احتمال أن يدفع عن نفسه، وأن يكون هو المنتصر. فكيف إذا أعلم بالحرب من الله ورسوله؟! وهي حرب رهيبة معروفة المصير، مقررة العقاب، لا هوادة فيها، وأين الإنسان الضعيف الفاني من تلك القدرة الجبّارة؟! وهذه الحرب المعلنة أعمّ من القتال بالسيف والمدفع. إنها حرب على الأعصاب والقلوب، وحرب على البركة والرخاء، وحرب على السعادة والطمأنينة، حرب يسلط الله فيها بعض العصاة على بعض، حرب المطاردة والمشاكسة، حرب الغبن والظلم، حرب القلق والخوف، إنها الحرب المشتعلة دائما، وقد أعلنها الله على المرابين، وهي مسعرة الآن تأكل الأخضر واليابس، والبشرية غافلة عما يفعل بها.

ثم عرّض بالتوبة فقال: وإن تبتم يعني من المعاملات الربوية فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون الناس بأخذ الربا ولا تظلمون ببخسكم رؤوس أموالكم. فكل من تاب من الربا: فإن كانت معاملات سالفة فله ما سلف وأمره إلى الله ينظر فيه.

وإن كانت معاملات موجودة وجب عليه أن يقتصر على رأس ماله، فإن أخذ زيادة فقد تجرأ على الربا.

ثم يرشد صاحب المال إلى ما يجب عليه نحو الذي عليه الدين فيقول: وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون .

إنها السماحة النديّة التي يحملها الإسلام للبشرية. إنه الظل الظليل الذي نادى إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة والشح والطمع والتكالب، إنها الرحمة للدائن والمدين، وللمجتمع الذي يظل الجميع.

إن المعسر في الإسلام لا يطارد من صاحب الدين أو من القانون والمحاكم، إنما ينظر حتى يوسر، ثم إن المجتمع المسلم لا يترك هذا المعسر وعليه دين، فإله يدعو صاحب الدين أن يتصدق بدينه إن تطوع بهذا الخير، وهو خير لنفسه كما هو خير للمدين، وهو خير للمجتمعات كلها ولحياتها .

عَنْ أَبِي الْيَسْرِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

عَنْ حُدَيْفَةَ، قَالَ: " أَتَى اللَّهَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ أَنَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيْسِرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللَّهُ: أَنَا أَحَقُّ بِدَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنِّي " (رَوَاهُ مُسْلِمُ)

ثم يجيء التعقيب العميق الإيحاء الذي ترجف منه النفس المؤمنة وتتمنى لو ترك الدين كله ثم تمضى ناجية من الله يوم الحساب: واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فأنجع شيء لمرض القلوب تذكر يوم الدين وهو يوم عسير، له في قلب المؤمن وقع شديد، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

كان هذا التحذير من ربا النسيئة: وهو الزيادة في الثمن من أجل الزيادة في الأجل.

ومن باب سد الذرائع حرّم الإسلام نوعا آخر من الربا وهو ربا الفضل.

وربا الفضل معناه: بيع جنس بجنسه متفاضلاً.

وهو محصور في أصناف ستة، بينها الشرع فعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سِوَاءٍ بِسِوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ» (رَوَاهُ مُسْلِمُ)

فهذه الأصناف الستة لا يجوز بيع الجنس منها بجنسه متفاضلاً: فلا يجوز بيع مائة جرام ذهباً قديماً بتسعين جراماً ذهباً جديداً، وكذلك الفضة.

ولا يجوز بيع كيلتين من قمح رديء بكيلة من قمح جيد، وهكذا بقية الأصناف.

ولا يجوز التأخير في القبض وإن كان هناك تماثل، بل لا بد من التقابض في المجلس.

فإن اختلفت الأجناس والعلة جاز البيع والشراء متفاضلاً وجاز التأخير، كأن تشتري قمحا بنقد، أو ملحا بنقد.

وإن اختلفت الأجناس واتحدت العلة جاز التفاضل دون التأخير: فيجوز أن تشتري عشرين جراماً ذهباً بمائة فضة مثلاً.

أو تشتري كيلتين قمحا بأربع شعيرا، أو تشتري مائة ريال سعودي بتسعين جنيها مصريا، فهذا التفاضل جائز شريطة التقابض في المجلس. فلا يجوز أن تشتري مائة ريال بتسعين جنيها وتبقى لك أو عليك بقية. ومن الخطأ الذي يقع فيه كثير من الناس عند استبدال الذهب القديم بجديد أنهم يبيعون القديم ولا يقبضون

ثمنه، ثم يشترون الجديد ويدفعون الفرق، وهذا داخل في ربا الفضل، والصحيح أن تبيع ما معك وتقبض ثمنه، ثم تشتري الجديد وتدفع ثمنه. سئل سعيد بن المسيّب عن رجل باع طعاماً من رجل إلى أجل، فأراد الذي اشترى الطعام أن يبيعه بنقد من الذي باعه منه، فقال: هو ربا، ومعلوم أنه أراد شراءه بأقل من الثمن الأول؛ إذ لا خلاف أن شراءه بمثله، أو أكثر منه جائز، وهذا ما يسمى ببيع العينة وصورته في واقعنا من يشتري سلعة بالتقسيط ثم يبيعها قبل تسديد ثمن السلعة ليحصل على المال فاعتبروا يا أولي الأبصار وخذوا حذرکم، وتفقهوا في دينکم، فإنه.

((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) .

غفلة الناس عن شهر شعبان

* العناصر :-

* دخول شهر شعبان وسبب تسميته و ما جاء في فضل الصوم فيه .

* غفلة الناس عن شعبان و رفع الأعمال فيه إلى الله.

* أسباب فضل الطاعات في وقت غفلة الناس و كيف تهيئ نفسك لرمضان في شعبان؟!!

* التهيئة بكثرة الصوم فيه وسر ذلك و التهيئة بكثرة القرآن وأنواع الإحسان .

* أعظم ما يهيئ النفس لرمضان الإبتعاد عن الشرك والشحناء .

* بدعة تخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بعبادة .

عباد الله: إن المؤمن ليتقلب في هذا الزمان، ويمد الله له في أجله، وكل يوم في هذه الدنيا هو غنيمة له يتزود منه لآخرته:

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) [الفرقان: ٦٢].

أيها المؤمنون: نتحدث في هذه الخطبة عن شهر شعبان ولنا معه وقفات ودروسًا وعظات نُذَكِّرُ فيها ببعض فضائله وأحكامه، وننظر فيها حال رسول الله فيه لنقتدي به، فماذا ورد في فضله؟! وما الذي جاء فيه من أحكام؟! وما كان يفعله النبي إذا دخل شعبان؟!!

أما شهر شعبان فقد سُمي بشعبان: لأن العرب كانوا يتشعبون فيه، أي: يتفرقون لطلب المياه، وقيل: لتشعبهم في غارات الحرب بعد خروجهم من شهر رجب الحرام، وقيل: لأنه شهر شعب أي: ظهر بين رجب ورمضان.

أما فضله: وما يستحب فيه فعله فقد جاء عند أحمد وغيره وصححه ابن خزيمة وحسنه الألباني عن أسامة بن زيد قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنْ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ! قَالَ: "ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأَحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ".

أيها المسلمون: ألا ترون هذه الأيام غفلة الناس عن شهر شعبان؟! يغفلون فيه عن الطاعات والقربات، ويغرقون في الشهوات والملذات، ويشغلون بغير شعبان عن شعبان، وقد كان النبي -

صلى الله عليه وسلم - يعمره بالطاعة والصيام، ويقول لأسامته: "ذاك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان"، فشهر شعبان يغفل الناس عنه بسبب أنه بين شهرين عظيمين، وهما شهر رجب الحرام وشهر رمضان الصيام، فاشتغل الناس بهما، فصار مغفولاً عنه، بل وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان؛ لأن رجب شهر محرم، وليس هذا بصحيح، فصيام شعبان أفضل من صيام رجب.

إذ يقول عنه - صلى الله عليه وسلم -: "ترفع فيه الأعمال، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم"، ولقد قال العلماء - رحمهم الله -: في هذا الحديث أيضاً دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، وأن ذلك محبوب لله - عز وجل.

فتعرضوا لنفحات الله عباد الله، وتلمسوا مرضاته، فإن الأجور المترتبة على الإشتغال بالطاعات وقت غفلة الناس أكبر، وإن فوائد إحيائها بالطاعات أعظم، فمن تلکم الفوائد أن الطاعات فيها تكون في سرٍّ وخفاء، وإخفاء الطاعة وإسرارها من أعظم أسباب قبولها، فإنها تكون خالصة لله تعالى، بعيدة عن السمعة والرياء، وإن الطاعات وقت غفلة الناس شاقة على النفوس، وأفضل الأعمال أشقها على النفوس ما دامت موافقة لسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - و "الأجر على قدر النصب"

عباد الله: إن أعمال السنة ترفع إلى الله تعالى في شعبان، أعمال العباد تعرض على الله عرضاً بعد عرض، فتعرض كل يوم بالليل والنهار، ثم تعرض عليه أعمال الجمعة كل اثنين وخميس، ثم تعرض عليه أعمال السنة في شعبان، ولكل عرض حكمة والله تعالى لا يخفى عليه من أعمالهم خافية.

أيها المؤمنون: ولما كان شهر شعبان كالمقدمة لرمضان - ولا بد في المقدمة من التهيئة - شرع فيه من الصيام وغيره من القربات ما يهيئ القلوب لرمضان؛ ليحصل التأهب وترويض النفوس على طاعة الرحمن؛ ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكثر فيه من الصيام، ويغتنم وقت غفلة الناس وهو من هو، هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، هو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولذلك فإن السلف كانوا يجتنبون في شعبان، ويتهيأون فيه لرمضان.

فيا عبد الله: بماذا تهين نفسك لرمضان في شهر شعبان؟! وكيف تهينها؟! اسمع رعاك الله:

أولاً: هين نفسك بما رغبت فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ألا وهو كثرة الصيام في هذا الشهر، فقد كان يكثر من الصيام فيه، فعن عائشة - رضي الله عنها وعن أبيها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيت في شهر أكثر صياماً منه في شعبان. (رواه البخاري ومسلم) وفي رواية البخاري: كان يصوم شعبان كله. ولمسلم في رواية: كان يصوم شعبان إلا قليلاً. وهذا يدل على شدة محافظته على الصوم في شعبان، والمقصود صيام أكثر الشهر لا كله. قال ابن حجر رحمه الله: كان صيامه في شعبان تطوعاً أكثر من صيامه فيما سواه، وكان يصوم معظم شعبان.

أيها المسلمون: إن من أسباب كثرة الصيام في شعبان أن الواحد منا قد يشتغل عن صوم الأيام الثلاثة من كل شهر لسفر أو عمل أو غيره، فيجتمع عليه تركها، فما الحل لتعويضها وقضائها؟! قال العلماء: له أن يقضيها في شعبان، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا عمل بناقلة أثبتها، وإذا فاتته قضاها، ولعل هذا من أسباب كثرة صيامه في شعبان.

ومن فضيلة الصيام في هذا الشهر وكثرته واستحبابه أن بعض العلماء قال: إن صيام شعبان أفضل من الصيام في غيره من الشهور، كصيام شهر المحرم الذي هو أفضل الصيام بعد رمضان؛ لأن أفضل التطوع بالصيام ما كان قريباً من صيام فرض رمضان قبله أو بعده، فهو يلتحق بصيام رمضان لقربه منه، فيكون لصيام رمضان بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها؛ فصوم شعبان كالتطوع المطلق لرمضان، وصيام الست من شوال كالتطوع لرمضان؛ فالسنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالنسبة للصلاة، فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وما بعده أفضل من الصيام المطلق الذي لا يتصل به.

وقال ابن رجب - رحمه الله -: قيل في صوم شعبان: إن صيامه كالتمرين على صيام رمضان؛ لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده، ووجد بصيام شعبان قبله حلاوة الصيام ولذته، فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط.

عباد الله: وأما من يضعفه الصوم في شعبان عن صيام رمضان فإنه لا يصوم إذا انتصف شعبان، لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يكون رمضان". رواه أحمد وغيره وصححه الألباني، وفي سنده كلام. والنهي في هذا الحديث من أجل التقوي على صيام رمضان، وقيل: النهي في حق من كان مفطرًا ولم يصم أول الشهر، فإذا بقي من شعبان قليل أخذ في الصوم.

ثانيًا: بماذا تهيب نفسك -يا عبد الله- لرمضان؟! هيئها بما تيسر لك من الطاعات من الإكثار من قراءة القرآن وصلة الأرحام وسائر أنواع الإحسان، قال سلمة بن كهيل: كان يقال: شهر شعبان شهر القراء. وقال أبو بكر البلخي: شهر رجب شهر الزرع، وشهر شعبان شهر سقي الزرع، وشهر رمضان شهر حصاد الزرع، ومن لم يزرع ويغرس في رجب ولم يسق في شعبان فكيف يريد أن يحصد في رمضان؟! وقال أيضًا: مثل شهر رجب كالريح، ومثل شعبان مثل الغيم، ومثل رمضان مثل المطر.

عباد الله- أن كتاب الله وسنة نبيه فيهما الهداية والنور، وفي غيرهما ضلال وغرور، (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [طه: ١٢٣، ١٢٤].

عباد الله: إن من أعظم ما يهيب المؤمن نفسه لرمضان في شهر شعبان "يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن" فتعاهدوا -عباد الله- توحيدكم من أن ينقضه شرك أكبر أو ينقضه شرك أصغر، وطهروا أنفسكم من الشحناء والبغضاء وحزازات النفوس وغل الصدور، فإن الله تعالى يغفر في ليلة النصف من شعبان لكل عباده إلا للمشرك والمشاحن. فإياكم والإشراك بالله، لننتفد أنفسنا؛ فلعل الواحد منا مبتلى بشيء من هذه الشركيات وهو لا يدري، فالمشرك هو الذي عبد غير الله تعالى بأي نوع من أنواع العبادة؛ من دعاء أو نذر أو ذبح أو نحو ذلك من العبادات، فمن فعل ذلك فقد أشرك واستحق العقوبة، وهي عدم المغفرة والخلود في النار، قال تعالى: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء: ١١٦].

وأما المشاحن فهو المباغض والمخاصم والمقاطع والمدابر والحاقد والحاسد، فكل هذه أوصاف للمشاحن، وهي سبب لعدم المغفرة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلٌ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ. فَيَقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا " (صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري). وعن أبي ثعلبة الخشني عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله ليطلع على عباده ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمؤمنين، ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه" (رواه الطبراني، وهو في السلسلة الصحيحة).

وهي مقطعة للصلة والرحم، ومفسدة لذات البين، " فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُسَلِّمُوا، وَلَا تُسَلِّمُوا حَتَّى تَحَابُّوا، وَأَقْسُوا السَّلَامَ تَحَابُّوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْبَغْضَاءَ؛ فَإِنَّهَا هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ لَكُمْ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ " (صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري)..

فالجامع بين الشرك والشحناء أن كليهما يحلق الدين ويفسده، والفرق أن الشرك يبطل الدين فلا يبقى منه شيئاً، أما الشحناء فتتهتك وتتركه بلا روح، وإن لم تجتث أصله. فالشحناء مفسدة للدين، تحلقه، وما دخل الحسد والحقد في القلوب إلا وكان سبباً في ضعف الإيمان، وربما انتفائه بالكلية، كما حصل لإبليس لما حسد وحقد على آدم -عليه السلام-، ولذا أكد الله تعالى في التحذير من الشحناء، وذكرها في سياق التحذير من أعظم الذنوب وهو الشرك؛ لأن الشرك مفسد لعلاقة الإنسان بربه، والمشاحن مفسد لعلاقته بإخوانه المؤمنين، وإذا فسدت علاقة الإنسان بربه وبإخوانه لم يبق له من دينه شيء، فكيف يغفر الله له؟! لذلك حُرِّمَ من فضل تلك الليلة المباركة.

ألا واعلموا -رحمكم الله- أن بعض الناس يخصص يوم النصف من شعبان بالصيام، وليلتها بالقيام

وببعض الأدعية والأذكار وإنشاد بعض الأشعار، ولم يثبت ذلك كله في حديث عن النبي المختار

-صلى الله عليه وسلم-، إنما جاء في أحاديث ضعيفة أو موضوعة مكذوبة على رسول الله كما قال ابن رجب

وغيره، وكل هذا لا تقوم به حجة ولا يعمل به في الأحكام. نعم، من كان من عادته قيام الليل فلا

يترك قيام الليل في تلك الليلة، ومن كان من عادته صيام النوافل فوافق ذلك ليلة النصف من شعبان فليصم ولا يترك الصيام، وكذلك من كان من عادته أن يصوم في شعبان فليصمه اقتداءً بالنبي -
عليه وسلم-، فسيروا على هدي نبيكم الموصل إلى طريق الجنان، واجتنبوا طرق الغواية والبدع والضلال الموصلة إلى دار البوار. فيا أيها الأبرار والأخيار: استقبلوا هذا الشهر بالتوبة النصوح من الإشراف بالله ومن البدع، واستقبلوه بالاستغفار من جميع المعاصي والآثام، فرمضان عما قريب سيحل، فيا أيها المسلم: ماذا أعددت لرمضان؟! وبماذا هيأت نفسك؟! فلقد مات أقوام وولد آخرون، وسعد أقوام وشقي آخرون، واهتدى أقوام وضل آخرون، فقدّر نعمة الله عليك، واسأله أن يبلغك رمضان، وخذ أمورك بالجد. أيها المذنب: ارجع إلى ربك، أيها العاق لوالديه: أحسن إلى والديك، أيها القاطع لرحمه وجيرانه: عد لصلة أرحامك وجيرانك، شعبان يدعوك ويهتف بك أن تعال طهر نفسك، وتعاهد قلبك، انفض غبار الشقاق واتباع الهوى والانسياق وراء وساوس الشيطان، واحرص على ما ينفعك، فعمّا قليل سترتحل، وإلى الآخرة ستنتقل.

كيف نستقبل شهر رمضان؟؟؟

العناصر :-

- * من فضائل شهر رمضان .
- * من أحوال السلف في رمضان .
- * أمور نستقبل بها رمضان .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ، وَفَرَضَ عَلَيْنَا الصَّوْمَ فِي رَمَضَانَ، لِنَيْلِ الرِّضَا وَالرِّضْوَانِ، مِنْ اللَّهِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَكْوَانِ، الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ الْمَنَّانُ، وَنَشْهَدُ أَنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْعَادِلِينَ وَقُدْوَةُ الْعَامِلِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَافْتَقَى أَنْزَهُمْ وَسَارَ عَلَى دَرَبِهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ أَمَا بَعْدُ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ :- وَاعْلَمُوا مِنْهُ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الدِّينِ، وَمَا تَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَمَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ، قَالَ اللَّهُ -تعالى- :- (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [آل عمران: ١٦٤].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّنَا بَيْنَ يَدَيْ مَوْسِمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ، اخْتَصَّ اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، فَأَنْزَلَ فِيهِ خَيْرَ كُتُبِهِ عَلَى أَفْضَلِ رُسُلِهِ.

فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا صِيَامَهُ، وَسَنَّ لَنَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- قِيَامَهُ؛ إِنَّهُ شَهْرٌ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَانِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّيرانِ، فِيهِ لَيْلَةٌ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ شَهْرًا بِهَذِهِ الْمُنَابَةِ، وَمَوْسِمًا بِهَذِهِ الْمَهَابَةِ لَجَدِيرٌ بِأَنْ يَنْسَابِقَ فِي اسْتِغْلَالِهِ مُبْتَغُو الْجَنَّةِ وَطَلَّابُهَا، وَالرَّاغِبُونَ فِي الْحُورِيَّاتِ وَخُطَّابُهَا.

إِنَّ حَالَ سَلْفِنَا الصَّالِحِ فِي رَمَضَانَ -كَمَا هُوَ مَدَوَّنٌ عَنْهُمْ فِي الْكُتُبِ الْمَرْوِيَّةِ بِأَسَانِيدِ النَّقَاتِ- حَالٌ عَجِيبَةٌ، وَلَهُمْ فِيهِ مَقَامَاتٌ مَهِيْبَةٌ، إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْأَلُونَ اللَّهَ -عز وجل- أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ، وَذَلِكَ لِمَا يَعْلَمُونَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، وَالنَّفْعِ الْعَمِيمِ، ثُمَّ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ يَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يُعِينَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِ، ثُمَّ إِذَا انْتَهَى رَمَضَانُ يَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنْهُمْ، فَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ -

جل و علا:- (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) [المؤمنون: ٦٠ - ٦١].

فَكَانُوا يَجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ، ثُمَّ يَهْتَمُونَ بَعْدَ الْعَمَلِ: هَلْ يُقْبَلُ مِنْهُمْ أَمْ لَا يُقْبَلُ؟ وَذَلِكَ لِعِلْمِهِمْ بِعِظَمَةِ اللَّهِ - عز وجل-، وَبِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يُقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لِرُوحِهِ وَصَوَابًا عَلَى سُنَّةِ رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم-، فَكَانُوا لَا يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَكَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ أَنْ تَبْطُلَ أَعْمَالُهُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - جل و علا - يَقُولُ: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة: ٢٧].

إِنَّ سَلَفَنَا الصَّالِحَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ -عَلَيْهِمْ جَمِيعًا رِضْوَانُ اللَّهِ- كَانُوا يَتَفَرَّغُونَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِلْعِبَادَةِ، وَيَتَقَلَّلُونَ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا، وَيُوقِرُونَ الْوَقْتَ لِلْجُلُوسِ فِي بُيُوتِ اللَّهِ - عز وجل -، وَيَقُولُونَ نَحْفَظُ صَوْمَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحَدًا، وَيُحْضِرُونَ الْمَصَاحِفَ وَيَتَدَارَسُونَ كِتَابَ اللَّهِ - عز وجل - فَكَانُوا يَحْفَظُونَ أَوْقَاتَهُمْ مِنَ الضِّيَاعِ، وَمَا كَانُوا يُهْمِلُونَ أَوْ يُفَرِّطُونَ كَمَا عَلَيْهِ حَالُ الْكَثِيرِ الْيَوْمَ، بَلْ كَانُوا يَحْفَظُونَ أَوْقَاتَهُ، فَاللَّيْلُ فِي الْقِيَامِ وَالنَّهَارُ بِالصِّيَامِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ وَأَعْمَالِ الْخَيْرِ، فَمَا كَانُوا يُفَرِّطُونَ فِي دَقِيقَةٍ أَوْ لَحْظَةٍ مِنْهُ إِلَّا وَيُقَدِّمُونَ فِيهَا عَمَلًا صَالِحًا -أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: تَأَمَّلُوا وَتَذَكَّرُوا فَكَمْ مِنْ أَخٍ كَرِيمٍ وَقَرِيبٍ حَبِيبٍ كَانَ مَعَنَا فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي يَصُومُ وَيَقُومُ، وَلَكِنَّهُ الْآنَ حَبِيسُ التُّرَابِ، قَدْ فَارَقَ الْأَهْلَ وَالْأَصْحَابَ، فَمَنْ يَدْرِي هَلْ نَحْنُ نَبْلُغُ رَمَضَانَ أَمْ نُودِّعُ الدُّنْيَا كَمَا وَدَّعَهَا غَيْرُنَا ؟؟؟؟؟؟؟

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: إِنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ رَمَضَانَ بِأُمُورٍ قَدْ جَاءَ بِهَا دِينُنَا وَعَمِلَ بِهَا سَلَفُنَا- عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللَّهِ- فَمِنْ ذَلِكَ.

١- الدُّعَاءُ بِأَنْ يُبَلِّغَكَ اللَّهُ شَهْرَ رَمَضَانَ : فَإِذَا بَلَغْتَ رَمَضَانَ وَرَأَيْتَ الْهَيْلَالَ فَتَقُولُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ إِذَا رَأَى الْهَيْلَالَ: "اللَّهُمَّ أَهْلَهُ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ" [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٢- الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى بُلُوغِهِ : لِأَنَّهَا نِعْمَةٌ قَدْ تَجَدَّدَتْ لَكَ فَحَرِيٌّ بِكَ أَنْ تَشْكُرَ الْمُنْعِمَ الْمُتَفَضَّلَ لِيَزِيدَكَ وَيَحْفَظَهَا لَكَ، قَالَ اللَّهُ -تعالى-: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم: ٧].

٣- الْفَرَحُ وَالِابْتِهَاجُ: فَقَدْ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِمَجِيءِ شَهْرِ

رَمَضَانَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ
فَيَقُولُ: "قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ،
وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَى فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ حَرَمِ خَيْرِهَا فَقَدْ
حُرِّمَ" [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٤- عَقْدُ الْعَزْمِ الصَّادِقِ عَلَى اغْتِنَامِهِ وَعِمَارَةِ أَوْقَاتِهِ: بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَمَنْ صَدَقَ اللَّهُ صَدَقَهُ
وَأَعَانَهُ عَلَى الطَّاعَةِ وَيَسَّرَ لَهُ سُبُلَ الْخَيْرِ، قَالَ اللَّهُ:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: ١١٩].

فَأَضْمِرْ فِي نَفْسِكَ النِّيَّةَ الصَّادِقَةَ، وَالْعَزِيمَةَ الْمَاضِيَةَ لِاسْتِعْلَالِ رَمَضَانَ، ثُمَّ خَطِّطْ وَابْدَأْ مِنْ أَوَّلِ لَيْلَةٍ
فِي رَمَضَانَ وَأَبَشِّرْ بِالْخَيْرِ.

٥- تَفَقَّهُهُ وَتَعَلَّمُ أَحْكَامِ رَمَضَانَ: فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْعِلْمِ الْوَاجِبِ، وَالْمُؤْمِنُ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ،
فَلَا يُعْذَرُ بِجَهْلِ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، وَمِنْ ذَلِكَ صَوْمُ رَمَضَانَ فَيُنْبَغِي لَكَ أَخِي
الْمُسْلِمِ أَنْ تَتَعَلَّمَ مَسَائِلَ الصَّوْمِ وَأَحْكَامَهُ قَبْلَ مَحِيئِهِ، لِيَكُونَ صَوْمُكَ صَاحِبًا مَقْبُولًا عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى
- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ
مُسْلِمٍ" [رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٦- عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَقْبِلَهُ بِالْعَزْمِ عَلَى تَرْكِ الْإِتَامِ وَالسَّيِّئَاتِ وَالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ:
وَالِإِقْلَاعِ عَنْهَا وَعَدَمِ الْعُودَةِ إِلَيْهَا، فَهُوَ شَهْرُ التَّوْبَةِ فَمَنْ لَمْ يَتُبْ فِيهِ فَمَتَى يَتُوبُ؟ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -:
(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور: ٣١].

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - كَثِيرَ الْاسْتِغْفَارِ فِي كُلِّ حِينٍ فَكَيْفَ بِرَمَضَانَ؟ عَنِ الْأَعْرَبِيِّ بْنِ يَسَارِ الْمُزَنِيِّ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي
أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ" [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]. فَأَيْنَ نَحْنُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذِهِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؟

٧- الْحِرْصُ التَّامُّ عَلَى آدَاءِ الْوَاجِبَاتِ، مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالتَّكْبِيرِ لِلْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ:
وَآدَاءِ حُقُوقِ الْأَهْلِ، وَحُقُوقِ الْوُضُوفِ وَالْعَمَلِ، وَالِإِكْتِنَارِ مِنْ نَوَافِلِ الصَّلَوَاتِ وَالذِّكْرِ وَالصَّدَقَةِ
وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَأَكْثَرُ مِنْ خَتَمَاتِ الْقُرْآنِ مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَمِنْ الْخَطَا أَنْ بَعْضَ النَّاسِ

يَخْتِمُ الْقُرْآنَ مَرَّةً فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ ثُمَّ يَكُونُ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِالْقُرْآنِ، وَهَذَا مِنَ الْحَرَمَانِ وَمِنْ تَثْبِيحِ الشَّيْطَانِ، فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَاخْتِمِ الْمَرَّةَ تَلَوَ الْمَرَّةَ.

وَيَنْبَغِي كَذَلِكَ التَّخْطِيطُ لِدَرْسِ تَفْسِيرِ إِمَامٍ مَعَ الْأَهْلِ وَالْأَقْرَابِ أَوْ مَعَ بَعْضِ الْأَصْحَابِ، فَتَقْرَأُونَ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ سَعْدِيٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَوْ غَيْرِهِ مِنَ التَّفَاسِيرِ الْمَوْثُوقَةِ، وَلَوْ عَشْرَ آيَاتٍ كُلَّ لَيْلَةٍ.

وَكَمَ مِنَ النَّاسِ لَهُمْ لِقَاءَاتُ لَيْلِيَّةٌ فَلَوْ أَنَّ مُوقَفًا مِنْهُمْ افْتَرَحَ عَلَيْهِمْ دَرْسًا مُيسَّرًا فِي التَّفْسِيرِ لَحَصَلَ خَيْرٌ وَعِلْمٌ وَحَسَنَاتٌ.

٨- مِمَّا نَسْتَعِدُّ بِهِ لِاسْتِقْبَالِ رَمَضَانَ: الاستعداد لتفطير الصائمين في المساجد والبيوت: فإن هذا

عَمَلٌ صَالِحٌ؛ فَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا"

[رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ] فَتَأَهَّبْ بِتَجْهِيزِ الْمَكَانِ فِي بَيْتِكَ أَوْ فِي مَسْجِدِكَ، فَإِذَا خَالَكَ السَّرُورَ عَلَى الْفُقَرَاءِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمَحْبُوبَةِ إِلَى اللَّهِ، بَلْ إِنَّ مُجَالَسَتَكَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُسَاكِينِ وَخِدْمَتَهُمْ مِنْ أَنْفَعِ مَا يَكُونُ لِتَرْفِيقِ قَلْبِكَ وَإِسَالَةِ دَمْعِكَ وَزِيَادَةِ إِيْمَانِكَ.

٩- وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعِدَّ لَهُ طَلَبَةُ الْعِلْمِ خَاصَّةً: الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ فِي رَمَضَانَ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ مُتَعَطِّشَةٌ وَالنُّفُوسَ مُقْبِلَةٌ، فَذَكَرَ النَّاسَ بِاللَّهِ وَذَكَرَهُمْ بِفَضَائِلِ الصِّيَامِ وَعَلَّمَهُمُ الْأَحْكَامَ، وَأَبْشِرُ:

(وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مَّمَّنَ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت: ٣٣].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَمِنْ أَوْجِهِ الدَّعْوَةِ: إلقاء الكلمات وخصوصاً في الصلوات التي يجتمع فيها الناس، فكَمَ مِنَ النَّاسِ لَا يَحْضُرُونَ الْجَمَاعَاتِ إِلَّا فِي رَمَضَانَ فَهُوَ فُرْصَةٌ لِدَعْوَتِهِمْ وَرَدِّهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ.

فَتَجَهَّزْ بِإِعْدَادِ الْكَلِمَاتِ وَاحْرِصْ عَلَى الْإِخْتِصَارِ وَعَدَمِ الْإِطَالَةِ، وَالتَّرْكِيزِ عَلَى مَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَخَاصَّةً أَحْكَامَ الصِّيَامِ وَالتَّرَوِيحِ.

وَيَنْبَغِي لَكَ أَخِي إِمَامَ الْمَسْجِدِ الاستعداد وتجهيز الكتب التي تقرأها على جماعة مسجدك في العصر وبعد صلاة العشاء أو التراويح وهيء نفسك سدَّدَ اللَّهُ خُطَاكَ.

وَأَخِيرًا: فَأَكْثِرُوا مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ

جَبَلٍ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ لَهُ: "أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدَعَنَّ دُبْرَ كُلِّ

صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"

[رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ].

فَاللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ،

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا رَمَضَانَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ

وَالْمَغْرَمِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَمِنْ شَرِّ

فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

لعلكم تتقون

العناصر :-

✳️ الصيام والتقوى .

✳️ مفهوم التقوى .

✳️ أهمية التقوى .

✳️ ثمرات التقوى .

✳️ الطريق إلى التقوى .

الحمد لله الذي خصنا بشهر الطاعات، وأجزل لنا فيه المثوبة ورفع الدرجات، وَعَدَّ من صامه إيماناً واحتساباً بتكفير الذنوب والسيئات، وشرف أوقاته على سائر الأوقات، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير البريات، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والمكرامات، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المعاد، وبعد:

الصيام والتقوى:

من آثار الصيام ونتائجه وأجل معانيه وأنفعها وأعظمها تحقيق التقوى، كما بين سبحانه وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]، هذا تعليل لكتابة الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بتترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالاً لأمره واحتساباً للأجر عنده، فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه. [تفسير المنار]. والصيام طريق موصل للتقوى ومن ثم الإنتفاع والاستفادة من هداية القرآن! التقوى هي الغاية المنشودة والدرة المفقودة، وجمعت فيها خيرات الدنيا والآخرة فجعلت تحتها، وأهل التقوى هم ملوك الدنيا والآخرة، وأهل السعادة الحقيقية والشرف العظيم. **لذلك يقول بعض السلف:** لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. فالصوم سبب عظيم موصل للتقوى؛ لما فيه قهر النفس وكبح جماحها وكسر شهواتها، وامتثال أمر الله واجتناب نهيه، ولأن الصائم مُقبل بكلية على الله مستثمر لخصال الخير وأعمال البر، فتكثر الطاعة ويزيد الإيمان.

يقول ابن القيم: وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى [زاد المعاد].
فالصيام وسيلة ناجعة وطريق قصير وسبب هام ومقدمة عظيمة لتحقيق التقوى، التي تزيل الخوف والحزن وتجلب الأمان والأنس في الآخرة، والتقوى دافع للعبد لعمل الخير واجتناب الشر.

مفهوم التقوى :

فالتقوى أنفع زاد وخير لباس، ورأس كل شيء وجماع كل خير، وصاحبها أكرم الناس، ثمراتها عظيمة ونتائجها كبيرة، فالعاقبة والفلاح والنصر لأهلها، والنور ملازم لأصحابها، والنجاة يوم القيامة ودخول الجنة لمن حققها، من فرط بها ندم، ومن خالف طريقها خسر خسرانا مبينا.
والتقوى : أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه وقاية، تقيه منه.
وتقوى العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضبه وسخطه وقاية تقيه من ذلك بفعل طاعته واجتناب معاصيه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (المتقون هم الذين يحذرون من الله وعقوبته)
وقال طلق بن حبيب: (التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله. وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله)
وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ((اَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ)) (آل عمران: ١٠٢)
قال: (تقوى الله أن يُطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر).
وعرف علي بن أبي طالب رضي الله عنه التقوى فقال: هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.
فاحرص يا أخي الكريم على تقوى الله عز وجل فهو سبحانه أهل أن يُخشى ويُجل، ويعظم في صدرك

نتكلم عن التقوى لأن التقوى هي التي تصحبنا إلى قبورنا فهي المؤنس لنا من الوحشة والمنجية لنا من عذاب الله العظيم: (دخل علي رضي الله عنه المقبرة فقال: يا أهل القبور ما الخبر عنكم: إن الخبر عندنا أن أموالكم قد قسمت وأن بيوتكم قد سكنت وإن زوجاتكم قد زوجت، ثم بكى ثم قال: والله لو استطاعوا أن يجيبوا لقالوا: إنا وجدنا أن خير الزاد التقوى).

أهمية التقوى:

١- التقوى هي خير ضمانة نحفظ بها أولادنا ومستقبل أبنائنا من بعدنا : (قال تعالى)
(وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)
(النساء:٩))

٢- التقوى وصية الله للأولين والآخرين، (قال تعالى):-
(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ)) (النساء:١٣٢)).
قال القرطبي رحمه الله : الأمر بالتقوى كان عاماً لجميع الأمم، وقال بعض أهل العلم: هذه الآية هي رحي أي القرآن كله، لأن جميعه يدور عليها، فما من خير عاجل ولا آجل، ظاهر ولا باطن إلا وتقوى الله سبيل موصل إليه ووسيلة مبلّغة له، وما من شر عاجل ولا ظاهر ولا آجل ولا باطن إلا وتقوى الله عز وجل حرز متين وحصن حصين للسلامة منه والنجاة من ضرره.
فالتقوى أصلح للعبد وأجمع للخير، وأعظم للأجر، وهي الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، الكافية لجميع المهمات.

٣- التقوى وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمته (عَنِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَعَظَهُمْ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً دَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَعٌ فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبِشًا فَإِنَّهُ مِنْ يَعْشَ مِنْكُمْ فسيرى اختلافا كثيرا وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ).
(رواه الترمذى وصححه الألباني).

وكان من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- :- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ اتِّقُواهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا». (رواه مسلم).

٤- التقوى هي وصية الرسل الكرام:

((كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ))
((كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ)) (١٤١ : ١٤٢ الشعراء).
((كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ)) (١٦١ : الشعراء).

٥- التقوى وصية السلف الصالح رضوان الله عليهم: كان أبو بكر - رضي الله - عنه يقول في خطبته: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله، ولما حضرته الوفاة، وعهد إلى عمر رضي الله عنه - دعاه فوصاه بوصيته قائلاً: اتق الله يا عمر.

وكتب عمر - رضي الله عنه - إلى ابنه عبد الله: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله - عز وجل - فإنه من اتقاه وقاه، واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل: أوصيك بتقوى الله - عز وجل - التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، ولما ولي خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال: أوصيكم بتقوى الله - عز وجل - فإن تقوى الله خلف من كل سعي، وليس من تقوى الله خلف، وقال رجل لرجل أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله، والإحسان، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فيكفي المتقون شرفاً إن الله معهم برعايته وحفظه .

ومن وصايا الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ بن جبل: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب).

ما ذا نفهم من وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه بالتقوى مع أن معاذ بهذه المنزلة؟ أن المرء محتاج للتقوى ولو كان أعلم العلماء، وأتقى الأتقياء، يحتاج إلى التقوى لأن الإنسان تمر به حالات، ويضعف في حالات، يحتاج إلى التقوى للثبات عليها، يحتاج إلى التقوى للإزدياد منها. إتق الله حيثما كنت، في السر والعلانية، أتبع السيئة الحسنة تمحها، لماذا بدأ بالسيئة؟ ، لأنها هي المقصودة الآن، عند التكفير الإهتمام يكون بالسيئة، لا لفضلها، ولكن لأنها المشكلة التي ينبغي حلها. وخالق الناس بخلق حسن..، هناك أشياء بين العبد وخالقه وبينه والناس، هذه وصية جامعة. والكيس لا يزال يأتي من الحسنات بما يحو به السيئات، وليس المقصود الآن هو فعل الحسنات، وإنما كيف تكفر السيئة، لذلك بدأ بها، وإلا فقد دلّ على حسنات كثيرة في أحاديث أخرى ولم يذكر السيئة فيها، لأن المقصود تعليم الناس الحسنات، لكن هنا المقصود تعليم الناس كيفية تكفير السيئة.

٦- التقوى هي أجمل ملابس يتزين به العبد:

((يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ)) (٦٢):
(الأعراف).

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى *** تقلب عريانا وإن كان كاسيا .
وخير لباس المرء طاعة ربه *** ولا خير فيمن كان لله عاصيا .

٧- التقوى هي أفضل زاد يتزود به العبد، قال - تعالى - :
(وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)) (البقرة : ١٩٧)
وفي دعاء السفر يقول: ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى))
(رَوَاهُ مُسْلِمٌ)...

ثمرات التقوى:

إن تقوى الله - سبحانه و تعالى - إذا استقرت في القلوب وارتسنت بها الأقوال والأعمال والأحوال
أثمرت وأعقبت من الفضائل والفوائد والثمار شيئاً كثيراً به تصلح الدنيا والآخرة دار القرار وما
يشحذهم أولي الأبصار إلى صراط العزيز الغفار.

إن من فوائد التقوى وثمارها أنها سبب لتيسير العسير قال الله - تعالى - :
(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)) (التغابن)

تقوى الله - تعالى - سبب لتفريج الكرب وإيجاد المخارج والحلول عند نزول الخطوب وهي
سبب لفتح سبل الرزق قال الله - تعالى - : ((مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ)) (الطلاق)

تقوى الله سبب لنجاة العبد من الهلاك والعذاب والسوء قال - تعالى - :

((وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (الزمر : ٦١)
سبب لتكفير السيئات ورفع الدرجات والفوز بالغرف والجنات قال - تعالى - :
(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا)) (الطلاق : ٥)

تقوى الله - تعالى - من أعظم ما استنزلت به الخيرات واستدفعت المكروهات. قال الله - تعالى - :
(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (٩٦ : الأعراف).

التقوى سبب في توفيق العبد في الفصل بين الحق والباطل ومعرفة كل منهما قال تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)) (سورة الأنفال)

وقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ)) (سورة الحديد)

التقوى سبب لعدم الخوف من ضرر وكيد الكافرين: قال تعالى :

((وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَّا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)) (سورة آل عمران)

التقوى سبب لنزول المدد من السماء عند الشدائد ولقاء الأعداء: قال - تعالى -
 ((وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (١٢٣ :سورة آل عمران)
 التقوى سبب لتعظيم شعائر الله: قال تعالى ((وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ))
 (سورة الحج)

التقوى سبب لنيل رحمة الله: وهذه الرحمة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة: قال تعالى
 (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)
 (سورة الأعراف).

التقوى سبب للإكرام عند الله : قال تعالى ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))
 (سورة الحجرات)

التقوى هي الميزان عنده في التفاضل بين الناس : فقال عز وجل ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ
 اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) سورة الحجرات وسئل النبي صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس؟ من أرفعهم حسباً؟ فقال: الكريم
 بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، قالوا ليس عن هذا
 نسأل، بين لهم بعد ذلك فقال عندما سئل من أكرم الناس؟ قال: ((أتقاهم لله)) (رواه البخاري)
 فالفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب للقبائل ولذلك .

فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ *** وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب .
 إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى *** تقلب عرياناً ولو كان كاسياً .
 وخير لباس المرء طاعة ربه *** ولا خير فيمن كان لله عاصياً .
 وذكر أن سلمان رضي الله عنه كان يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه *** إذا افتخروا بقيس أو تميم .
 التقوى سبب للفوز والفلاح: قال تعالى ((وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْفَائِزُونَ))

التقوى سبب للنجاة يوم القيامة من عذاب الله: قال - تعالى -
 ((وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا))
 (سورة مريم) وقال ((وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)) (سورة الليل). إنها سبب لقبول الأعمال: قال - تعالى -
 ((إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)) (سورة المائدة).

التقوى سبب قوي لميراث الجنة : قال - تعالى

(تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) (سورة مريم)

إن المتقين لهم في الجنة غرف مبنية من فوقها غرف: قال تعالى ((لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ)) (سورة الزمر: ٢٠)

وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَدَامَ الصِّيَامَ وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ) (رواه الترمذي وحسنه الألباني)..

إنهم بسبب تقواهم يكونون فوق الذين كفروا يوم القيامة: في محشرهم، ومنشرهم، ومسيرهم، ومأواهم، فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين؛ قال - تعالى - ((زِيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (سورة البقرة: ٢١٢).

إنها سبب في دخولهم الجنة: وذلك لأن الجنة أعدت لهم، قال تعالى

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ))

(آل عمران : ١٣٣) وقال تعالى :

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ)) (المائدة: ٦٥).
إن التقوى سبب لتكفير السيئات والعتق عن الزلات: قال - تعالى - ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا)) (الطلاق: ٥) وقال تعالى ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ)) (المائدة: ٦٥).

التقوى سبب لنيل ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين: قال - تعالى - ((جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ)) (النحل: ٣١).

التقوى سبب لعدم الخوف والحزن وعدم المساس بالسوء يوم القيامة: وقال - تعالى

((أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ))

(سورة يونس : ٦٣) إنهم يحشرون يوم القيامة وفدًا إليه والوفد هم القادمون ركبًا، وهو خير

موفود، قال - تعالى - ((يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا)) (مريم: ٨٥)

إِنَّ الْجَنَّةَ تَقْرِبُ لَهُمْ: قَالَ تَعَالَى ((وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ)) (الشعراء : ٩٠)

وقال تعالى ((وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ)) (ق : ٣١).

إِنَّ الْمُتَّقِينَ تَضَاعَفَ أَجُورُهُمْ وَحَسَنَاتُهُمْ: كَمَا قَالَ - تَعَالَى

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ

بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) (الحديد: ٢٨).

الطريق إلى التقوى :

أولاً أن تحب الله أكثر من أي شيء.

ثانياً أن تستشعر مراقبة الله دائماً.

ثالثاً أن تعلم عاقبة المعاصي.

فتأمل مافي الذنوب من الآلام والمصائب ؛ ولو كان فيها لذة..

تفنى اللذائة ممن نال لذتها *** من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها *** لاخير في لذة من بعدها النار

رابعاً أن تتعلم كيف تقاوم هواك وتتغلب عليه.

خامساً أن تدرك مكائد الشيطان و وساوسه .

(فضائل شهر رمضان)

العناصر :-

- * تفاضل الناس والأماكن والأزمنة .
- * الفضائل الحسان لشهر رمضان .

الحمد لله رب العالمين .. اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان ، ولك الحمد أن جعلتنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد أيها المسلمون :

ونحن مقبلون على شهر الصوم ، شهر الرحمة والمغفرة ، شهر البر والإحسان ، شهر الفوز بالجنة والعتق من النيران ، ما أوجبنا أن نذكر أنفسنا بفضائل شهر رمضان ، فقد اقتضت حكمة الله تعالى تفضيل بعض الناس على بعض ، وبعض الأماكن على بعض ، وبعض الشهور على بعض ، ومن هذه الأشهر التي فضلها

شهر رمضان ، فهذا الشهر الكريم له فضائل وخصائص تميزه عن غيره من الشهور ، ومن هذه الفضائل والخصائص التي اختص بها شهر رمضان المبارك عن غيره من الشهور ما يلي .

١- شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنة :

ففي مسند أحمد وعند النسائي (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « هَذَا رَمَضَانُ قَدْ جَاءَ تَفْتُحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ وَتُسَلَّسَلُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ » (صحيح الجامع الصغير)

٢- فضل أول ليلة في صيام رمضان :

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ » .الترمذي(صحيح الترغيب والترهيب)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-

« قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ أَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ فِيهِ لَيْلَةٌ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ »
(رواه أحمد صحيح الجامع)

٣- الصيام في رمضان تفتح له أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد الشياطين :

ففي صحيح البخاري (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُحَّتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ ، وَسُلِّسَتْ الشَّيَاطِينُ » قَالَ الإمام النووي رحمه الله : وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصدفت الشياطين) فقال القاضي عياض رحمه الله : يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته وأن تفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب جهنم وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمةه ويكون التصفيد ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتهويش عليهم وقال: **ويحتمل** أن يكون المراد المجاز ويكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغواؤهم وإيذاؤهم ليصيروا كالمصفيدين ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء ولناس دون ناس ويؤيد هذه الرواية الثانية فتحت أبواب الرحمة وجاء في حديث آخر صدفت مرده الشياطين .

قال القاضي عياض: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحها الله تعالى لعباده من الطاعات في هذا الشهر التي لا تقع في غيره عموماً كالصيام والقيام وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير من المخالفات وهذه أسباب لدخول الجنة وأبواب لها وكذلك تغليق أبواب النار وتصفيد الشياطين عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات ومعنى صدفت غللت وقيدت .

٤- شهر رمضان وصيامه يكفر الذنوب:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَقُولُ « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ » (رواه مسلم) .
قال الإمام المناوي رحمه الله :

(الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان) أي صلاة الجمعة منتهية إلى الجمعة وصوم رمضان منتهياً إلى صوم رمضان (مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) شرط وجزاء دل عليه ما قبله ومعناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فلا تغفر حتى يتوب مرتكب الكبيرة من هذه الكبيرة فالدنوب تغفر ما لم تكن كبيرة وعن أبي هريرة : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ارْتَقَى الْمِنْبَرَ فَقَالَ : « آمِينَ آمِينَ آمِينَ » . فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا؟ فَقَالَ :

« قَالَ لِي جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَلَمْ يُعْفَرَ لَهُ فَقُلْتُ آمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَقُلْتُ آمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ وَالِدِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ فَقُلْتُ آمِينَ » سنن البيهقي وصحيح ابن حبان (صحيح الأدب المفرد) .

٥- العمرة في رمضان ثوابها مضاعف:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » [متفق عليه]

والعمرة في رمضان أعظم منها في غيره، وقد جاء في الصحيحين عن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ حَجَّتِهِ، قَالَ لِأُمَّ سِنَانِ الْأَنْصَارِيَّةِ: مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ؟ قَالَتْ: كَانَ لَنَا نَاضِحَانِ، فَرَكِبَ أَبُو فَلَانٍ - تَعْنِي: زَوْجَهَا - وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالْآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا، قَالَ: فَإِذَا كَانَ رَمَضَانَ اعْتَمِرِي فِيهِ، فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حِجَّةً مَعِي» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ]

فيا له من فوزٍ عظيم أن يكون المعتمر في رمضان كمن حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكمن صحبه في إحرامه وفي طوافه وفي سعيه وفي كل مناسكه .

قال الإمام المناوي رحمه الله:

قوله صلى الله عليه وسلم : (عمرة في رمضان تعدل حجة) في الثواب لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتماد لا يجزى عن حج الفرض .

٦- ومن فضائل رمضان وخصائصه نزول القرآن الكريم في شهر رمضان :

قال الله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (البقرة ١٨٥) .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله :

يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنزِلَتِ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضِينَ مِنْ رَمَضَانَ وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ » (السلسلة الصحيحة) .

٧- ومن فضائل رمضان وخصائصه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر:

قال تعالى :

((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)))
(سورة القدر) .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } : بين فضلها وعظمتها، وفضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل. وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في ألف شهر وقال كثير من المفسرين : أي العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

وقال أبو العالية : ليلة القدر خير من ألف شهر لا تكون فيه ليلة القدر .

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله : يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل: { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ }

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تعالى معظماً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن فيها فقال:

{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ }

وعن أنس بن مالك قال دخل رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - « إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ وَفِيهِ لَيْلَةُ خَيْرٍ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ ».

(سنن ابن ماجه صحيح الترغيب والترهيب) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (ليلة خير من ألف شهر) أي العمل فيها أفضل من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر (من حرم) والمحروم الممنوع أي من منع خيرها بأن لم يوفق لإحياء العبادة فيها (فقد حرم) أي منع الخير كله كما سيجيء صريحاً ففيه مبالغة عظيمة.

والمراد حرمان الثواب الكامل أو الغفران الشامل الذي يفوز به القائم في إحياء ليلها .

٨- ومن فضائله وخصائصه صلاة التراويح :

أجمع المسلمون على سنوية قيام ليالي رمضان ، وقد ذكر النووي أن المراد بقيام رمضان صلاة

التراويح يعني أنه يحصل المقصود من القيام بصلاة التراويح .

ففي صحيح البخاري (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا

وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » وقوله ﷺ (من قام رمضان إيماناً): أي تصديقاً بأنه حق

معتقداً فضيلته ، واحتساباً يريد به الله وحده لا رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص غفر له ما تقدم من ذنبه •

والمعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر •

وقال الإمام النووي رحمه الله : قوله: (من قام رمضان) هذه الصيغة تقتضي الترغيب والندب

دون الإيجاب واجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب •

وقال الإمام ابن بطال رحمه الله : وفي جمع عمر الناس على قارئ واحد دليل على نظر الإمام

لرعيته في جمع كلمتهم وصلاح دينهم •

وفيه: أن قيام رمضان سنة لأن عمر لم يسن منه إلا ما كان رسول الله يحبه ، وقد أخبر عليه

السلام بالعلة التي منعه من الخروج إليهم ، وهي خشية أن يفترض عليهم ، وكان بالمؤمنين

رحيمًا ، فلما أمن عمر أن يفترض عليهم في زمانه لانقطاع الوحي ؛ أقام هذه السنة وأحياها ،

وذلك سنة أربع عشرة من الهجرة في صدر خلافته .

رمضان شهر التوبة

العناصر :-

- * مغفرة الذنوب في رمضان .
- * شروط التوبة إلى الله تعالى .
- * أسباب المغفرة في رمضان .
- * وصايا في التوبة .

إن شهر رمضان سُمي بذلك لمعانٍ عدة؛ منها: أن شهر رمضان ترمُض فيه الذنوب وتُحترق، قال القرطبي رحمه الله: قيل: إنه سُمي رمضان؛ لأنه يرمُض الذنوب؛ أي يُحرقها بالأعمال الصالحة، وحيث إن الأمر كذلك، فإن التوبة في هذا الشهر أيضًا تُحرق الذنوب وتُحوها، فيكون التائب خالصًا من الذنب، وذلك فضل الله تبارك وتعالى يؤتيه من يشاء

يا أيها المسلم :

ها هو الله سبحانه يعاتبنا فيقول : { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ } [الانفطار: ٦]. نعم أيها الإنسان ما الذي غرَّك بربك حتى تجرأت على معصيته وتعديت حدوده ؟ أهو تجهل لنعمة الله؟! أم نسيان لرقابته وعظمته؟!!

أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً *** على المعاصي وعينُ الله تنظرني .

ما أحلم الله عني حين أمهاني *** وقد تماديت في ذنبي ويسترني .

أخي .. لا تنظر إلى صغر الخطيئة .. ولكن انظر إلى عظمة من عصيت . أخي .. لا تجعل الله

أهون الناظرين إليك ها أنا أقدم لك بشرى من ربك تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [الفرقان ٦٨: ٧٠].

يا له من فضل عظيم ، ويا له من مكسب كبير ، يبدل الله جميع سيئاتك حسنات ... الله أكبر ! إنه لا يفرط في هذا المكسب إلا جاهل أو زاهد في الفضل .

إذا فنتب – أخي الحبيب – إن أردت هذا المكسب العظيم : { يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } .

ثم استمع إلى ما قاله حبيبك صلى الله عليه وسلم تشجيعاً للتوبة :

(عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَنْ أَشُدَّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ رَاحِلَتُهُ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيَسَ مِنْهَا فَآتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ فَاخَذَ بِخَطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ) [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

اعلم أن لهذه التوبة شروطاً لا بد من وجودها هي :

- الندم على ما وقع فيه من الذنوب .
- الإقلاع عن الذنب.
- العزم على عدم الرجوع ، فإن عدت إليه فكرر التوبة إلى الله ... ولكن ليكن عزمك صادقاً.
- أن تكون التوبة قبل الغرغرة وقبل خروج الشمس من مغربها.

وروى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ (قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم -

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ)
من لم يغفر الله له في رمضان فمتى سيغفر الله له؟

ومن لم يحقق الأسباب الجالبة للمغفرة فماذا يرجو من ربه بعد ذلك؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :

(رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانٌ فَأَنْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ)

(أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه الألباني) والمعنى -والله أعلم- ذلَّ أنفُ رجلٍ ودُسَّ في الرِّغام -وهو التراب- دخل عليه رمضان ولم يُغفر له فيه..

ولخطورة الأمر نجدُ الله -تعالى- نَوْعَ أسبابِ المغفرة في رمضان، من أجل أن يغفر ذنوبَ العباد خلال هذا الشهر.

أسباب المغفرة في رمضان:

١ -الصيام بالنهار إيماناً بالله، وامتثالاً لأمره، واحتساباً للأجر والثواب من عند الله تعالى، ففي

الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم -

(مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)

٢- القيام بالليل إيماناً بالله واحتساباً للأجر من عند الله، لا لرياءٍ ولا لسمعةٍ ولا لدنيا ولا

لصحةٍ، وإنما طلباً للثواب من الله جلّ وعلا قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عليه وسلم

« مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » متفق عليه.

٣- قيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً؛ لأنها ليلة خيرٍ من ألف شهر؛ من حُرِّمَ خيرها فقد حُرِّمَ؛ قال

عليه الصلاة والسلام: « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » متفق عليه.

٤- الصدقة، وهي من القربات العظيمة، التي تطهر المال، وتدفع البلاء، وتكفر السيئات؛

قال تعالى: {وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الأحزاب: ٣٥]

فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكَلَّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

تُرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ فَيَنْظُرُ أَيَّمَنْ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

[مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ] وقد كان رسولنا -عليه الصلاة والسلام- أجودَ الناس، وأجودَ ما يكون في رمضان؛ حين يلقاه جبريل، إذ كان أجودَ من الريح المرسلة.

ومن أجلّ أعمال الصائم: تفتير الصوام؛ ففي الحديث: « مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا » [رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني].

٥- العُمرة؛ فهي مما يكفر الذنوب، ويطهر القلوب؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » [متفق عليه]

والعمره في رمضان أعظم منها في غيره، وقد جاء في الصحيحين عن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمَا «لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ - عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ حَجَّتِهِ، قَالَ لِأُمَّ سِنَانِ الْأَنْصَارِيَّةِ: مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ؟

قَالَتْ: كَانَ لَنَا نَاضِحَانِ، فَرَكَبَ أَبُو فَلَانٍ - تَعْنِي: زَوْجَهَا - وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالْآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا، قَالَ: فَإِذَا كَانَ رَمَضَانَ اعْتَمِرِي فِيهِ، فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حِجَّةً مَعِي»

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ]

فيا له من فوزٍ عظيم أن يكون المعتمرُ في رمضان كمن حج مع رسول الله ﷺ - عليه وسلم ، وكمن صحبه في إحرامه وفي طوافه وفي سعيه وفي كل مناسكه.

٦- **الدعاء في الأوقات الفاضلة من هذا الشهر الكريم**، وخصوصاً ليلة القدر؛ فقد سميت بذلك لعظم قدرها، وجلالة مكانتها عند الله، ولكثرة مغفرة الذنوب وستر العيوب بها، فهي بحق ليلة المغفرة.

وقد ورد في فضل الدعاء فيها أن عائشة قالت قلت يا رسول الله أرأيت إن علمتُ أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها قال ((قولي اللهم إنك عفوٌ كريمٌ تحبُّ العفو فاعفُ عني)) [رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني]
وصايا في التوبة :

الوصية الأولى: إن من أسماء الله تعالى (الغفور والغفار) ، وهما صيغة مبالغة، ومعنى ذلك أنه كثيرُ المغفرة، كيف وقد حثَّ عباده على الاستغفار! فعلينا جميعاً بكثرة الاستغفار، فما أسهله وأخفه وأعظمه وأجله! وليس هو عسيراً، ولكنه توفيق لقوم وحرمان لآخرين، فاجعل لك مع الاستغفار منهجية ترتبها لنفسك كثيراً ومستثمراً!

الوصية الثانية: إن شهر رمضان المبارك له خصوصية في المغفرة، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً، عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)(رواه البخاري) فكيف إذا انضم إلى هذا المكفرات الأخرى كقيام رمضان وقيام ليلة القدر - فإن المغفرة تكون متتابعة عليك، بل كيف إذا انضم إلى هذا التوبة والرجوع إلى الله تعالى، فإن الصحيفة ستكون بيضاء نقيّة بإذن الله تبارك وتعالى، فاحرص على جمعها في هذا الشهر المبارك بارك الله فيك!
الوصية الثالثة: إن هذه المكفرات للذنوب قد تكون على الصغائر كما يقوله بعضهم، ولكن اجعل لك شيئاً يُحرق الكبائر ويُزيلها ويمحو أثرها، وذلك يكون بالتوبة من تلك الكبائر؛ فشهر رمضان فرصة عظيمة للتنقية من الذنوب والسيئات كبيرها وصغيرها، وكم هي نعمة كبرى؛ حيث فتح الله تعالى لعباده باب التوبة، فيغفر لهم بتوبتهم فاسع إلى التوفيق باستثمار ذلك المجال.

الوصية الرابعة: إن كثرة الاستغفار هو سياج لهذه التوبة بأن تكون نصحاً وصادقة ولا يتخللها الشقوق؛ فإن الاستغفار المتتابع بعدها هو من المحافظة عليها.
الوصية الخامسة: إن الأسباب في شهر رمضان مهياً للتوبة والرجوع؛ وذلك لأن الشياطين مُصدفةٌ والأعمال الصالحة قائمة، والجو الإيماني كبير، فإن هذه وأمثالها فُرص عظيمة إلى أن يحاول المسلم أن يتصفح أعماله وأقواله وسلوكه، فيأخذ ما كان حسناً منها، ويترك ما كان سيئاً بالتوبة الصادقة، فإن هذا خيرٌ له من بقائه تتراكم عليه الذنوب والسيئات، فيندم حين لا ينفع الندم!

الوصية السادسة: إن الله تعالى رحيمٌ ولطيفٌ وودودٌ وِعَفُوٌّ وتوابٌ وِغَفُورٌ وِغَفَارٌ وِحَلِيمٌ، فأين صاحب المعصية من هذه الأسماء الحسنى؟! كيف لا تؤثر فيه وهو يعلمها ويقروها ويحفظها وهو مع ذلك شديد العقاب وعذابه أليم؟! فاستثمار ذلك بالتوبة هو عين العقل والحكمة والرشد، بخلاف مَنْ استمر على معاصيه ولم يرفع بذلك رأسًا، فإنه على خطر إن لم يعفُ الله عنه!

الوصية السابعة: هل تعلم أن توبتك تعني محبة الله لك، وأنت تسعد عندما يُحبك كبار القوم، فكيف إذا أحبك الله، والله المثل الأعلى، وحينها سيُغدق عليك بالخيرات المتنوعة والتوفيق المتتابع؛ قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة: ٢٢٢)، فستكون بعد ذلك من قوم يحبهم ويحبونه وحينها يا بشراك!

الوصية الثامنة: قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل؛ حتى تطلع الشمس من مغربها) [رواه مسلم].
فما موقفك وأنت تقرأ أو تسمع هذا الحديث، اليد مبسوطة في كل ليل وفي كل نهار، فلماذا ذلك العاصي لا يُقبل على هذا البسط ويستثمره؟! فإن الأمر قد يتغير فجأة بموتٍ أو عقوبة أو غيرها، فليتق الله أولئك المخالفون، وليستثمروا بسط الله يده لهم إن كانوا يعقلون!

الوصية التاسعة: إن من المبشرات للتائب أن تلك السيئات التي تحملها خلال ما سلف من الوقت، ستُقلَّب إلى حسنات، وذلك فضلٌ عظيمٌ من الله تبارك وتعالى على عباده، فملايين السيئات ستكون ملايين من الحسنات، أو أن توفَّق لحسنات مثلها، فشيء هذا ربحه وهذه عاقبته: هل يتأخر عنه عاقل أو مُنصف؟ واحذر أن يُضيع عليك الشيطان تلك الفرص بتسويل أو وسوسة في إغفالك عن هذا وأمثاله.

الوصية العاشرة: ماذا لو مات هذا العاصي على معصيته، فماذا يتمنى؟ لا شك أنه يتمنى أن يرجع ليتوب، فما دام هذا هو الواقع، وهو تمنى الرجوع، فأنت الآن في زمن الإمهال، فلا تنتظر حتى يحصل ما لأجله تتمنى الرجوع، فإن الإنسان له عقل يعرف فيه منافعه ومضارّه!

الوصية الحادية عشرة: لا تقنط مهما كثرت معاصيك وسيئاتك، فإن الله تعالى يُنادينا جميعًا قائلًا: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٥٣)، فنداء يتبعه بشرى وبشرى يتبعها نتيجة عظيمة، وهي مغفرة الذنوب جميعًا، فأين العصاة من هذه الآية؟!

الوصية الثانية عشرة: كما أن الله تعالى يُحبك إذا تُبّت، فهو أيضاً يفرح بتوبتك، وهو الغني عنك، فكيف تقول بفرح رجلٍ معه ناقته وعلينا طعامه وشرابه وهو في صحراء قاحلة ثم ضلت عنه وضاعت، ثم جلس عند شجرة ينتظر الموت جوعاً وعطشاً فنام، فلما استيقظ من شدة الجوع والعطش رأى راحلته قائمةً عند رأسه، فلا شكَّ أن فرحه شديد، والله إن فرح الله بتوبة عبده أشد من فرح هذا بناقته!

الوصية الثالثة عشرة: كافيك أن من آثار التوبة كثرة الحسنات التي يُوفَّق إليها التائب بعد توبته، فهو أثر عظيم وتوفيق من الله تبارك وتعالى للتائب، فما أعظمه من أثر وعطاء جليل!
الوصية الرابعة عشرة: اجعل من أهدافك في رمضان توبتك من ذنوبك؛ لتكون صحيفتك فيه وفي غيره بيضاء نقيّة، فتسعد دنيا وآخره!

الوصية الخامسة عشرة: احرص على شروط التوبة الصادقة، وهي العزم على ألا تعود، والإقلاع عن المعصية وتركها، وإن صاحب ذلك تأنيب الضمير والندم على ما مضى، فهو حسنٌ؛ فإنك بهذا تكون توبتك صادقةً ونصوحاً!

الوصية السادسة عشرة: إذا تُبّت من الذنب التوبة الصادقة، ثم سؤل لك الشيطان فعدت إلى المعصية مرةً أخرى، فثب توبةً ثانيةً للعمل الآخر، فإن العمل الأول له توبته، والعمل الثاني يحتاج إلى توبة، واجعل الشيطان هو المغلوب، فلا تبيس ما دامت توبتك نصوحاً وصادقةً.
الوصية السابعة عشرة: إن التوبة هي ليست للعاصي فقط، بل هي للعاصي والمطيع؛ حيث

يُنَادِينَا اللهُ تَعَالَى جَمِيعًا بِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

(النور: ٣١)، فليس الإنسان المطيع معصوماً، فلنلهج بالتوبة جميعاً والاستغفار كثيراً؛ لنفلح

وننجح!

الوصية الثامنة عشرة: ادعُ الله تعالى كثيرًا أن يوفِّقَكَ للتوبة والثبات عليها، فإن التوفيق لها

رحمةٌ من الله تبارك وتعالى عليك، وإحسان ومحبة وفضل، فاطمع في هذا كثيرًا ؛ لعلك تُوفِّق

إليه!

الوصية التاسعة عشرة: احذر أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم:

(وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) (الفرقان: ٢٧)، فإنك الآن

تخوض في الفرصة أو تتفياً ظلالها، فلا تفنك؛ فإن الأمر يأتي على غرّة وفجأة، والأمور تتغير

بالليل والنهار، فاحسب لهذا حسابه!

الوصية العشرون: إن من أسماء الله تعالى التواب، وهو صيغة مبالغة؛ أي: كثير التوبة، فاستثمر

ذلك تائبًا ومُنيبًا، وإنك عندما تكون كذلك، فإنك إنما تسعى لنفع نفسك، فهل من مدكر؟

رمضان شهر الانتصارات والفتوحات ..

العناصر:-

✳رمضان شهر النشاط والمجاهدة وليس الدعة والكسل .

✳فتوحات وانتصارات وقعت في رمضان .

✳صور من جهاد وتضحية السلف الصالح .

الحمد لله رب العالمين .. اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان ولك الحمد أن جعلتنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ثم أما بعد .. أيها المسلمون :

هناك أمر غفل عنه الناس في رمضان ألا وهو عدم استشعارهم أن رمضان شهر الصبر والمصابرة، والجهاد والمجاهدة، والفتوحات و الانتصارات ، فنجد الكثير من المسلمين إذا دخل رمضان اتخذوه فرصة للراحة، فتجدهم يقضون ليلهم في السهر الذي قد يكون أحيانا على ما يغضب الله من النظر إلى فضائيات الشر وتدمير الفضيلة، أو النظر إلى الصور الخليعة، وقراءة المجلات الهابطة، أو اللعب بتلك الألعاب التي فيها القمار وما أشبه ذلك، ويقضون نهارهم في النوم وتضييع الصلوات، وإهدار الأوقات، وربما استدل بعض الغافلين على جواز فعله ذلك بقوله: "نوم الصائم عبادة!!" أيكون - بالله عليكم- تضييع الصلوات عبادة، كيف انقلبت الموازين؟ كيف صار بعض الناس يعتقد أنه يعبد الله بما حرم الله؟! إن هذا لهو العجب العجاب، ونسي أو تناسى هؤلاء أن رمضان شهر الجهاد والمجاهدة، والصبر والمصابرة، والفتوحات و الانتصارات ، وأن في رمضان كانت كثيرٌ من المعارك الشهيرة بين المسلمين والكفار، ففي رمضان كانت **غزوة بدر الكبرى** التي فرق الله بها بين الحق والباطل؛ كما قال -عز وجل-

(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٤١ : الأنفال). - قال عروة بن الزبير في قول الله: - يَوْمَ الْفُرْقَانِ (يوم فرق الله بين الحق والباطل، وهو يوم بدر، وهو أول مشهد شهده رسول الله، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة، فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً، والمشركون ما بين الألف والتسع مائة، فهزم الله يومئذ المشركين، وقتل منهم زيادة على سبعين، وأسر منهم ؛ ففي هذه المعركة كما سمعتم نصر الله المسلمين قليلي العدد والعدة على

الكافرين كثيري العدد والعدة قال الله -تعالى-: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (آل عمران: ١٢٣).

أيها الصائمون: وفي رمضان من السنة الثامنة من الهجرة كان **فتح مكة** الذي بشر الله به محمداً وقال -ممتناً عليه-:

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا) (الفتح ١: ٣)، ففتح الله لرسولنا محمد -

صلى الله عليه وسلم - القلوب بنزول القرآن في رمضان، وفتح له مكة التوحيد بالجهاد في رمضان، وفي هذه الغزوة انتصر الإيمان، وعلا القرآن، وفاز حزب الرحمن، ودحر الطغيان، وكسرت الأوثان، وخاب حزب الشيطان. وفي رمضان أيضاً كانت معركة **عين جالوت** التي أعز الله فيها المسلمين بقيادة الملك المظفر قطز، وأخزى التتر الملحدين بقيادة هولاء المغولي، وكسر شوكتهم، ولم تقم لهم بعدها قائمة. وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عام (٦٥٨هـ).

وفي رمضان يوم السبت الأول من رمضان من عام (٧٠٢هـ) كانت **موقعة شقحب**، واستمرت إلى اليوم الثاني بين التتار والجيوش الإسلامية، وشارك فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، وكانت الغلبة فيها للمسلمين. قال ابن كثير -رحمه الله-: وحرّض -أي ابن تيمية- السلطان على القتال وبشّره بالنصر، وجعل يحلف له بالله إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. وأفتى الناس بالفطر مدة قتالهم، وأفطر هو أيضاً، وكان يدور على الأمراء، فيأكل من شيء معه في يده، ليعلمهم أن إفطارهم ليتقوا على القتال أفضل، فيأكل الناس .

إخواني في الله: ونحن نسمع عن جهاد المسلمين في رمضان، وما حققوه من انتصارات عظيمة، وفتوحات باهرة، نرى كثيراً من المسلمين اليوم قد وهنت نفوسهم، وضعفت عزائمهم، وخارت قواهم، وغرس حب الدنيا وكرهية الموت في قلوبهم، فهم يسرحون ويمرحون، ويتابعون المسلسلات والمهيات في شهر الجهاد و الانتصارات والفتوحات التي حققها أسلافنا وأجدادنا. ونرى البعض منهم يقضي نهاره في النوم والكسل، وليله في الإفراط في تناول الطعام والشراب، ومشاهدة الأفلام والمسلسلات، والسهر على المحرمات. ونرى فئة أخرى فهمت أو ظنت أن رمضان فرصة للإكثار من العمل للدنيا، واللهث وراء جمع حطامها الفاني، فنرى الأسواق في رمضان مزدحمة، والباعة أصواتهم بالتهريج مبحوحة، والنساء إلى الأسواق متوجهات، وللرجال مزاحمات، ولأطفالهن مضيعات، ولأزواجهن وخالقهن مسخطات، ومع هذا كله نريد ونتمنى -أيها المسلمون- من الله نصراً، ويتساءل البعض منا لماذا لم ينصرنا الله، ولماذا سلط الله علينا أحقر

خلقه من اليهود وملل الكفر المختلفة؟ ولماذا صرنا في مؤخرة الركب بعد أن كنا في المقدمة؟ ولماذا ولماذا؟ أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابة. وللإجابة عنها نقول: إن الله قد وعدنا بالنصر والتمكين، وهو لا يخلف الميعاد، وهو أصدق القائلين، وأحكم الحاكمين، قال -تعالى-: (وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم : ٤٧). وقال: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ) (الروم : ٤٧).

وقال: (وَآلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ) (الصافات ١٧١: ١٧٣). وقال: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور : ٥٥). ولكن النصر لن يكون حتى نصر دين الله، فنمثل أوامر الله، ونجتنب نواهيه، ونحرم حرامه، ونحل حلاله، ونفرده بالعبادة والطاعة، ونتحاكم إليه في كل شؤون حياتنا، حينها ينصرنا الله، (إِنْ تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصُرْكُمْ) (محمد: ٧). (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ) (الحج : ٤٠). (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر: ٥١). ولذلك لما قام الصحابة بنصرة هذا الدين، وإعلاء كلمة التوحيد، وقاموا بمقتضياتها وشروطها، وحافظوا على فرائض الله، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وجاهدوا في سبيل الله، وطبقوا شرع الله في أرضه، وحكموا بين الناس بالعدل.. نصرهم الله على عدوه وعدوهم، ومكنهم في الأرض واستخلفهم فيها، فلم يأت هذا النصر بالأمني، وإنما تحقق بالقيام بنصرة الدين.. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين..

إخوة الإسلام :

إن المتأمل في أحداث شهر رمضان عبر التاريخ الإسلامي سيجد أمورًا عجيبة، هذه الأمور ليست مصادفة، وكل شيء عند الله عز وجل بمقدار، سيجد أن المسلمين ينتقلون كثيرًا من مرحلة إلى مرحلة أخرى في شهر رمضان، من ضعف إلى قوة، ومن ذل إلى عزة. ومن ضيق إلى سعة وقد ارتبط شهر رمضان بالجهاد بشكل لافت للنظر، حتى آيات الصيام في سورة البقرة - بدايةً من قول الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } [البقرة: ١٨٣] إلى آخر الآيات- تنتهي في ربع من القرآن، ثم يبتدئ ربع جديد، وثاني آية فيه تتحدث عن الجهاد والقتال، وهي آيات كثيرة تحضُّ على الجهاد، يقول ربنا عز وجل:

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاقْتُلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٩٠-١٩٣].

لماذا تكون أول غزوة في رمضان؟ لماذا أول صدام حقيقي مع المشركين يكون في رمضان؟ لماذا هذا الانتصار الباهر الهائل يكون في رمضان؟ لماذا لا يكون في أي شهر؟! اعتبر هذا رسماً لسياسة الأمة وتخطيطاً لمستقبلها، فأمة لديها شهر تستطيع أن تُغَيِّرَ فيه نفسها تماماً، أن تبني نفسها، أن تنتقل من مرحلة إلى مرحلة؛ يقول ربنا سبحانه: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ...}. وأنتم ماذا؟ {وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} [آل عمران: ١٢٣].

لقد تغير المسلمون تماماً بعد موقعة بدر، فبعد بدر أصبحت للمسلمين دولة معترف بها، أصبحت لهم شوكة قوية ومكانة ووضع مستقر؛ انتقل المسلمون إلى مرحلة جديدة، العالم كله سمع عن هذه الدولة، اليهود رعبوا، والمشركون انهزموا، والمنافقون ظهروا.

تغير هائل بدأ يحدث في الأرض في كل شيء؛ بدر ليست كأى غزوة، فهي غيَّرت مجرى التاريخ؛ لذلك سماها ربنا عز وجل يوم الفرقان، وربطها بشهر رمضان من أجل أن نتفكر دائماً في هذا الشهر، فَمَنْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهَا كَانَتْ فِيهِ؟! حُفِرَتْ فِي وَجْدَانِ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَفِي وَجْدَانِ كُلِّ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، يَجِبُ أَنْ نَتَذَكَّرَ عِلَاقَتَهَا بِرَمَضَانَ دَائِماً. ولكن لماذا غزوة بدر خاصة؟ لماذا يطغى ذكر غزوة بدر على ذكر أي غزوة أخرى من غزوات الرسول؟!!

لأن في بدر وُضِعَتْ كل قواعد بناء الأمة الإسلامية؛ في غزوة بدر عرف المسلمون أن النصر من عند الله وليس بالعدد ولا العدة، فلا يصلح لأمة بعيدة عن ربها، وبعيدة عن دينها أن تنتصر؛ واقرأوا سورة الأنفال التي تتحدث عن غزوة بدر: {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ١٠].

فكيف يمكن لعدد مثل ٣١٣ أو ٣١٤ أن يغلبوا ألفاً؛ هذا العدد القليل معه ٧٠ جملاً، والعدد الكبير معه ٧٠٠ جملاً، هذا العدد القليل معه فرسان، والعدد الكبير معه مائة فرس، العدد القليل خارج بسلاح المسافر، والعدد الكبير خارج بسلاح الجيوش.

كيف؟! كيف يمكن لهذا العدد القليل في كل المقاييس المادية أن يغلب هذا العدد الكبير؟!!

هذا ليس له إلا أمر واحد، ألا وهو أن الله عز وجل هو الذي نصر المؤمنين، نصر الضعفاء القلّة الأذلة؛ كما عبّر -سبحانه- في كتابه الكريم، انتصروا بأسلحة غير تقليدية تمامًا، لم ينتصروا بأسلحة دمار شامل، أو صواريخ باليستية، أو أقمار صناعية، انتصروا بالمطر والنعاس، وبالرعب في قلوب الكافرين، وبالتوفيق في الرأي، وبضعف الرأي عند الأعداء، وانتصروا بالملائكة؛ الملائكة نزلت تحارب مع المؤمنين في بدر، أفضل الملائكة، وجبريل -عليه السلام- على رأس الملائكة، قال تعالى: {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} [الأنفال: ١٠]، وقال الله تعالى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال: ١٧].

راجعوا غزوة بدر؛ ففيها زرع الأمل في نفوس المسلمين إلى يوم القيامة؛ ما دام الله معك فالنصر -لا شك- حليفك، قواعد وأسس وأصول وُضِعَتْ في غزوة بدر. وعلينا بوحدة الصف لنتنصر، قال ربنا سبحانه: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦]، هذه القاعدة وُضِعَتْ في بدر. والتضحية بكل شيء؛ بالنفس والمال، وبالوقت والجهد ليتم النصر، هذه القاعدة وضعت -أيضًا- في بدر. والإعداد قدر المستطاع لمواجهة الأعداء، قال الله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: ٦٠]، هذه القاعدة -أيضًا- وضعت في بدر وطاعة الرسول في كل أمر؛ {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤]، قاعدة وضعت -أيضًا- في بدر.

كل قواعد بناء الأمة الإسلامية وُضِعَتْ في بدر، كل هذه القواعد نتعلمها في رمضان، نقرب من الله -سبحانه وتعالى- الذي بيده النصر في رمضان، نزيد من أواصر المودة والأخوة بين المسلمين، وهي قاعدة من أهم القواعد التي تبني الأمة الإسلامية، تضحّي بمالك وجهدك ووقتك في رمضان، تقوي صحتك وبدنك ولياقتك في رمضان.. وبايجاز يكون الجهاد والإعداد له في رمضان.

وكم نخسر عندما نفقد هذه المعاني، ويمر الشهر علينا من غير أن نعرف قيمته في المجاهدة في سبيل الله !

أما في سنة ٨هـ فكان الموعد مع حدث من أهم أحداث التاريخ، إنه فتح مكة، اللقاء الأخير والفيصل مع مشركي قريش؛ فقد خرج الرسول وجيش المؤمنين من المدينة المنورة قاصدًا مكة في ١٠ رمضان سنة ٨هـ، وفتحها في ٢١ رمضان.

هذا الشهر تتغير فيه أحوال الأمة بشكل رائع؛ علامات في منتهى الوضوح، في هذا الشهر الكريم الرسول هدم صنم هبل، ومعه أكثر من ٣٦٠ صنمًا بداخل الكعبة المشرفة، وهذه الأصنام ظلت

داخل الكعبة ٢١ سنة، بداية من نزول البعثة على الرسول عليه الصلاة والسلام، وبالتأكيد ظلت هذه الأصنام سنين طويلة قبل البعثة موجودة، في كل هذه الشهور السابقة والسنوات السابقة ربنا - سبحانه وتعالى- يختار أن هذه الأصنام تُدمَّر وتكسر وتقع في شهر رمضان. في الشهر نفسه بعث الرسول خالد بن الوليد ليهدم صنم العزى، فهدمها. في الشهر نفسه بعث عمرو بن العاص ليهدم صنم سواع، فهدمه. في الشهر نفسه بعث سعد بن زيد ليهدم صنم مناف، فهدمه. ما هذا؟ أمعقول كل هذا في شهر واحد؟ في شهر رمضان تقع كل هذه الأصنام؟ أمعقول أنها صدفة؟

هذا شهر إزاز الإسلام، وتمكين الدين، ونصر المؤمنين، رمضان شهر الإنقاذ والنجدة والنصر والعزة، فلا يصح ألا يعلم المسلمون هذه المعاني، ويظنون أنه شهر الأعمال الفنية الجديدة، والدورات الرياضية، والخيم الرمضانية، ليس هذا هو رمضان الذي يريده ربنا سبحانه. إن الناظر إلى حياة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يرى كيف كان تسابقهم إلى ساحات الوغى وميادين الجهاد، وكيف كان تنافسهم على القتال في سبيل الله والتسابق إلى نيل الشهادة، ولنتأمل هذه الأمثلة الرائعة:

فمن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله يتواري، فقلت: ما لك يا أخي؟! فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله ويستصغرنى ويردني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعرض على رسول الله فاستصغره، فقال: ((ارجع))، فبكى عمير، ثم قبله رسول الله في صفوف المجاهدين.

وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما عرض على رسول الله في غزوة أحد استصغره فرده، فقال عبد الله: فبت شر ليلة، ما رأيت مثلها قط في السهر والحزن والبكاء.

وهذا **خالد بن الوليد** وهو الفارس في ميدان الحرب، يخوض بسيفه غمار المعارك، ويتمنى الشهادة، ويتعطش للقاء ربه في بطولة فذة وفداء عظيم فيقول: (لقد شهدت زهاء مائة معركة، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء).

وهذا **ربيع بن عامر** يجيب رستم قائد الجيش الفارسي حين قال له: ما الذي دعاكم إلى حربنا والولوج بديارنا؟! قال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور السلطان إلى عدل الإسلام، ثم التفت إلى جيش الخائفين الراكعين على يمين وشمال رستم فقال: لقد

كانت تبلغنا عنكم الأحلام، وما أرى - والله - قومًا أسفه منكم، إننا - معاشر المسلمين - لا يستعبد بعضنا بعضًا، وكان أحسن من الذي صنعتم، هل تخبروني أن بعضكم أربابا لبعض؟ فالتفت الدهماء إلى بعضهم يتهامسون وهم يقولون: صدق - والله - العربي، أما قادة الفرس فلقد جبنوا من كلام ربي، هذا ما يشبه الصاعقة أصابت كيانهم فحطمته، حتى قال قائلهم: والله، لقد رمى هذا العربي بكلام لا تزال عبيدنا تنزل إليه.

هذه صور حية من صور التضحية والفداء والبطولة والجهاد سطرها لنا التاريخ عن أجدادنا وأسلافنا بأحرف من نور، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ [النور: ٤٠].

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ***** إذا جمعتنا يا جريير المجامع .

فيا عباد الله، إن الترابط بين الصيام والجهاد وثيق، والصلة بينهما عميقة، فالصيام مجاهدة للنفس عن الشهوات وسائر المفطرات، فهو مغالبة لشهوة البطن والفرج، والجهاد مغالبة لحظوظ النفس ونزغات الشيطان، ولذلك كان شهر رمضان عند أسلافنا شهر الجهاد والفتوحات الإسلامية، ففي السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة كانت غزوة بدر الكبرى، والتي جعلها الله فرقانًا بين الحق والباطل وبين الإسلام والكفر، وفي الحادي والعشرين منه في سنة ثمان للهجرة فتحت مكة، وبفتحها دكت معاقل الشرك وأزيلت رايات الكفر ومعالم الوثنية، وفي سنة تسعة للهجرة في شهر رمضان أيضًا شهد رسول الله ومعه المهاجرون والأنصار بدايات أحداث غزوة تبوك، والتي كان كانت آخر غزواته عليه الصلاة والسلام، وفي السنة الرابع عشرة من الهجرة من شهر رمضان أيضًا كانت معركة القادسية بقيادة الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، وفي سنة ثلاث وخمسين من الهجرة في نفس الشهر فتح المسلمون جزيرة رودس، وفي سنة إحدى وتسعين من شهر رمضان نزل المسلمون الشاطئ الجنوبي من بلاد الأندلس، وفي السنة التي تليها - أي: سنة اثنتين وتسعين للهجرة - في شهر رمضان أيضًا انتصر المسلمون بقيادة القائد المظفر طارق بن زياد على القوط والفرنجة، وكان ذلك تمهيدًا لفتح الأندلس في سنة ثلاث وتسعين للهجرة، وفي سنة خمسمائة وأربع وثمانين من الهجرة في شهر رمضان كان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله قد حقق الانتصارات تلو الانتصارات على الصليبيين، وفي سنة ستمائة وثمانية وخمسين هجرية في شهر رمضان ينتصر المسلمون على التتار في موقعة عين جالوت بقيادة القائد الإسلامي قطز والظاهر بيبرس.

وما فتئ الزمان يدور ***** حتى مضى بالمجد قوم آخرون.

وَأَلْمِنِي وَأَلْمِ كُلَّ حَر ***** سؤال الدهر: أين المسلمون!؟

فأين المسلمون واليهود يدينسون المسجد الأقصى وينتهكون الحرمات في أرض فلسطين؟! أين

المسلمون وديار الإسلام وثغورها تضيع الواحدة تلو الأخرى؟! أعجزت الأرض أن تتجب واحداً

كخالد بن الوليد أو كصلاح الدين الأيوبي؟! هل عقت أرحام المسلمات أن تتجب بطلاً مغواراً

كسعد بن أبي وقاص أو كأبي عبيدة بن عامر الجراح؟! أين المسلمون مما يجري للمسلمين في

بورما وبلاد الشام والإيغور وغيرها من بلاد الإسلام؟!

أين المسلمون مما يحصل للمسلمين في جامو وكشمير وفي أرتيريا والفلبين؟! آلاف المسلمين

يقتلون والآلاف من المسلمين يشردون، والمسلمون مع كثرتهم غناء كغناء السيل، كما أخبر عن

ذلك رسول الله ، فهل ستكون الفتوحات مجدهم وعزهم؟!

هذا ما نرجوه، ولكن ذلك مشروط بأن يكون المسلمون أقوياء مادياً ومعنوياً، وَيَوْمَئِذٍ يُفْرَحُ

الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الروم: ٤، ٥].

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وانصر المسلمين المستضعفين في كل مكان

فضل العشر الأواخر وليلة القدر

العناصر :-

✽ حلول العشر الأواخر من رمضان.

✽ اجتهاد النبي والسلف الصالح في العشر الأواخر.

✽ من خصائص ليلة القدر .

فها هي أيام رمضان تسارع مؤذنة بالإنصراف والرحيل، وها هي أيام العشر تحل لتكون الفرصة الأخيرة لمن فرط في أول الشهر، أو لتكون التاج الخاتم لمن أصلح ووفى فيما مضى.

أيها الأحبة: العشر الأخيرة من شهر رمضان سوق عظيم يتنافس فيه المتنافسون، وموسم يضيق فيه المفرطون، وإمتحان تبتلى فيها الهمم، ويتميز أهل الآخرة من أهل الدنيا، طالما تحدث الخطباء وأطنب الوعاظ وأفاض الناصحون بذكر فضائل هذه الليالي، ويستجيب لهذا النداء قلوب خالطها الإيمان، فسلكت هذه الفئة المستجيبة طريق المؤمنين، وانضمت إلى قافلة الراكعين الساجدين، واختلطت دموع أصحابها بدعائهم في جنح الظلام، وربك يسمع ويجيب، وما ربك بظلام للعبيد. أما الفئة الأخرى فتسمع النداء وكأنه لا يعنيها، وتسمع المؤمنين وهم يصلون في القيام لخالقهم وكأنه ليس لهم حاجة، بل كأنهم قد ضمنوا الجنة.

فهل يتأمل الشاردون؟! وهل يعيد الحساب المفرطون!؟

أيها المسلمون: هذه أيام شهركم تنقلص، ولياليه الشريفة تنتضى، شاهدة بما عملتم، وحافظة لما أودعتم، هي لأعمالكم خزائن محصنة ومستودعات محفوظة، تدعون يوم القيامة، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ، ينادي ربكم: « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَاهَا عَلَيْكُمْ ثُمَّ أَوْفِّيْكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ

هذا هو شهركم، وهذه هي نهاياته، كم من مستقبل له لم يستكمله، وكم من مؤمل أن يعود إليه لم يدركه.

هلا تأملتم الأجل ومسيره، وهلا تبينتم خداع الأمل وغروره!

أيها المسلمون: إن كان في النفوس زاجر وإن كان في القلوب واعظ فقد بقيت من أيامه بقية، بقية وأي بقية؟!

• اجتهاد النبي والسلف الصالح في العشر الأواخر.

إنها العشر الأواخر ، بقية كان يحتفي بها نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم أيما احتفاء.

روى البخاري في صحيحه (عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم - إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ) (روى البخاري)

وروى مسلم في صحيحه (عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ) . (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

في العشرين قبلها كان يخلطها بصلاة ونوم، فإذا دخلت العشر شمر وجد وشد المئزر، هجر فراشه، أيقظ أهله.

ولقد كان رسول الهدى - عليه الصلاة والسلام- يُعطي هذه الأيام عناية خاصة ويجتهد في العمل فيها أكثر من غيرها؛ كما ذكر في الحديثين السابقين، وفي صحيح أبي داود (قَالَتْ عَائِشَةُ - كَانَتْ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم - إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَيْقَظَ أَهْلَهُ وَأَحْيَى اللَّيْلَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ) (صححه الألباني) نعم إنها عشر ليالٍ فقط تمر كطيف زائر في المنام، تنتقضي سريعاً، وتغادرنا كلمح البصر، فليكن استقصارك المدة معيناً لك على اغتنامها.

و تذكر أخي أنها لن تعود إلا بعد عام كامل، لا ندري ما الله صانع فيه، وعلى من تعود، وكلنا يعلم يقيناً أن من أهل هذه العشر من لا يكون من أهلها في العام القادم، أطال الله في أعمارنا على طاعته.

كان النبي صلى الله عليه وسلم - إذا بقي من رمضان عشرة أيام لا يدع أحداً من أهله يطيق القيام إلا أقامه، ولقد كان السلف الصالح من أسرع الناس امتثالاً واتباعاً للنبي، ففي الموطأ أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية:

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) [طه: ١٣٢].

وقال سفيان الثوري - رحمه الله تعالى-: "أحب إلي إذا دخل العشر الأواخر أن يتجهّد بالليل ويجتهد فيه وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك".

وكانت بعض نساء السلف الصالح تقول لزوجها بالليل: "قد ذهب الليل، وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليلاً، وقوافل الصالحين قد سارت أمامنا ونحن قد بقينا".

أيها المسلمون: اعرفوا شرف زمانكم، واقدروا أفضل أوقاتكم، وقدموا لأنفسكم، لا تضيعوا فرصة في غير قربة.

إحسان الظن ليس بالتمني، ولكن إحسان الظن بحسن العمل، والرجاء في رحمة مع العصيان ضرب من الحمق والخذلان، والخوف ليس بالبكاء ومسح الدموع، ولكن الخوف بترك ما يخاف منه العقوبة.

إنها ليالٍ معدودة وساعات محدودة، فيا حرمان من لم يذق فيها لذة المناجاة!
ويا خسارة من لم يضع جبهته فيها ساجدا لله !!

إنها ليالٍ يسيرة.. والعاقل يبادر الدقائق فيها؛ لعله يفوز بالدرجات العُلا في الجنان.. “وإنها ليست بجنة بل جنان”. فيا نائماً متى تستيقظ؟! ويا غافلاً متى تنتبه؟! ويا مجتهداً اعلم أنك بحاجة إلى مزيد اجتهاد، ولا أظنك تجهل هذه الآية {وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ} [التوبة: ١٠٥].

فماذا سيرى الله منك في هذه العشر؟!

أيها الأحبة: قدموا لأنفسكم وجدوا وتضرعوا، تقول عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: " قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي " (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ).

أيها المجتهدون: يجتمع في هذه الأيام أوقات فاضلة، وأحوال شريفة: العشر الأخيرة، جوف الليل من رمضان، والأسحار من رمضان، دبر الأذان والمكتوبات، أحوال السجود وتلاوة القرآن، مجامع المسلمين في مجالس الخير والذكر، كلها تجتمع في أيامكم هذه، فأين المتنافسون؟! عجيب هذا الإعتكاف في أسراره ودروسه! المعتكف ذكرُ الله أنيسه، والقرآن جليسه، والصلاة راحته، ومناجاة الحبيب متعته، والدعاء والتضرع لذته. إذا أوى الناس إلى بيوتهم وأهليهم ورجعوا إلى أموالهم وأولادهم لازم هذا المعتكف بيت ربه وحبس من أجله نفسه، ويقف عند أعتابه يرجو رحمته ويخشى عذابه، لا يطلق لسانه في لغو، ولا يفتح عينه لفحش، ولا تتصنت أذنه لبداء، سلم من الغيبة والنميمة، جانب التناز بالالألقاب والقدح في الأعراض، استغنى عن الناس وانقطع عن الأطماع، علم واستيقن أن رضا الناس غاية لا تدرك. في درس الاعتكاف انصرف المتعبد إلى التفكير في زاد الرحيل، وأسباب السلامة، السلامة من فضول الكلام، وفضول النظر، وفضول المخالطة. في مدرسة الاعتكاف يتبين للعابد أن الوقت أغلى من الذهب، فلا يبذله في غير حق، ولا يشتري به ما ليس بحمد، يحفظه عن مجامع سيئة، بضاعتها الغيبة والنميمة.

أيها المسلمون: أوقاتكم فاضلة تشغل بالدعاء والصلاة وقراءة القرآن وذكر الله وغيرها من العبادات، وتستغل فيها فرص الخير، وإن من أعظم ما يرجى فيها ويتحرى ليلة القدر: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) [القدر: ٢].

من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ليلة خير من ألف شهر، خفي تعيينها اختباراً وابتلاء، ليتبين العاملون وينكشف المقصرون، فمن حرص على شيء جدّ في طلبه، وهان عليه ما يلقي من عظيم تبعه. إنها ليلة تجري فيها أقلام القضاء بإسعاد السعداء، وشقاء الأشقياء: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [الدخان: ٤].

ولا يهلك على الله إلا هالك. فيا ليلة القدر للعابدين اشهدي، يا أقدام القانتين اركعي لربك واسجدي، يا أسنة السائلين جدّي في المسألة واجتهدي.

يا رجال الليل جدوا *** ربّ داع لا يردّ *** ما يقوم الليل إلا *** من له عزم وجدّ .

• من خصائص ليلة القدر :

عباد الله: ألا وإن في هذه العشر ليلة خير من ألف شهر هي ليلة القدر، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) [القدر: ١ - ٥].

• هذه الليلة المباركة نزل فيها القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ونزل أوله من السماء الدنيا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) [الدخان: ٣].

• وأن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر، فالعمل والعبادة في هذه الليلة لمن وفقه الله تعدل هذا الزمن الكبير ألف شهر، فهل يحق لعاقل أن يفرط في هذا الفضل.

• وفي هذه الليلة تنزل الملائكة بالرحمات والبركات والسكينة وبكل أمر قضاه الله وقدره لهذه السنة (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [الدخان: ٤].

• وهذه الليلة سلام إلى طلوع الفجر تسلم الملائكة والروح (جبريل عليه السلام) على المطيعين وذلك أن الملائكة ينزلون فوجاً فوجاً من ابتداء الليل إلى طلوع الفجر (تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) [القدر: ٤ ، ٥].

• وفيها أن الله يغفر لمن قامها إيماناً واحتساباً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (رواه البخاري ومسلم)

هذه الليلة هي في العشر الأواخر من رمضان لقوله صلى الله عليه وسلم: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» (رواه البخاري ومسلم) ، وقد أخفى جل وعلا علمها عن العباد ليقع الجد في طلبها ويجتهد العباد في العبادة طلبا للأجر والثوبة.

أيها المسلمون: أيامكم هذه أعظم الأيام فضلاً، وأكثرها أجراً، تصفو فيها لذيق المناجاة، وتسكب فيها غزير العبرات، كم لله فيها من عتيق من النار! وكم فيها من منقطع قد وصلته توبته! المغبون من انصرف عن طاعة الله، والمحروم من حرم رحمة الله، والمأسوف عليه من فاتته فرص الشهر وفرط في فضل العشر وخاب رجاؤه في ليلة القدر، مغبون من لم يرفع يديه بدعوة، ولم تذرف عينه بدمعة، ولم يخشع قلبه لله لحظة، ويحه ثم ويحه أدرك الشهر! ألم يُحْظَ بمغفرة؟! ألم ينل رحمة؟! يا بؤسه! ألم تُقَلِّ له عثرة؟! قطع شهره في البطالة وكأنه لم يبق للصلاح عنده موضع، ولا لحبِّ الخير في قلبه مَنَزَع. طال رقاذه حين قام الناس، هذا والله غاية الإفلاس، عصى رب العالمين واتبع غير سبيل المؤمنين، أمر بالصلاة فضيعها، ووجبت عليه الزكاة فانتقصها ومنعها، دعته دواعي الخير فأعرض عنها، مسؤولياته قصر فيها، وقصر فيمن تحت يديه من بنين وبنات، يفرط في مسؤولياته وقد علم أن من سُنَّة نبينا أنه يوقظ أهله، أما هذا فقد اشتغل بالملهيات وقطع أوقاته في الجلبة في الأسواق والتعرض للفتن، بل قد يأتي بعضنا إلى المسجد ويرسل ابنته وزوجته وأخته تجول في الأسواق، وتتعرض للفتنة من الفساق، حتى غدا السوق في شهر العبادة وَكُرًّا للفساد .

تقبل الله منا ومنكم

العناصر :-

* ليس للأمة الإسلامية سوى عيدين: الفطر والأضحى .

* أسباب الفرحة في العيد .

* ضرورة الاتحاد ونبذ التفرق والاختلاف .

* الوصية بصيام ست من شوال

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ مُعِيدِ الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ، وَمُبِيدِ الْأُمَمِ وَالْأَجْنَادِ، وَجَامِعِ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالتَّنَادِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْمُفْضَلِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا..

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ -تَعَالَى- حَقَّ التَّقْوَى، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى؛ وَالَّتِي مِنْهَا إِدْرَاكُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِكْمَالُهُ وَإِتْمَامُهُ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ فِيهِ، فَاشْكُرُوا اللَّهَ -تَعَالَى- عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَاسْأَلُوهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ مَا بَدَرَ مِنْكُمْ، وَعَلِّمُوا أَنْ هَذَا الْيَوْمَ، يَوْمٌ عِيدٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَمَّةٌ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- هَذَا عِيدُهَا، لَيْسَ لَهَا سِوَى عِيدَيْنِ، هَذَا الْعِيدُ، عِيدُ الْفِطْرِ وَعِيدُ الْأَضْحَى، وَكِلَاهُمَا يَأْتِيَانِ عَقَبَ رُكْنَيْنِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَشَعِيرَتَيْنِ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، هُمَا الصِّيَامُ وَالْحَجُّ، فَهَمَّا عِيدَا ذِكْرٍ وَشُكْرٍ (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [يُونُسَ: ٥٨].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: نَفْرَحُ بِالْعِيدِ وَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَفْرَحَ؛ لِأَنَّنا -بِفَضْلِ رَبِّنَا- أَدْرَكْنَا شَهْرَ رَمَضَانَ فَصُمْنَاهُ وَقُمْنَاهُ، وَعَلَا تَكْبِيرُنَا الْمَسَاجِدَ وَالدُّورَ وَالْأَسْوَاقَ فَرَحًا بِهِ، وَاسْتِجَابَةً لِقَوْلِ رَبِّنَا -جَلَّ وَعَلَا-: (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: ١٨٥]، أَخْرَجْنَا زَكَاةَ الْفِطْرِ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ قَبُولَهَا، وَالْفَوْزَ بِوَأَفْرِ الْأَجْرِ، لِبِسْنَا الْجَدِيدَ لِنَشْهَدَ صَلَاةَ الْعِيدِ، وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ.

نَفْرَحُ بِالْعِيدِ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي فَيَفْرَحُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَيَسَاوِي بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ كُلِّهِمْ، فَالصَّغِيرُ يُجَلُّ الْكَبِيرَ، وَالْكَبِيرُ يَتَوَاضَعُ وَيَعْطِفُ عَلَى الصَّغِيرِ، وَالْمَوْسُرُونَ يَبْسُطُونَ أَيْدِيَهُمْ

لِأَصْحَابِ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ بِالْجُودِ وَالسَّخَاءِ، وَتَتَحَرَّكَ نُفُوسُهُمْ بِالشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحَاءِ، وَتَسْرِي فِي قُلُوبِهِمْ رُوحَ الْمَحَبَّةِ وَالتَّأخِي، فَتَذْهَبُ عَنْهُمْ الضَّعَائِنُ، وَتُسَوِّدُهُمُ الْمَحَبَّةُ وَالْمَوَدَّةُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى" (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

فِي الْعِيدِ - عِبَادَ اللَّهِ - تَتَصَافَى الْقُلُوبُ، وَتَتَصَافَحُ الْأَيْدِي، وَيَتَبَادَلُ الْجَمِيعُ التَّهَانِي، وَإِذَا كَانَ فِي الْقُلُوبِ رَوَاسِبُ خِصَامٍ أَوْ أَحْقَادٌ فَإِنَّهَا فِي الْعِيدِ تُسَلُّ فَتَرُوْلُ، وَإِنْ كَانَ فِي الْوُجُوهِ عُبُوسٌ فَإِنَّ الْعِيدَ يُدْخِلُ الْبَهْجَةَ إِلَى الْأَرْوَاحِ، وَالبِسْمَةَ إِلَى الْوُجُوهِ وَالشَّفَاهِ، فَالْعِيدُ فُرْصَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ لِيَتَطَهَّرَ مِنْ دَرَنِ الْأَخْطَاءِ، فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ إِلَّا بَيَاضُ الْأُلْفَةِ وَنُورُ الْإِيمَانِ، وَعَلَى لِسَانِهِ دَوْمًا: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الْحَشْرِ: ١٠].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اشْكُرُوا اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ خَلَقَكُمْ مُسْلِمِينَ مِنْ أَصْلَابٍ مُؤْمِنَةٍ مُوَحَّدَةٍ، فَذْ خَلَقَكُمْ لِطَاعَتِهِ، وَاسْتَعْمَلَكُمْ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذَّارِيَاتِ: ٥٦]، وَمِنْ فَضْلِهِ وَمِنْتِهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ، أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَيَتَكَلَّمُ بِلُغَتِكُمْ، يُعَلِّمُكُمْ الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ، وَالْمَسْلَكَ الْبَيِّنَ الْوَاضِحَ لِعِبَادَةِ رَبِّنَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التَّوْبَةِ: ١٢٨].

وَوَعَدَ مَنْ أَطَاعَهُ وَأَطَاعَ رَسُولَهُ - صلى الله عليه وسلم - الْفَوْزَ وَالْفَلَاحَ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) [آلِ عِمْرَانَ: ٣١-٣٢].

وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ - تَعَالَى - أَنْ نَكُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أُمَّةً وَاحِدَةً نَعْتَصِمُ بِكِتَابِهِ وَنَتَّبِعُ سُنَّةَ نَبِيِّهِ - صلى الله عليه وسلم -، وَنَحْذَرُ التَّفَرُّقَ وَالْإِخْتِلَافَ فِي الْعَقِيدَةِ وَالتَّوَجُّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣].

وَلَا يَرْتَفِعُ شَأْنُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا تَقْوَى شَوْكَتُهَا، وَلَا يَدُومُ عِزُّهَا وَيَتَحَقَّقُ نَصْرُهَا، إِلَّا إِذَا كَانَتْ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، وَأَصْحَابُهُ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالتَّوَجُّهِ وَالسُّلُوكِ، وَابْتَعَدَتْ

عَنِ السُّبُلِ الشَّيْطَانِيَّةِ الَّتِي تُفَرِّقُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام: ١٥٣]، فَانظُرُوا فِي حَالِكُمْ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاهْتَنُّوا بِعِيدِكُمْ، وَالزُّمُوا الصَّلَاحَ وَأَصْلِحُوا، جَعَلَ اللَّهُ عِيدَكُمْ مُبَارَكًا، وَأَيَّامَكُمْ أَيَّامَ سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ وَفَضْلِ وَإِحْسَانٍ وَعَمَلٍ

فِي عِبَادَةِ اللَّهِ: اشْكُرُوا اللَّهَ -تَعَالَى- أَنْ مَنَّ عَلَيْكُمْ إِذْ رَأَيْتُمْ شَهْرَ الصَّوْمِ فَصُمْتُمْ أَيَّامَهُ وَقُمْتُمْ لَيَالِيَهُ، وَمِنْ شُكْرِ اللَّهِ -تَعَالَى- مُوَاصَلَةُ أَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَالِاسْتِمْرَارُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ صِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ، فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِنًا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ" (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

أَيَّتِهَا الْأَخْتُ الْمُسْلِمَةُ: إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- قَدْ أَنْزَلَ فِيكَ سُورًا وَأَيَاتٍ تُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَمْسِكِي بِشَرِّعِ اللَّهِ، وَكُونِي مِنَ الصَّالِحَاتِ، تَذَكَّرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكِ؛ إِذْ جَعَلَكَ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كُونِي قُدْوَةً وَدَاعِيَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، صُورِي بَيْنَكَ وَأَطِيعِي زَوْجَكَ، وَاعْتَنِي بِتَرْبِيَةِ أَوْلَادِكَ؛ فَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هُنَا أَقَارِبُكُمْ بِهَذَا الْعِيدِ الْمُبَارَكِ، وَابْدَأُوا بِوَالِدَيْكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّهْنِئَةَ بِالْعِيدِ قَدْ جَرَى عَلَيْهَا عَمَلُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، فَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّهُ قَالَ: "كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا اتَّقَوْا يَوْمَ الْعِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ".

اللَّهُمَّ أَحِينَا مُؤْمِنِينَ، وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ، وَالْحَقِّنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، تَقَبَّلْ تَوْبَتَنَا، وَاعْسِلْ حَوْبَتَنَا، وَاشْفِ صُدُورَنَا، وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا، وَحَصِّنْ فُرُوجَنَا، وَارْحَمْ أَمْوَاتَنَا، وَاشْفِ مَرَضَانَا، وَاقْضِ دُيُونَنَا، وَاهْدِ ضَالَّنَا، وَأَدِّمْ أَمْنَنَا، وَأَصْلِحْ أَحْوَالَ أُمَّتِنَا، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

سِتُّ وَقَفَاتٍ بَعْدَ رَمَضَانَ !

العناصر :-

- * الوقفة الأولى : ماذا استفدنا من رمضان ؟ !
- * الوقفة الثانية : لا تكونوا كالتى نقضت غزلها !!
- * الوقفة الثالثة : واعد ربك حتى يأتيك اليقين.
- * الوقفة الرابعة : عليكم بالاستغفار والشكر!
- * الوقفة الخامسة : هل قُبِلَ صيامكم وقيامكم أم لا ؟؟
- * الوقفة السادسة : احذروا من العجبِ والغرورِ والزموا الخضوع للعزير الغفار!

وإليك التفصيل :

بعد الحمد والثناء على الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

أحبتى فى الله : فبعد أيام قلائل من رحيل شهر رمضان المبارك !!

كيف حالكم بعد رمضان ؟ فلنقارن بين حالنا في رمضان وحالنا بعد رمضان !!

إيه أيتها النفس ؟! كنت منذ أيام... في صلاة ، وقيام ، وتلاوة ، وصيام ، وذكر ،

ذقنا حلاوة الإيمان وعرفنا حقيقه الصيام ، وذقنا لذه الدمعة ، وحلاوة المناجاة في الأسحار !!

كنا نُصلي صلاة من جُعلت قره عينه في الصلاة ، وكنا نصوم صيام من ذاق حلاوته وعرف

طعمه ، وكنا ننفق نفقه من لا يخشى الفقر ، وكنا .. وكنا .. مما كنا نفعله في هذا الشهر المبارك

الذي رحل عنا !.

وهكذا .. كنا نتقلب في أعمال الخير وأبوابه حتى قال قائلنا ... ياليتني متّ على هذا الحال !!

ياليت خاتمتي كانت في رمضان ..! .

رحل رمضان ولم يمضِ على رحيله إلا القليل ! ولربما عاد تارك الصلاة لتركه ، وأكل الربا

لأكله ، ومشاهد الفحش لفحشه ، وشارب الدخان لشربه .

فنحن لا نقول أن نكون كما كنا في رمضان من الإجتهد .

ولكن نقول : لا للإنقطاع عن الأعمال الصالحة ، فلنحيا على الصيام ، والقيام ، والصدقة ، ولو

القليل .

الوقفه الأولى : ماذا استفدنا من رمضان ؟!

ها نحن ودعنا رمضان المبارك ... ونهاره الجميل ولياليه العطرة .
ها نحن ودعنا شهر القرآن والتقوى والصبر والجهد والرحمة والمغفرة والعشق من النار .
فماذا جنينا من ثماره اليانعة ، وظلاله الوارقه ؟!

هل تحققنا بالتقوى ... وتخرجنا من مدرسه رمضان بشهادة المتقين ؟!
هل تعلمنا فيه الصبر والمصابرة على الطاعة ، وعن المعصية ؟!
هل جاهدنا أنفسنا وشهواتنا وانتصرنا عليها ؟!
هل غلبتنا العادات والتقاليد السيئة ؟!

هل ... هل ... هل...؟!

أسئلة كثيرة .. وخواطر عديدة .. تتداعى على قلب كل مُسلم صادق .. يسأل نفسه ويجيبها بصدق
وصراحة .. ماذا استفدت من رمضان ؟

إنه مدرسة إيمانية ... إنه محطة روحية للترود منه لبقية العام ... ولشحن الهمم بقيه العمر ...

فمتى يتعظ ويعتبر ويستفيد ويتغير ويغير من حياته من لم يفعل ذلك في رمضان ؟!

إنه بحق مدرسة للتغيير .. نُغير فيه من أعمالنا وسلوكنا وعاداتنا وأخلاقنا المخالفة لشرع الله جل
وعلا { .. إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ... } (الرعد : ١١) .

الوقفه الثانية : لا تكونوا كالتى نقضت غزلها !!

أحبتى في الله :

إن كنتم ممن استفاد من رمضان ... وتحققت فيكم صفات المتقين ... !

فهل صتمتم حقاً ... وقُمتم صدقاً ... واجتهدتم في مجاهدة أنفسكم فيه ... !!؟

فأحمدوا الله وأشكروه وأسألوه الثبات على ذلك حتى الممات .

وإياكم ثم إياكم ... من نقض الغزل بعد غزله .

إياكم والرجوع الى المعاصي والفسق والمجون ، وترك الطاعات والأعمال الصالحة بعد رمضان

.. فبعد أن تنعموا بنعيم الطاعة ولذة المناجاة ... ترجعوا إلى جحيم المعاصي والفجر !!

فبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان !!..

أحبتى في الله : ولنقض العهد مظاهر كثيرة عند الناس فمنها ..

(١) ما نراه من تضييع الناس للصلوات مع الجماعة ... فبعد امتلاء المساجد بالمصلين في صلاة التراويح التي هي سنة ... نراها قد قل روادها في الصلوات الخمس التي هي فرض وركن من أعظم أركان الإسلام!!

(٢) الإنشغال بالأغاني والأفلام .. والتبرج والسفور .. والذهاب إلى الملاهي والمعاكسات !!

(٣) ومن ذلك التنافس في الذهاب إلى المسارح ودور السينما وأوكار ومحال المعاصي فترى هناك - مأوى الشياطين وملجأ لكل رزيلة - وما هكذا تُشكر النعم .. وما هكذا نختم الشهر ونشكر الله على بلوغ الصيام والقيام ، وما هذه علامة القبول بل هذا جحود للنعمة وعدم شكر لها . وهذا من علامات عدم قبول العمل والعياذ بالله لأن الصائم حقيقة .. يفرح يوم فطرة ويحمد ويشكر ربه على أتمام الصيام .. ومع ذلك يبكي خوفاً من ألا يتقبل الله منه صيامه كما كان السلف يكون ستة أشهر بعد رمضان يسألون الله القبول

فمن علامات قبول العمل أن ترى العبد في أحسن حال من حاله السابق .

وأن ترى فيه إقبالا على الطاعة { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ .. } (ابراهيم: ٧)

أى زيادة في الخير الحسي والمعنوي ... فيشمل الزيادة في الإيمان والعمل الصالح .. فلو شكر العبد ربه حق الشكر ، لرأيته يزيد في الخير والطاعة .. ويبعد عن المعصية . والشكر ترك المعاصي .

الوقفة الثالثة : واعبد ربك حتى يأتيك اليقين!

هكذا يجب أن يكون العبد ... مستمر على طاعة الله ، ثابت على شرعه ، مستقيم على دينه ، لا يراوغ روغان الثعالب ، يعبد الله في شهر دون شهر ، أو في مكان دون آخر ، لا ... وألف لا !! بل يعلم أن رب رمضان هو رب بقية الشهور والأيام قال تعالى : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ .. } (هود: ١١٢) وقال : { ... فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ... } (فصلت: ٦) . والآن بعد انتهاء صيام رمضان ... فهناك صيام النوافل : (كالست من شوال) ، (والاثنين ، الخميس) ، (وعاشوراء) ، (وعرفة) ، وغيرها .

وبعد انتهاء قيام رمضان ، فقيام الليل مشروع في كل ليلة: وهو سنة مؤكدة حث النبي صلى الله عليه وسلم على أدائها بقوله : " عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ وَمَنْهَةٌ عَنِ الْإِثْمِ" (رواه الترمذي وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح).

وفي الحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وقد حافظ النبي صلى الله عليه وسلم على قيام الليل ، ولم يتركه سفراً ولا حضراً ، وقام عليه وسلم وهو سيد ولد آدم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر حتى تفتّرت قدماه ، فقيل له في ذلك فقال : " أفلا أكون عبداً شكوراً " (متفق عليه)

وقال الحسن : ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ، ونفقة المال ، فقيل له : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .
فعلينا اجتناب الذنوب والمعاصي : فإذا أراد المسلم أن يكون مما ينال شرف مناجاة الله تعالى ، والأنس بذكره في ظلم الليل ، فليحذر الذنوب ، فإنه لا يُوفَّق لقيام الليل من تلطخ بأدران المعاصي .

قال رجل لإبراهيم بن أدهم : إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء ؟ فقال : لا تعصه بالنهار ، وهو يُقيمك بين يديه في الليل ، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف ، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف .

وقال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد : إني أبيت معافى ، وأحب قيام الليل ، وأعدّ طهوري ، فما بالي لا أقوم ؟ فقال الحسن : ذنوبك قيدتُك .

وقال رحمه الله : إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل ، وصيام النهار . وقال الفضيل بن عياض : إذا لم تقدر على قيام الليل ، وصيام النهار ، فأعلم أنك محروم مكبّل ، كبلتكَ خطيئتك .
وقيام الليل عبادة تصل القلب بالله تعالى ، وتجعله قادراً على التغلب على مغريات الحياة الفانية ، وعلى مجاهدة النفس في وقت هدأت فيه الأصوات ، ونامت العيون وتقلب النّوام على الفرش .
ولذا كان قيام الليل من مقاييس العزيمة الصادقة ، وسمات النفوس الكبيرة ، وقد مدحهم الله وميزهم عن غيرهم بقوله تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الزمر: ٣٩) .
والآن بعد أن انتهت (زكاة الفطر) : ، فهناك الزكاة المفروضة ، وهناك أبواب للصدقة والتطوع والمجاهدة كثيرة .

وقراءة القرآن وتدبره ليست خاصة برمضان: بل هي في كل وقت .
وهكذا فالأعمال الصالحة في كل وقت وكل زمان فاجتهدوا أحبتي في الله في الطاعات وإياكم والكسل والفتور .

فالله ... الله في الاستقامة والثبات على الدين في كل حين فلا تدروا متى يلقاكم ملك الموت فاحذروا أن يأتاكم وأنتم على معصية .

الوقفه الرابعة : عليكم بالاستغفار والشكر!

أكثرُوا من الاستغفار ... فإنه ختام الأعمال الصالحة ، (كالصلاة ، والحج ، والمجالس) ، وكذلك يُختم الصيام بكثرة الاستغفار .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار : يأمرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار والصدقة وقال :

قولوا كما قال أبوكم آدم " رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ "

وكما قال إبراهيم : " وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ " .

وكما قال موسى : " رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " .

وكما قال ذو النون : " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " .

أكثرُوا من شكر الله تعالى أن وفقكم لصيامه ، وقيامه . فإن الله عز وجل قال في آخر آية الصيام

{ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (البقرة ١٨٥)

والشكر ليس باللسان وإنما بالقلب والأقوال والأعمال وعدم الإدبار بعد الإقبال .

الوقفه الخامسة : هل قبل صيامكم وقيامكم أم لا ؟؟

إن الفائزين في رمضان ، كانوا في نهارهم صائمون ، وفي ليلهم ساجدون ، بكاءً خشوعاً ، وفي الغروب والأسحار تسبيح ، وتهليل ، وذكر ، واستغفار ، ما تركوا باباً من أبواب الخير إلا ولجوه ، ولكنهم مع ذلك ، قلوبهم وجله وخائفة ...!!

لا يدرون هل قبلت أعمالهم أم لم تقبل ؟ وهل كانت خالصة لوجه الله أم لا ؟

فلقد كان السلف الصالحون يحملون هم قبول العمل أكثر من العمل نفسه ، قال تعالى :

{ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } (المؤمنون : ٦٠) .

هذه هي صفة من أوصاف المؤمنين أي يعطون العطاء من زكاة وصدقة، ويتقربون بأنواع القربات من أفعال الخير والبر وهم يخافون أن لا تقبل منهم أعمالهم .

وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً من العمل ، ألم

تسمعوا قول الله عز وجل : { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } . (المائدة:٢٧) .

فمن منا أشغله هذا الهاجس !! قبول العمل أو رده ، في هذه الأيام ؟ ومن منا لهج لسانه بالدعاء أن يتقبل الله منه رمضان ؟

فلقد كان السلف الصالح يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان ، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبل منهم ...

نسأل الله أن نكون من هؤلاء الفائزين .

من علامات قبول العمل :

١- الحسنة بعد الحسنة فإتيان المسلمون بعد رمضان بالطاعات والقربات والمحافظة عليها دليل على رضى الله عن العبد , وإذا رضى الله عن العبد وفقه إلى عمل الطاعة وترك المعصية.

٢- انشراح الصدر للعبادة والشعور بلذة الطاعة وحلاوة الإيمان والفرح بتقديم الخير حيث أن المؤمن هو الذي تسره حسنته وتسوءه سيئته.

٣- التوبة من الذنوب الماضية من أعظم العلامات الدالة على رضى الله تعالى.

٤- الخوف من عدم قبول الأعمال في هذا الشهر الكريم!!

٥- الغيرة للدين والغضب إذا انتهكت حُرّمات الله والعمل للإسلام بحرارة وبذل الجهد والمال في الدعوة إلى الله.

الوقفة السادسة : احذروا من العجب والغرور وألزموا الخضوع والالتكسار للعزيز الغفار .

أحبتى في الله : إياكم والعجب والغرور بعد رمضان !

ربما حدثتكم أنفسكم أن لديكم رصيد كبير من الحسنات .

أو أن ذنوبكم قد غُفرت فرجعتم كيوم ولدتكم أمهاتكم .

فما زال الشيطان يغريكم والنفس تلهيكم حتى تكثروا من المعاصي والذنوب .

ربما تعجبكم أنفسكم فيما قدمتموه خلال رمضان ... فإياكم ثم إياكم والإدلال على الله بالعمل ،

فإن الله عز وجل يقول : { وَلَا تَمُنُّنْ تَسْتَكْبِرُ } المدثر

فلا تَمُنَّ على الله بما قدمتم وعملتم . ألم تسمعوا قول الله تعالى :

{ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } (الزمر: ٤٧)

فاحذروا من مفسدات العمل الخفية من (النفاق _ والرياء _ والعجب) .

معالم التوحيد فى الحج

العناصر :

- * المعلم الأول : تعظيم البيت من تعظيم رب البيت سبحانه وتعالى .
- * المعلم الثاني : التلبية شعار المؤمنين الموحدين! .
- * المعلم الثالث : السعي بين جبلي الصفا والمروة والدعاء والتهليل فيه .
- * المعلم الرابع : دعاء يوم عرفة واشتماله على التوحيد .
- * المعلم الخامس : الحج يذكر بمواطن ومشاهد الآخرة .

الحمد لله الذي فرض الحج إلى بيته الحرام، أحمده وأشكره على نعمه وآلائه العظام، وأصلي وأسلم على أفضل من صلى وزكى وحج وصام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم، واتبع نهجهم إلى يوم يبعث الأنام فإن المتأمل لآيات الحج يجد أن هناك رابطاً عظيماً بين التوحيد ونفي الشرك وبين الحج، مثل قوله تعالى:

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (سورة الحج) ((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ)) (سورة الحج) وقوله تعالى:
(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)، وقال تعالى:- (ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)) (سورة الحج) فدعاني هذا إلى مزيد التأمل والنظر؛ حتى وصلت إلى قناعة تامة بأن الحج إلى بيت الله الحرام بجميع أقواله وأعماله وشعائره - كأبي عبادة أخرى - تنطلق من «لا إله إلا الله» لتحقيق تعميق «لا إله إلا الله» في النفوس بجلاء ووضوح، ابتداء من إقامة بيت الله الحرام وبناء الكعبة المشرفة، ثم تشريع الحج إلى هذا البيت العظيم، وهكذا في كل أقوال الحج وأعماله.

وأقف وقفات مع معالم التوحيد في الحج ، متوخياً عدم الإطالة، مع شيء من التوضيح والبيان، مستندلاً لما يحتاج إلى استدلال، أسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال .

• تعظيم البيت من تعظيم رب البيت سبحانه وتعالى :

أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت الحرام ليكون مثابة للناس وأمناً، وليكون قبلة للمؤمنين والموحدين ومنارة لنداء التوحيد فكان إبراهيم يبني ويرفع القواعد من البيت ومعه ولده إسماعيل وهما يدعوان الله تعالى (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (سورة البقرة) وهذا الدعاء منهما عليهما السلام وهما بينيان البيت من أدل الدلائل على توحيدهما، ورجائهما في الله تعالى، وخوفهما ألا يقبل عملهما، وكان بعض السلف يبكي إذا قرأ هذه الآية ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) (سورة البقرة) ، ثم يقول يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك وأراد الله تعالى أن يكون هذا البيت الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام موضعاً للمناسك، ومكاناً للطواف، وأمر سبحانه بتطهيره من كل ما يعارض التوحيد ثم قام ولدهما محمد خليل الثاني بتطهير البيت من الأصنام والأوثان يوم فتح مكة وهو يتلو قول الله تعالى : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (الإسراء) .

ومن المعالم التي ترسخ مفهوم التوحيد: الطواف لله بالبيت العتيق، وهذا الطواف هو تعظيم الله، وعبادة الله، وقد قال الله لإبراهيم وإسماعيل – عليهما الصلاة والسلام - : ((وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)) (سورة البقرة)، وقال: ((وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)) (سورة الحج) ، قال تعالى (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (الحج) وقال تعالى (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (آل عمران)

وتعظيم البيت العتيق يكون بالتوجه إليه في الصلاة كما قال تعالى (فَلَنُؤَلِّقَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) (سورة البقرة) ، ويكون كذلك بالطواف به، واستلام الركنين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد أمر الله بالطواف ببيته فقال تعالى وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ مما يدل على أن الطواف خاص بهذا البيت فلا يجوز الطواف ببيت غيره على وجه الأرض، لا بالأضربة ولا بالأشجار ولا بالأحجار ومن هنا يعلم الحاج أن كل طواف بغير البيت العتيق فهو باطل، وليس عبادة الله عز وجل، وإنما هو عبادة لمن شرعه وأمر به من شياطين الإنس والجن .

ومن مظاهر توحيد الله في الطواف بالبيت العتيق أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يعتقد أنه يستلمهما لأنهما من شعائر الله فهو يستلمهما طاعة لله واقتداء برسوله ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبله والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

ومن مظاهر التوحيد أن الطائف بالبيت العتيق يصلي خلف مقام إبراهيم ركعتين خفيفتين يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وسورتي الإخلاص، فيقرأ في الأولى سورة البراءة من الشرك قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ الْكَافِرُونَ ، ، ويقرأ في الثانية سورة الإخلاص التي هي صفة الرحمن والتي تعدل ثلث القرآن .

• التلبية شعار المؤمنين الموحدين! :

التلبية شعار الحجيج منذ نادى إبراهيم في الناس بالحج ممتثلاً قول الله تعالى: ((وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)) (سورة الحج)

لقد كان العرب في الجاهلية يحجون ويلبون، ولكنهم يلبسون حجهم وتلبيتهم بما كانوا عليه من الشرك بالله فيقولون «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»

وجاء النبي الخاتم ليعلن التوحيد ويهدم أركان الشرك، لبي بالتوحيد «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» وكان بعض الناس يزيد على تلبية رسول الله فلم ينكر عليهم ماداموا على التوحيد، ولكنه التزم هذه التلبية لا يزيد عليها، ففيها توحيد الله عز وجل، ونفي الشريك عنه، وإثبات الحمد والنعمة والملك لله وحده لا شريك له

وقد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يلبي بتلبية رسول الله وي زيد مع هذا «لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغبة إليك والعمل» رواه مسلم «لبيك مرغوباً ومرهوباً إليك، ذا النعماء والفضل الحسن» ابن أبي شيبة، كما ذكره ابن حجر فتح الباري

ويروى عن أنس «لبيك حجاً حقاً تعبدًا ورقاً»

وتبدأ التلبية عند الإهلال، وتستمر حتى يرى المعتمر الكعبة فيقطع التلبية ويبدأ الطواف، وتستمر مع الحاج حتى يرمي جمرة العقبة يوم النحر .

ويستحب رفع الصوت بالتلبية، فأفضل الحج العج والثج، والعج رفع الصوت بالتلبية، والثج إراقة الدماء يوم النحر أي ذبح الهدى والأضحية .

وفي الحديث يقول النبي «أتاني جبريل فقال يا محمد، مُر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج» رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي «صحيح الجامع» .

وتكرار التلبية، وتكرار لفظ لبيك يفيد استمرار الإجابة أي إجابة بعد إجابة وقيل التلبية من اللزوم والإقامة، والمعنى أقمت ببابك إقامة بعد أخرى وأجبت نداءك مرة بعد أخرى، ولازمت الإقامة على طاعتك ولقد كان الصحابة يلون إذا دعاهم رسول الله فيقول الواحد منهم لبيك رسول الله وسعديك، فالتلبية لرسول الله متابعة هديه وسنته، والتلبية لله توحيد وطاعة، والمؤمن لا ينفك عن التلبية والإستجابة حتى يلقي الله عز وجل، ومن أحب لقاء الله أحب لقاءه، وبشرته الملائكة برضوان الله فاستبشر، ومن كره لقاء الله كره لقاءه .

وجزاء المستجيبين لله ولرسوله الجنة قال تعالى « لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ » « الرعد »

• السعي بين جبلي الصفا والمروة والدعاء والتهليل فيه :

لقد كان رسول الله يصعد جبلي الصفا والمروة ويسعى بينهما ممتثلاً أمر الله تعالى «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا » (البقرة)، فيبدأ بجبل الصفا قائلاً «أبدأ بما بدأ الله به» ثم يصعد الجبل ويرفع يديه مستقبلاً البيت معلناً توحيد الله قائلاً «لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم يدعو بما تيسر رافعا يديه، ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاث مرات (رواه مسلم)

• دعاء يوم عرفة واشتماله على التوحيد :

سار النبي بأصحابه إلي عرفة وكان من أصحابه الملبي، ومنهم المكبر، وهو يسمع ذلك ولا يُنكرُ على هؤلاء ولا على هؤلاء، فوجد القبة قد ضُربت له بنمرة بأمره، فنزل بها، حتى إذا زالت الشمس، أمر بناقته القصواء فرُحلت، ثم سار حتى أتى بطن الوادي من أرض عرنة فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة قرَّرَ فيها قواعد الإسلام، وهدَمَ فيها قواعد الشرك والجاهلية،

وقرّر فيها تحريم المحرّمات التي اتفقت المِللُ على تحريمها، وهي الدّماءُ، والأموالُ، والأعراضُ، ووضع فيها أمورَ الجاهلية تحت قدميه، ووضع فيها ربا الجاهلية كُلَّه وأبطله، وأوصاهم بالنساء خيراً، وذكر الحقّ الذي لهن والذي عليهن، وأن الواجبَ لهن الرزقُ والكِسوةُ بالمعروف، ولم يُقدّر ذلك بتقدير، وأوصى الأُمَّة فيها بالاعتصام بكتاب الله، وأخبر أنهم لن يضلُّوا ما داموا معتصمين به، ثم أخبرهم أنهم مسئولون عنه، واستنطقهم بماذا يقولون، وبماذا يشهدون، فقالوا نشهد أنك قد بلَّغْتَ وأدَّيْتَ ونصَحْتَ، فرفع أُصبعه إلى السماء، واستشهد الله عليهم ثلاثَ مرات، وأمرهم أن يُبلِّغَ شاهِدُهُم غائبَهُم، ثم صلى الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، فلما فرغ من صلاته، ركب حتى أتى الموقفَ، فوقف، واستقبل القبلةَ، فأخذ في الدُّعاء والتضرُّع والابتهال إلى غروب الشمس، وأمر النَّاس أن يرفعوا عن بطن عُرْنَةِ، وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك، بل قال «نحرتُ ههنا وَمِنِّي كُلُّهَا مَنْحَرٌ فَأَنْحَرُوا فِي رِحَالِكُمْ. وَوَقَفْتُ ههنا وَعِرْفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ. وَوَقَفْتُ ههنا وَجَمَعْتُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ». رَوَاهُ «مُسْلِمٌ» وكان في دعائه رافعاً يديه إلى صدره كاستِطْعَامِ المسكين، وأخبرهم أن خَيْرَ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ .

• الحج يذكر بمواطن ومشاهد الآخرة :

ويتجلى هذا حينما يترك الحاج وطنه وبلده وأهله وولده قادماً على الله عز وجل، فيتجرد من ثيابه ويلبس إزاراً ورداءً أبيضين نظيفين كأنهما أكفان الموتى، ويقف مع الحجيج على صعيد عرفات فيتذكر الموقف العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين

قال بعض العلماء من أعظم معاني التوحيد في الحج أن الحج يذكر الإنسان بالآخرة، فإن الإنسان من أول لحظة في الحج إذا خرج من بيته يتوجه إلى الميقات، فيأتيه أمر الله عز وجل في الميقات أن يتجرد من ثيابه، وأن ينزع عنه المخيط فإذا تجرد من ثيابه تذكر إذا جرده أهله من ثيابه حين يموت ليغسلوه، هو اليوم يجرد نفسه؛ ولكنه غداً يجرّدُ ثم إذا لبس ثياب الإحرام فإنه يتذكر لبس الأكفان، وعندما يلبس ثياب الإحرام فإنه يمنع من الطيب، ومن قص الشعر، ومن الترفه، فيتذكر أنه إذا صار إلى قبره يحال بينه وبين أي شيء من ملاذ الدنيا ومتعتها وما فيها من الشهوات والملهيات، كذلك هو في حجه يُمنع من هذه الأمور لكي يتذكر الآخرة .

ثم إذا صار إلى صعيد عرفات تذكر وقوف الناس بين يدي الله عز وجل حفاة عراة غرلاً، فيتذكر مثل هذه المواقف؛ ولذلك يقولون الحج يعين على تذكر الآخرة .

فالحاج يأتي ربه ذاكرًا مليبًا مستجيبًا، قد تجرد من دنياه، وترك بلده وأرضه وأهله وثياب زينته، وأقبل على الله أشعث أغبر مُحْرِمًا، يلبي ويكبر، ويدعو ويستغفر، ويقف عند المشاعر وقد تملكته مشاعر الحب والرغبة والرغبة والخوف والرجاء، ولا يفتر قلبه ولا لسانه عن ذكر ربه وخالقه ومولاه! وقد أمر الله عز وجل الحاج بذكره، وكرر الأمر في مواضع من كتابه العزيز، حتى لا تكاد تجد آية في كتاب الله عز وجل تخاطب الحاج إلا وتجد فيها الأمر بذكر الله عز وجل .

قال تعالى «أَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ»

« وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ

اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » «البقرة» وقد ختمت هذه الآيات بذكر الله تعالى

تنويهاً بختام الحج بالذكر، فكما يبدأ الحج بالذكر ينتهي بالذكر

فانظر رحمك الله إلى هذه العبادة الجليلة وما فيها من المشاعر التي تجيش لها المشاعر فتنبض

القلوب المؤمنة بذكر الله عز وجل وإعلان الاستجابة لندائه سبحانه والتوجه إليه وحده لا شريك له

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن وأن يملأ

قلوبنا بطاعته ومحبته وتعظيمه وخشيته، وأن يرزقنا حج بيته، وأن يقبل عباده الذاكرين المليين،

وأن يردهم إلى أهليهم سالمين غانمين بحج مبرور وذنب مغفور وآخر دعوانا أن الحمد لله رب

العالمين وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حول اسم الله الوكيل

العناصر

- * معاني اسم الله الوكيل .
- * وروده في القرآن والسنة .
- * الفرق بين التوكل والاتكال .
- * آثار الإيمان باسم الله تعالى الوكيل.
- * كيف نُحقق التوكل على الله؟

الله سبحانه وتعالى هو الوكيل الذي توكل بالعالمين خلقًا وتدبيرًا ، وهداية وتقديرًا .. فهو المتوكل بخلقه إيجابًا وإمدادًا ، كما قال تبارك وتعالى : (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [الزمر: ٦٢] .

والوكيل الكفيل بأرزاق عباده ومصالحهم ، وهو سبحانه وكيل المؤمنين الذين جعلوا اعتقادهم في حوله وقوته ، وخرجوا من حولهم وطولهم وآمنوا بكمال قدرته ، وأيقنوا أنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، فركنوا إليه في جميع أمورهم ، وجعلوا اعتمادهم عليه في سائر حياتهم ، وفوضوا إليه الأمر قبل سعيهم واستعانوا به حال كسبهم ؛ وحمدوه بالشكر بعد توفيقهم ، والرضا بالمقسوم بعد ابتلائهم .. قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [الأنفال: ٢] .

معنى الاسم في حق الله تعالى :

عند أهل اللغة معناه يقال (وِكَلَ بالله وتوكل عليه واتكل ، أي : استسلم له ، ويقال : توكل بالأمر إذا ضمن القيام به ، ووكلت أمري إلى فلان ، أي : ألبتته إليه واعتمدت فيه عليه ، ووكل فلان فلانًا : إذا استكفاه أمره ، إما ثقةً بكفائته أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه .. ووكيلا : حفيظًا .. ووكل إليه الأمر ، أي : سلمه ، ووكله إلى رأيه ، أي : تركه)

ومعناه في حق الله يتضمن (الكفيل والكافي والحفيظ)

قال الفراء في قوله تعالى : (.. فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) [المزمل: ٩] أي : كفيلاً بما وعدك ، وقال في قوله تعالى : (أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا) [الإسراء: ٢] أي : كافياً ورباً وقال في قوله تعالى : (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) [يونس: ١٠٨] ؛ يعني: وما أنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم، ولا أنا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين بالله، وإنما أنا نذير لكم، والهداية على الله تعالى ” (ابن كثير).

فمن ذا الذي لجأ إليه وأدبر عنه؟! .. فهو سبحانه لا يخذل من لجأ إليه بصدقٍ أبداً .

ورود اسم الوكيل في القرآن والسنة : وقد ورد اسم الوكيل في القرآن الكريم أربع عشرة مرة .

قال تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران: ١٧٣] (إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [هود: ١٢] (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) [المزمل: ٩] .

وورد اسم (الوكيل) مُطلقاً مُعرفاً في قول الله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران: ١٧٣] وورد في عدة مواضع أخرى مقروناً بمعاني العلو ، والعلو يزيد الإطلاق كمالاً على كمال ورد في قوله تعالى : (ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [الأنعام: ١٠٢] .

أما وروده في السُّنَّة النبوية .. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ حِينَ قَالُوا : " إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " [البخاري]

الفرق بين التوكُّل والاتكال :

التوكل المأمور به هو : الأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النجاح لله والثقة بأنه لا يُضيع أجر من أحسن عملاً .. أما إن قعد عن الأسباب ولم يسع في إتخاذها ، فليس هذا من التوكُّل في شيء وإنما هو اتكالٌ وتواكل حذرنا منه النبي ﷺ .

عَنْ مُعَاذٍ قَالَ : كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ : " يَا مُعَاذُ ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟ " قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : " فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ

يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ ، قَالَ : " لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَبَّرُوا " [متفق عليه] .

فهنا يضع الرسول قاعدة جليلة ، هي : إن كل ما يؤدي إلى ترك العمل أو يكون مظنة للاتكال والتواكل فليس من التوكل في شيء .

فالاتكال يعني : ترك العمل وعدم الأخذ بالأسباب .

آثار الإيمان باسم الله تعالى الوكيل :

(١) أن الله سبحانه وتعالى هو القائم بأمر الخلائق أجمعين والمتكفل برزقهم وإيصاله لهم ، والرعاية لمصالحهم ، وما ينفعهم في دنياهم وأخرهم .. ويلزم من كونه سبحانه وتعالى وكيلاً ، أن يكون حياً ، قوياً ، عليماً ، قديراً ، رحيماً ، حكيمًا ، جوادًا ، كريماً ، يفي بعهده ويصدق خلقه وعده .. إلى غير ذلك من الأوصاف الجليلة اللائقة بكماله وعظمته جلَّ جلاله .

قال القرطبي : (فيجبُ على كل مؤمن أن يعلم أن كلَّ ما لا بدَّ له منه ، فالله سبحانه هو الوكيل والكفيل المتوكل بإيصاله إلى العبد ، إما بنفسه فيخلق له الشَّعب والرِّي كما يخلق له الهداية في القلوب ، أو بواسطة سبب كمك أو غيره يوكل به) .

(٢) الفرق بين وكالة الخالق ووكالة المخلوق :

فالعبد قد يشترك مع الخالق سبحانه وتعالى في بعض دلالات الأسماء الحسنى ؛ كالسمع والبصر والحياة وغيرها من الصفات .. وهذا لا يعني التشابه في الصفات لمجرد الاشتراك في الأسماء ؛ فأين سمع الإنسان من سمع الرحمن ، وأين بصره من بصره سبحانه وتعالى ، وأين علمه من علمه .. وأين التراب من ربِّ الأرباب سبحانه وتعالى؟! .

وإذا كان بعض الخلق قد يتوكل بغيره من الضعفاء واليتامى والمساكين والأرامل ، فلا يعني هذا أنه قد شابه الله تعالى في صفته ، فإن هذا المتوكل بأمر غيره هو نفسه محتاجٌ إلى رزق الله ومَعُونته ورحمته وفضله .

(٣) الزهد في الدنيا وما فيها :

فلا يركن على أحد سوى الله ، ويعلم أنه وحده سبحانه وتعالى الذي يكشف عنه الضرر .. وأنت عندما تُبتلى ، هل تهرع إلى الله وتركن بقلبك عليه ؟ أم تعتمد على منصبك ومعارفك ؟ فإذا ركنت إلى أي من تلك الأمور الدنيوية ، اعلم أن هناك قدح في إيمانك بهذا الاسم .

(٤) تحقيق معنى التوكل :

يقول تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا " [الأحزاب:٣] .

ويقول: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدْنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) [الفرقان:٥٨] لِمَ تتوكل على عباد يموتون ويفنون ولا يقدرّون على نفعك أو ضررك؟! توكل على الحي الذي لا يموت .

وقال سبحانه وتعالى: (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [هود:١٢٣] فلو كُشِفَ الحجاب ورأينا مآلات الأمور ، لرضي كل واحد منا بقدر الله سبحانه وتعالى .. فوكل له أمرك ؛ فإنه يعلم ما لا تعلمه وهو سبحانه وتعالى يُقدّر لك الخير .

كيف نحقق التوكل على الله؟

معنى التوكل : صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة .. وهو الثقة فيما عند الله واليأس مما في أيدي الناس .

فلا يعطي ولا يمنع ولا ينفع ولا يضر سوى الله جلّ وعلا ؛ ولا يستقيم التوكل بدون الأخذ بالأسباب .. يقول ابن القيم : " فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه ، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل .

(ولكن من تمام التوكل : عدم الركون إلى الأسباب ؛ وقطع علاقة القلب بها .. فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها) [مدارج السالكين] .

فالتوكل مطلوب في كل لحظة من حياتك .. لكن هناك مواطن معينة جاء الشرع بالحض عليها وهي خمس عشرة موطنًا :

(١) إن طلبت النصر والفرج ، فتوكل على الله : قال تعالى : " إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " [آل عمران: ١٦٠] .

(٢) إذا عرضت عن أعدائك ورفقاء السوء ، فليكن رفيقك التوكل : قال تعالى :
" .. فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا " [النساء: ٨١] .

(٣) إذا عرض عنك الخلق ، فتوكل : قال تعالى : " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ " [التوبة: ١٢٩] فلا تضعف وتتذبذب إذا عرض الناس عن دعوتك إياهم للخير ، بل ثق في الله وتوكل عليه .

(٤) إذا تلوت القرآن أو تلي عليك ، فاستند على التوكل : ثق في إن هذا البيان هو الحق من ربك واخلع لحكمه ، قال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " [الأنفال: ٢]

(٥) إذا طلبت الصلح والإصلاح بين قوم ، لا تتوسل إلى ذلك إلا بالتوكل : يقول الله تعالى :
" وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " [الأنفال: ٦١] .

(٦) إذا وصلت قوافل القضاء ، استقبلها بالتوكل : " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " [التوبة: ٥١] .

(٧) إذا نصبت الأعداء جبال المكر ، ادخل أنت في أرض التوكل : " وَاتُّلِ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ " [يونس: ٧١] .

(٨) وإذا عرفت أن مرجع الكل إلى الله وتقدير الكل منه سبحانه ، وطئن نفسك على فرش التوكل :
" وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ " [هود: ١٢٣] .

(٩) إذا علمت أن الله هو الواحد على الحقيقة ، فلا يكن اتكالك إلا عليه : " .. قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ " [الرعد: ٣٠] .

(١٠) إذا عرفت أن هذه الهداية من عند الله تعالى ، فاستقبلها بالشكر والتوكل : " وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ " [إبراهيم: ١٢] .

(١١) إِذَا خَشِيتَ بِأَسْ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، وَالشَّيْطَانَ الْغَدَّارَ ، لَا تَلْتَجِئُ إِلَّا بِبَابِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ :
" إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " [النحل: ٩٩]

(١٢) إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَكَيْلَكَ فِي كُلِّ حَالٍ فَتَمَسَّكَ بِالتَّوَكُّلِ فِي كُلِّ حَالٍ: " وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا " [الأحزاب: ٣]

(١٣) إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى مِنْ ذَلِكَ أَنْزَلَ فِي مَقَامِ التَّوَكُّلِ: " الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " [العنكبوت: ٥٩] .

(١٤) إِنْ شِئْتَ النُّزُولَ مَحَلَّ الْمَحَبَّةِ ، اقْصِدْ أَوَّلًا طَرِيقَ التَّوَكُّلِ : " .. فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " [آل عمران: ١٥٩] .

(١٥) إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ ، وَتَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ ، فَاسْتَقِرَّ عَلَى بَابِ التَّوَكُّلِ : " .. وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .. " [الطلاق: ٣] " فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ " [النمل: ٧٩] .

الدعاء باسم الله الوكيل :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدِ انْتَمَ الْقُرْنِ، وَاسْتَمَعَ

الْأُذُنَ مَتَى يُؤْمَرُ، فَيَنْفُخُ» فَاسْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «

" قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " " [رواه الترمذي وصححه الألباني] .

وهو من الأذكار المهجورة التي ينبغي على كل من يؤمن باليوم الآخر ويخشى أهواله أن يُكثر

من ترديده . ومما ورد من الدعاء بالوصف .. قول الرسول ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " دعوات المكروب : اللهم

رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت "

[رواه أبو داود وحسنه الألباني، صحيح الجامع] .

كيف نستقبل عشر ذي الحجة؟

العناصر :-

- * كيف نستقبل عشر ذي الحجة؟
- * فضائل عشر ذي الحجة .
- * فضل العمل في عشر ذي الحجة .
- * الأعمال المستحبة في عشر ذي الحجة .

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... وبعد:

فمن فضل الله تعالى على عباده أن جعل لهم مواسم للطاعات، يستكثرون فيها من العمل الصالح، ويتنافسون فيها فيما يقربهم إلى ربهم، والسعيد من اغتنم تلك المواسم، ولم يجعلها تمرّ عليه مروراً عابراً. ومن هذه المواسم الفاضلة عشر ذي الحجة، وهي أيام شهد لها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل أيام الدنيا، وحث على العمل الصالح فيها؛ بل إن الله تعالى أقسم بها، وهذا وحده يكفيها شرفاً وفضلاً، إذ العظيم لا يقسم إلا بعظيم لشرف زمانه أو مكانه.

وهذا يستدعي من العبد أن يجتهد فيها، ويكثر من الأعمال الصالحة، وأن يُحسِن استقبالها واغتنامها. وفي هذه الموعظة بيان لفضل عشر ذي الحجة وفضل العمل فيها، والأعمال المستحبة فيها. نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الاستفادة من هذه الأيام، وأن يعيننا على اغتنامها على الوجه الذي يرضيه.

■ بأيّ شيءٍ نستقبل عشر ذي الحجة؟

حريٌّ بالمسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة، ومنها عشر ذي الحجة بأمر:

١- التوبة الصادقة:

فعلى المسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة بالتوبة الصادقة والعزم الأكيد على الرجوع إلى الله، ففي التوبة فلاحٌ للعبد في الدنيا والآخرة، يقول تعالى:

{ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: من الآية ٣١].

٢- العزم الجاد على اغتنام هذه الأيام:

فينبغي على المسلم أن يحرص حرصاً شديداً على اعمار هذه الأيام بالأعمال والأقوال الصالحة، ومن عزم على شيء أعانه الله وهياً له الأسباب التي تعينه على إكمال العمل، ومن صدق الله صدقه الله، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩].

٣- البُعد عن المعاصي:

فكما أن الطاعات أسبابٌ للقرب من الله تعالى، فالمعاصي أسبابٌ للبعد عن الله والطرد من رحمته، وقد يُحرّم الإنسان رحمة الله بسبب ذنبٍ يرتكبه فإن كنتَ تطمع في مغفرة الذنوب والعتق من النار فأحذر الوقوع في المعاصي في هذه الأيام وفي غيرها. ومن عرف ما يُطلب هانً عليه كل ما يبذل. فاحرص أخي المسلم على اغتنام هذه الأيام، وأحسن استقبالها قبل أن تفوتك فتندم، ولات ساعة مندم.

فضائل عشر ذي الحجة :

١- أن الله تعالى أقسم بها:

وإذا أقسم الله بشيءٍ دلّ هذا على عِظَم مكانته وفضله، إذ العظيم لا يُقسم إلا بعظيم لشرف زمانه أو مكانه، قال تعالى: {وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر: ١-٢]. والليالي العشر هي عشر ذي الحجة، وهذا ما عليه جمهور المفسرين والخلف، وقال ابن كثير في تفسيره: وهو الصحيح.

٢- أنها الأيام المعلومات التي شرع فيها ذكره:

قال تعالى: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} [الحج: من الآية ٢٨]، ونقل ابن رجب قول جمهور العلماء على أن الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة، منهم ابن عمر وابن عباس.

٣- أن رسول الله ﷺ شهد لها بأنها أفضل أيام الدنيا:

فعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَفْضَلَ أَيَّامِ الدُّنْيَا الْعَشْرُ» -يعني عشر ذي الحجة- . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَلَا مِثْلَهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا مِثْلَهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ عَفَّرَ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ» [رواه البزار وصححه الألباني].

٤- أن فيها يوم عرفة:

ويوم عرفة يوم الحج الأكبر، ويوم مغفرة الذنوب، ويوم العتق من النيران، ولو لم يكن في عشر ذي الحجة إلا يوم عرفة لكفاها ذلك فضلاً، وقد خصَّ النبي ﷺ صيام يوم عرفة من بين أيام عشر ذي الحجة بمزيد عناية، وبين فضل صيامه فقال: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» [رواه مسلم].

٥- أن فيها يوم النحر:

وهو أفضل أيام السنة عند بعض العلماء، قال ﷺ «أَعْظَمُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقُرْبِ» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

٦- اجتماع أمهات العبادات فيها:

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: "والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادات فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره".

فضل العمل في عشر ذي الحجة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ» -يعني أيام العشر- . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟! فَقَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ» [رواه البخاري].

فدل هذا الحديث وغيره على أن كل عمل صالح يقع في أيام عشر ذي الحجة أحب إلى الله تعالى من نفسه إذا وقع في غيرها، وإذا كان العمل فيهن أحب إلى الله فهو أفضل عنده.

ودلّ الحديث أيضاً على أن العامل في هذه العشر أفضل من المجاهد في سبيل الله الذي رجع بنفسه وماله، وأن الأعمال الصالحة في عشر ذي الحجة تضاعف من غير استثناء شي •

الأعمال المستحبة في عشر ذي الحجة:

إذا تبيّن لك أخي المسلم فضل العمل في عشر ذي الحجة على غيره من الأيام، وأن هذه المواسم نعمة وفضل من الله على عباده، وفرصة عظيمة يجب اغتنامها، إذ تبيّن لك كل هذا، فحريّ بك أن تخصّ هذه العشر بمزيد عناية واهتمام، وأن تحرص على مجاهدة نفسك بالطاعة فيها، وأن تُكثر من أوجه الخير وأنواع الطاعات، فقد كان هذا هو حال السلف الصالح في مثل هذه المواسم، يقول أبو عثمان النهدي: "كانوا -أي السلف- يُعظّمون ثلاثة أعشار: العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم".

ومن الأعمال التي يُستحبّ للمسلم أن يحرص عليها ويكثر منها في هذه الأيام ما يلي:

١- أداء مناسك الحج والعمرة.

وهما أفضل ما يعمل في عشر ذي الحجة، ومن يسّر الله له حج بيته أو أداء العمرة على الوجه المطلوب فجزاؤه الجنة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» [متفق عليه].

والحج المبرور هو الحج الموافق لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، الذي لم يخالطه إثم من رياءٍ أو سُعة أو رقتٍ أو فسوق، المحفوف بالصالحات والخيرات.

٢- الصيام:

وهو يدخل في جنس الأعمال الصالحة، بل هو من أفضلها، وقد أضافه الله إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه في الحديث القدسي: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» [متفق عليه].

وقد خصّ النبي صلى الله عليه وسلم صيام يوم عرفة من بين أيام عشر ذي الحجة بمزيد عناية، وبين فضل صيامه فقال: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» [رواه مسلم].

و عليه فيُسنّ للمسلم أن يصوم تسع ذي الحجة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حث على العمل الصالح فيها. وقد ذهب إلى استحباب صيام العشر الإمام النووي وقال: صيامها مُستحبٌ استحباباً شديداً.

٣- الصلاة:

وهي من أجل الأعمال وأعظمها وأكثرها فضلاً، ولهذا يجب على المسلم المحافظة عليها في أوقاتها مع الجماعة، وعليه أن يكثر من النوافل في هذه الأيام، فإنها من أفضل القربات، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» [رواه البخاري].

٤- التكبير والتحميد والتهليل والذكر:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ» [رواه أحمد وصحح إسناده أحمد شاكر]. وقال البخاري: "كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يُكَبِّران ويكبر الناس بتكبيرها. وقال: وكان عمر يُكَبِّر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيُكَبِّرون، ويُكَبِّر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً. وكان ابن عمر يُكَبِّر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً.

ويستحب للمسلم أن يجهر بالتكبير في هذه الأيام ويرفع صوته به، وعليه أن يحذر من التكبير الجماعي حيث لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من السلف، والسنة أن يُكَبِّر كل واحد بمفرده.

٥- الصدقة:

وهي من جملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في هذه الأيام، وقد حث الله عليها فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: ٢٥٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» [رواه مسلم].

وهناك أعمال أخرى يستحب الإكثار منها في هذه الأيام بالإضافة إلى ما ذكر، نذكر منها على وجه التذكير ما يلي:

قراءة القرآن وتعلمه، والاستغفار، وبر الوالدين، وصلة الأرحام والأقارب، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ اللسان والفرج، والإحسان إلى الجيران، وإكرام الضيف، والإنفاق في سبيل الله، وإمارة الأذى عن الطريق، والنفقة على الزوجة والعيال، وكفالة الأيتام، وزيارة المرضى، وقضاء حوائج المسلمين، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم إيذاء المسلمين، وصلة أصدقاء الوالدين، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وأداء الأمانات والوفاء بالعهد، وإغاثة الملهوف، وغض البصر عن محارم الله، وإسباغ الوضوء، والدعاء بين الأذان والإقامة، والذهاب إلى المساجد والمحافظة على صلاة الجماعة، والمحافظة على السنن الراتبة، والحرص على صلاة العيد في المصلى، وذكر الله عقب الصلوات، والحرص على الكسب الحلال، وإدخال السرور على المسلمين، والشفقة بالضعفاء، واصطناع المعروف والدلالة على الخير، وسلامة الصدر وترك الشحناء، وتعليم الأولاد والبنات، والتعاون مع المسلمين فيما فيه خير.

تنبيه مهم للغاية " إذا أراد أحد أن يضحي ودخل شهر ذي الحجة إما برؤية هلاله، أو إكمال ذي القعدة ثلاثين يوماً فإنه يحرم عليه أن يأخذ شيئاً من شعره، أو أظفاره أو جلده حتى يذبح أضحيته لحديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا رأيت هلال ذي الحجة، وفي لفظ: " إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره ". رواه أحمد ومسلم، وفي لفظ: " فلا يأخذ من شعره وأظفاره شيئاً حتى يضحي "، وفي لفظ: " فلا يمس من شعره ولا بشره شيئاً ".

وإذا نوى الأضحية أثناء العشر أمسك عن ذلك من حين نيته ولا إثم عليه فيما أخذه قبل النية.

والحكمة في هذا النهي أن المضحي لما شارك الحاج في بعض أعمال النسك وهو التقرب إلى الله تعالى بذبح قربان شاركه في بعض خصائص الإحرام من الإمساك عن الشعر ونحوه.

وهذا حكم خاص بمن يضحى ، أما من يضحى عنه فلا يتعلق به ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " وأراد أحدكم أن يضحى " ولم يقل أو يضحى عنه ؛ ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضحى عن أهل بيته ولم ينقل عنه أنه أمرهم بالإمساك عن ذلك . وعلى هذا فيجوز لأهل المضحي أن يأخذوا في أيام العشر من الشعر والظفر

وإذا أخذ من يريد الأضحية شيئاً من شعره أو ظفره أو بشرته فعليه أن يتوب إلى الله تعالى ولا يعود، ولا كفارة عليه ، ولا يمنعه ذلك عن الأضحية كما يظن بعض العوام . وإذا أخذ شيئاً من ذلك ناسياً أو جاهلاً ، أو سقط الشعر بلا قصد فلا إثم عليه ، وإن احتاج إلى أخذه فله أخذه ولا شيء عليه مثل أن ينكسر ظفره فيؤذيه فيقصه، أو ينزل الشعر في عينيه فيزيله، أو يحتاج إلى قصه لمداواة جرح ونحوه " قال النووي رحمه الله: " وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيمَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَنْ يُضْحِيَ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَرَبِيعَةُ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَدَاوُدُ وَبَعْضُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ: إِنَّهُ يَحْرُمُ عَلَيْهِ أَخْذُ شَيْءٍ مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ حَتَّى يُضْحِيَ فِي وَقْتِ الْأُضْحِيَّةِ ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُ: هُوَ مَكْرُوهٌ كَرَاهَةٌ تُنْزِيهِ وَلَيْسَ بِحَرَامٍ. . . " انتهى من شرح مسلم.

وهذا الحكم عام في كل من أراد أن يضحى، رجلاً كان أو امرأة. وقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله: ماذا يجوز للمرأة التي تتوي الأضحية عن نفسها وأهل بيتها أو عن والديها بشعرها إذا دخلت عشر ذي الحجة؟ فأجاب: " يجوز لها أن تنقض شعرها وتغسله، لكن لا تكده، وما سقط من الشعر عند نقضه وغسله فلا يضر " .

وكذا الشعر: تمشيطة. "فتاوى الشيخ ابن باز" (٤٧/١٨) وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

موعظة مودع

- * العناصر :-
- * أهم معالم رحلة الحج •
- * مبادئ سامية في خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم •
- * حرمة الدماء والأعراض •
- * حرمة الربا •
- * استوصوا بالنساء خيرا •
- * الاعتصام بالكتاب والسنة •
- * اشهاد الله في السماء على اكمال الدين والشريعة •

الحمد لله، الحمد لله الذي يسرَّ الحجَّ إلى بيته الحرام، أحمده - سبحانه - على كلِّ خيرٍ وفضلٍ مدرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين ربُّ الأنام، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خيرٌ من صلى وصام وحجَّ وقام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، صلاةً دائمةً إلى يوم الدين.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله •

أيها المسلمون عباد الله •

كلما جاء شهرُ ذي الحجَّة، وهلت مواقيتُ الحجِّ، تألَّقت صفحةً من تاريخ الإسلام، ووقفه من وقفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

■ أهم معالم رحلة الحج :

ومن أهم معالم رحلة الحج، إلى جانب أداء المناسك العبادية: تلك المعاني الجامعة، والمبادئ البليغة، التي خاطب بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين في حجة الوداع. مبادئٍ سُكِّبت مع عباراتها دموع الوداع، ومن أجل ذلك سُمِّيت: "خطبة الوداع" والتي قال فيها صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أُضِعَ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَكَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلَهُ هَذِيلٌ وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رَبَا أُضِعَ مِنْ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ

وَاسْتَحَلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِنَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُونَهُ فَإِنْ فَعَلَنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ تَرَكَتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكَثُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ لِلَّهِمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ « (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وفيها حذر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الشرك وحث على التوحيد، الشرك ذلك الداء الوبيل الذي يفتك بالإنسانية، ويحطم أصالتها، قال الله تعالى:

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [الحج: ٢٦].

ومن الشرك: ادعاء علم الغيب، وتلقي الوحي من السماء، والابتداع، وتقديس الناس، واتخاذ البشر وسائط عند الله، بهم تُقضى الحاجات، وتُغفر الزلات والسحر والكهانة والطواف بالقبور .

■ مبادئ سامية في خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم -

وفي خطبة الوداع، يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا».

هذه مبادئ خالدة لحقوق الإنسانية، فلصيانة الدماء قال تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)

[البقرة: ١٧٩]، ولصيانة الأموال قال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)

[المائدة: ٣٨]، ولصيانة الأعراض قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ)

[النور: ٢]، هذا لغير المحصن، أما المحصن فعقوبته الرجم حتى الموت.

يبني الإسلام الأمن في نفس المسلم، ويبني العلاقات الكريمة بين الناس في روابط إيمانية، أخوة

في الله لها حقوق وعليها مسؤوليات، أرحام تُوصل، برُّ لو الدين، حسن جوار، صُحبة وسكن

وزواج.

ومن مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام: أنه لا يجوز أن يؤذى إنسان في حضرة أخيه، ولا أن

يُهان في غيبته، سواءً أكان الإيذاء للجسم أو للنفس، بالقول أو بالفعل، حرّم الإسلام ضرب

الآخرين بغير حق، ونهى عن التنازير والهمز واللمز، والسخرية والشتم.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ يُقَبُّ حَمَارًا كَانَ يُضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَلْعَنُوهُ فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» .
(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

كفّل الإسلام الاحترام للمسلم بعد مماته، ومن هنا أمر بغسله وتكفينه، والصلاة عليه ودفنه، ونهى عن كسر عظمه، أو الاعتداء على جثته وإتلافها.
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ) وقال - صلى الله عليه وسلم - في خطبة الوداع: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ» .

■ حرمة الدماء والأعراض

لقد كانت الدماء في الجاهلية رخيصةً، وكانت النفس الإنسانية هينةً، فجاء الإسلام ليضع للحياة أسساً تحترم بها النفس الإنسانية، وتجعل قتلها دون مبرر جريمة في حق البشرية، قال تعالى:
(مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) [المائدة: ٣٢].

لقد كانت العصبية قبل البعثة عميقة الجذور، قوية البنيان، فاستطاع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجتث التمييز العنصري بكل صورته وأشكاله، من أرض كانت تحيي ذكره، وتهتف بحمده، وتتفاخر على أساسه، وحين كانت تتسلل إلى الصف المسلم في إحدى الغزوات بذرة غريبة في مجتمع طاهر، قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يرعى المسيرة: «(ما بال دعوى الجاهلية؟! دعوها؛ فإنها مُنْتَنَةٌ)؟!» . (رواه البخاري)

لم يرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن تظهر بينهم بوادر التمييز العنصري ولو كان في الألفاظ، فهذا أبو ذرٌّ يُعَيِّرُ رجلاً بأمه، ويُناديه: يا ابن السوداء! فيغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقول:
«أَعَيَّرْتَهُ بِأُمَّهِ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» . وهذا لا يسلب أبا ذرٍّ فضله بإسلامه وجهاده . عن
المعمر بن سويد، قال: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبْدَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمَّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمَّهِ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلَكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَفَفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» (رواه البخاري) «(الربذة) موضع قريب من المدينة. (حلة) ثوبان إزار ورداء. (غلامه) عبده ومملوكه. (عن ذلك) عن سبب

إلباسه عبده مثل ما يلبس لأنه خلاف المعهود. (سأببت) شاتمت. (رجلا) هو بلال الحبشي رضي الله عنه. (فغيرته) نسبته إلى العار. (بأمه) بسبب أمه وكانت سوداء فقال له يا ابن السوداء. (فيك جاهلية) خصلة من خصال الجاهلية وهي التفاخر بالأباء. (إخوانكم خولكم) الذين يخولون أموركم - أي يصلحونها - من العبيد والخدم هم إخوانكم في الدين أو الأدمية. (تحت أرجلكم) في رعايتكم وتحت سلطانكم. (يغلبهم) يعجزون عن القيام به]

✽ حرمة الربا .

وفي خُطبة الوداع، قال رسولُ الله - ﷺ - : « وَأَوَّلُ رِبَاً أُضْعُ مِنْ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَإِنَّهُ مَوْضِعٌ كُلُّهُ ».

حرّم الإسلامُ الرِّبَا لضرره، وكثرة مَفاسيده، فهو يُفسدُ ضميرَ الفرد، ويُفسدُ حياةَ الإنسانية بما يُشيعُ من الطمع، والشَّره، والأنانية، يُميتُ روحَ الجماعة، ويُسببُ العداوةَ ويزرعُ الأحقادَ، قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) [البقرة: ٢٧٥].

✽ استوصوا بالنساء خيرا .

وفي خُطبة الوداع، يقول رسولُ الله - ﷺ - :

«فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ».

لقد حَفِظَ الدينُ للمرأةِ حقوقَها، وكرَّمها أمَّا وزوجةً وبناتًا، جعلَ جَسَدَها حُرمةً لا يجوزُ النظرُ من أجنبيٍّ إليه، بعد أن كان للجميعِ حقًّا مُشاعًا، أعطاهَا حقَّ الإرثِ، وحقَّ العلمِ، سوَّى بينها وبين الرجلِ في الأجرِ والثوابِ، وفي التكاليفِ العباديَّةِ فاتَّقوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ.

✽ الاعتصام بالكتاب والسنة .

وفي خُطبة الوداع، قال رسولُ الله - ﷺ - : «تَرَكَتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ».

كتابُ الله يهْدِي للتي هي أقوم، في شؤونِ المُعاملات، والقضاءِ والحُكم، والمالِ والاقتصاد، والمعرفةِ والتربيةِ والتعليم، والأخلاق، والأمن والسلام، والرِّخاء الاقتصاديَّ .

قال الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) [الأعراف: ٩٦].

وقال تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) [نوح: ١٠ - ١٢].

وحين تخلَّى المسلمون عن هدي القرآن، صاروا شبيعا وأحزابا، يضرب بعضهم رقاب بعض، وهذا ما حذر منه الرسول - عليه وسلم - في حجة الوداع، فقد قال في بعض خطبها:

«لا تَرَجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». «أخرجه البخاري ومسلم»
* اشهاد الله في السماء على اكمال الدين والشريعة .

بعدهما بين رسول الله - عليه وسلم - ما بين في خطبته، قال للصحابة: ((وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟!)) قالوا: "نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك"، فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: ((اللهم اشهد، اللهم اشهد)). وفيه دليل على أن الله - عز وجل - في السماء، هذه هي العقيدة الصحيحة والإيمان الموافق للكتاب والسنة، ولا نقول كما يقول بعضهم: الله في كل مكان، أو أن الله ليس له مكان، كل هذه اعتقادات باطلة؛ لأن القرآن والسنة فيهما شفاء لما في الصدور، وقد جاء في القرآن

قوله تعالى: (أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) [الملك: ١٦].

وقد أقر النبي - عليه وسلم - الجارية التي سألتها: ((أين الله؟ قالت: في السماء، قال: "من أنا؟ قالت:

أنت رسول الله، عليه وسلم، قال: "أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ" ((أخرجه مسلم).

وهكذا رأينا كل من يسأل: أين الله؟ يبادر بفطرته ويقول: في السماء.

ففي الخبر مسألتان:

إحدهما مشروعية: قول المسلم: أين الله؟

وثانيهما: قول المسئول: في السماء. فمن أنكر هاتين المسألتين، فإنما ينكر على المصطفى - عليه وسلم .

فعلينا بالاتباع؛ ففيه النجاة، ولا داعي للتأويل، والتحريف، والتمثيل، ما دام أن النصوص واضحة ولا لبس فيها.

ويشهد الصحابة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أدى ما عليه، وما قصر في شيء، ونحن نشهد بذلك؛
فالنبي - عليه الصلاة والسلام- أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، فكشف الله به الغمّة،
فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه وعمل بسنته إلى يوم الدين،
فلنأخذ هذه الدروس التي ينفعنا الله - تعالى - بها، وعلينا اتباع السنّة، ولنبتعد عن كل بدعة؛ لأن
كل بدعة ضلالة، وقد جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (متفق عليه)
فعلينا باتباع السنة المطهّرة؛ حتى يطهر الله قلوبنا وأعمالنا من البدع والمحدثات.
وصلّ اللهم وسلّم وبارك على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - سبحانه اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا
أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ومضى عام من أعمارنا

العناصر •

- ✱ أهمية محاسبة النفس •
 - ✱ محاسبة النفس على الفرائض •
 - ✱ محاسبة النفس على أعمال الجوارح والقلوب •
 - ✱ وصية السلف للخلف في محاسبة النفس •
- ✓ أهمية محاسبة النفس

ينبغي للعبد أن يحاسب نفسه، وأن يتفقدّها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه. يأتي الكلام في هذه الموعظة، وقد تجاوزنا العام الهجري الذي مضى من أعمارنا ...

يقول الله -تبارك وتعالى- في محكم كتابه: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لخدٍ واتقوا الله إن الله خبيرٌ بما تعملون)[الحشر: ١٨] .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اجعلوا بينكم وبين غضب الله وعقابه وقايةً يمنعكم منه، بامتنال أوامره، واجتناب نهيه.

وفي هذا إشعار بأن الإيمان يقتضي سلوك سبيل التقوى.

ثم قال: (ولتنظر نفس ما قدمت لخدٍ) أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم، وعرضكم على ربكم.

(واتقوا الله) تأكيد على لزوم التقوى بعد الأمر به أولاً.

(إن الله خبيرٌ بما تعملون) فالله -جل جلاله- عالم بجميع أحوالنا، لا تخفى عليه منّا خافية، ولا يغيب عليه من أمرنا جليلٌ ولا حقيرٌ.

وهذا يوجب شدة الجدّ والاجتهاد في العمل الصالح، والبعد والابتعاد عن كلّ قبيح طالح.

قال العلامة السّعيدي -رحمه الله-: "هذه الآية الكريمة أصلٌ في محاسبة العبد نفسه، وأنّه ينبغي له أن يتفقّدها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه والتّوبة النّصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصّراً في أمر من أوامر الله بذل جهده واستعان برّبّه في تكميله وتتميمه" ا. هـ.

عباد الله: يأتي الكلام عن هذه الآية العظيمة، في هذه الموعظة، وقد تجاوزنا العام ، وها نحن ندخل في عام جديد والذي تمرّ أيامه مرّ السحاب، تجاوزنا هذا العام بما فيه من أفراح وأتراح، وبما كُتب علينا فيه من أفعال وأقوال؛ ونقص بفواته عامٌ من أعمارنا.

فمن كان في علم الله أنّه سيموت بعد عشرين سنة، فقد صارت تسعة عشر، ومن كان في علم الله أنّه سيموت بعد عشر سنين، فقد صارت تسع سنوات، ومن كان في علم الله أنّه سيموت بعد عام واحد، فلم يبق له في هذه الدّار إلا أشهر معدودات أو أيّام محدودات أو قل: ساعات قليلات، لا ندري على من سيأتي الدّور هذا العام، ومن تكون منيته فيه.

إنّه الموت الذي لا يفرق بين كبير أو صغير، ولا ذكر أو أنثى، ولا غني أو فقير، ولا صالح أو طالح -نسأل الله أن يلطف بنا وأن يحسن لنا ولكم الختام .

نعم -عباد الله-: قد مرّ علينا عام، بل مرّت علينا أعوام، ولا ندري؟ أنزداد بنقصان أعمارنا من الله قرباً، أو نزداد بها بعداً؟

ألا ومن أراد القرب من الله، وخفّة الحساب في الآخرة؛ فليسلك سبيل محاسبة النفس في الدّنيا، قال الحسن: "المؤمن قوام على نفسه، يحاسبها الله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة".

فإذا عرفتم هذا -عباد الله-: أفليس من الدّين ورجاحة العقل أن نستوقف أنفسنا وقفة نحاسب فيها أنفسنا عمّا بدر منّا في سالف الأزمان؟ أفليس من الحكمة أن نستوقف أنفسنا وقفة، بل وقفات نراجع فيها حساباتنا، وننظر؛ في أيّ درب أحكام شريعتنا تسير؟ ونتأمل؛ إلى أين أعمالنا تؤدي، إلى الجنة أم إلى السعير؟

✓ محاسبة النفس على الفرائض .

فلنتأمل حالنا مع الصلاة، وما أدراك ما الصلاة؟ فهل نحن مقيمين لها حق الإقامة، بحيث نفرح بها أمام الله يوم القيامة؟ أم أنّنا من الذين ضيّعوا أركانها وشروطها وواجباتها فما رعوها حق

رعابيتها؟ من الذين يسرعون في ركوعها، وينقرون سجودها؟ أين نحن من خشوعها؟ أين نحن من استحضار قلوبنا فيها؟ نخادع الله أم نخادع أنفسنا؟ أين الكثير منا من أدائها مع جماعة المسلمين؟ أين هذه الجموع المباركة في صلاة الفجر، والظهر والعصر، أين هي في المغرب والعشاء؟ سل نفسك: كم صلاة ضيعت فما صليت في الوقت المحدد شرعاً؟ كم ظهراً مع العصر جمعت؟ وكم عصراً مع المغرب جمعت؟ بل كم مرة جمعت الصلوات الخمس في وقت واحد؟ ثم -عباد الله-: من تهاون في صلاة فلم يصلّها لا في وقتها ولا في غير وقتها؟ فمن يصلّيها عنك أيها المسلم؟

هذا عن الصلّاة، أمّا عن الصّيام، لا يعرفه الكثير منّا إلّا في شهر رمضان، وكأننا قد أخذنا من عند الله الضمان بقبول صيام الفرض، أفلا نعلم أنّ صيام التّطوع من أهمّ فوائده أنّه يجبر ما في صيام الفرض من الخلل.

نعم، وأيّنا يسلم من هذا الخلل، ودليل ذلك واضح لا يُحتاج إلى كثير عناء في بيانه، ذلك أنّ الله - تعالى- يقول:

(يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصّيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتّقون) [البقرة: ١٨٣].

فإنّ أعظم ثمرات الصّيام: التّقوى، وأين هي التّقوى؛ وقد ملأنا الدينا بالمنكرات؟

فلنراجع أنفسنا ولنحسن فهم حقيقة الصّيام، ولنعلم أنّه من لم يدع قول الزور والعمل به، وجميع المعاصي، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه

هذا، ولا أنسى أن أشير إلى أنّه قد بدأت تظهر بادرة قبيحة، ألا وهي انتهاك حرمة هذا الشّهر الفضيل -نسأل الله أن يقتل جذورها، وأن لا يدع أحداً من أبناء الإسلام إلا ويوفق إلى صيام هذا الشهر وإقامة هذا الركن تمام الصّيام والقيام-.

وهذه صفحة عن الصّيام تطويها لنتفتح أخرى عن فريضة كادت تنسى بين بعض المسلمين، إنّها فريضة الزكاة، حتّى صارت عندهم على الخيار، من شاء أن يزكّي زكّياً، ومن لم يشأ لم يزك، وتحدثت أفواه أقوام: أنّ المال مالنا ونحن فيه أحرار وعلى كلّ؛ يوم القيامة نعرف من الحرّ في ماله ومن ليس بحرّ؟

يوم القيامة؛ (يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا) على ما يکنزون: (في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون) [التوبة: ٣٥].

ومن وفقهم الله لإيتاء الزكاة، هل هم يعطونها مستحقّيها؟ أم أنهم يحابون فيها أقاربهم ومعارفهم ممن لا حق لهم فيها؟

ثم هذه الأموال التي نتكلم عن زكاتها، هل نحن حريصين على مصادرها؟ هل نحن متحرّين فيها أن لا يكون دينار منها من الحرام؟ أم أننا من الذين لا يباليون ولا يهتمّنا من أين دخل هذا المال إلى رصيدنا؟

سواء من ربا أو رشوة، أو قمار أو بيع لمحرّم، من خمر، أو .. أو .. ، دخان أو مخدر، و.. وغيرها؟

ألا نعلم أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً؟

أم أنه لم يطرق سمعنا قطّ ما رواه أبو بكر الصديق مرفوعاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» «صحيح الجامع»

أمّا إذا كان المال حلالاً -وهذا ما نرجو أن يكو عليه الناس أجمعهم- فإننا بلا شكّ مقصرون في حسن استغلاله، وكثير منّا لا يبالي عن ماله فيما أنفقه، أفي الحلال أم في الحرام، ولكن هما سؤالان يوم القيامة بين يدي الله عن المال: "من أين اكتسبته؟ وفيما أنفقته؟"

فلنعدّ للسؤال جواباً، وللجواب صواباً.

هذا عن بعض عباداتنا ومعاملاتنا، فماذا عمّا أنعم الله علينا من جوارحنا؟

✓ محاسبة النفس على أعمال الجوارح والقلوب .

أيها الناس: أبصارنا؛ كم تجرّأت على المحارم فتجولت ها هنا، وها هنا؛ تنظر في الصّور المحرمة: نساء متبرجات، بل كاسيات عاريات، على شاشات التلفاز في المسلسلات، والبرامج الثقافية والنشرات، وفي الصحف والمجلات الخليعات، بل على الواقع في الشوارع والطرق، وخاصة في الأعياد والأعراس والحفلات، ناسين أو متناسين قول المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: "العينان تزنيان وزناهما النظر" أخرجه البخاري ومسلم.

هكذا، شكرنا لنعمة البصر؛ بإطلاق النظر، وكفناه عن كتاب الله وتلاوته، وتدبر معانيه، للعمل به، غضضناه عن قراءة كتب أهل العلم الموثوقة تفقها في الدين، رأينا المنكرات فما أنكرنا ولا نهينا.

من هذه العيون سألت دموع العاشقين لكرة القدم لخسارة فريقه، وما سألت لسماع كلام الله الذي لولن نزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله! من هذه العيون تسيل دموع بناتنا للقصص المؤثرة في الأفلام والمسلسلات، وما تسيل لما يجري في بلاد المسلمين من ظلم ونكال في مشارق الأرض ومغاربها!.

أما سمعنا؛ فقد سُخِّرَت لسماع كلِّ باطل من القول، على رأس ذلك مزامير الشيطان، بريد الزنا، ورقية الشيطان، من آلات الطرب واللَّهو من المعازف، وأصوات المخنثين من الرجال، والفاسقات الفاجرات من النساء، وأعرضنا عن سماع طيب القول من التلاوات العطرة لكتاب الله، وأعرضنا عن سماع الدروس والمواعظ، والعلم النافع، والنصح والتوجيه. ولا تحدثني عن اللسان؛ فما أصغر حجمه، وما أعظم جُرمه: أين المجالس التي تخلو من الغيبة والقدح في أعراض النَّاس والنميمة؟ أين هي من الألسن التي طهرت من الكذب في الجدِّ والهزل؟ أين هي من السَّلامة من السَّخريَّة من النَّاس؟ وأين .. وأين .. وأين؟ بل أعظم من ذلك كلُّه؛ القلب وما أدراك ما القلب، الذي لو صلح لصلح سائر الجسد، ولو فسد لفسد سائره.

قلوبنا أصبحت معلّقة بالدنيا، بالدَّرهم والدينار، أبت إلا أن تحلَّ عليها دعوة النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: " تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ " رَوَاهُ البُخَارِيُّ. قلوبنا امتلأت حقدا وبغضا على المسلمين، وامتلأت حبا لأعداء الله من الفاسقين • ألا وإنَّ " المرء مع من أحب يوم القيامة " (رواه البخاري ومسلم)

وقلوبٌ أخرى تعلّقت بغير الله، فأشركت به، واعتقدت أنّ أهل القبور من الأولياء والصّالحين يضرّون وينفعون، وفي هذا الكون مع الله يتصرّفون، فها هم يدعونهم وبهم يستغيثون، وآخرون في حلِّ مشاكلهم إلى السّحرة والكهّان والعرافين يلجؤون، إلى الذين يتعاملون مع الجنّ، ولا يتعاملون إلا بعد أن يشركوا بالله ويكفرون.

عباد الله: هذه جملة من مخازينا التي قضينا بها عامنا الفارط، بل أعوامنا، هذه جملة من مخازينا التي غفلنا عن محاسبة أنفسنا عنها، وهي جملة يسيرة، ووقفات قليلة، لو أردنا الإحاطة بكل ما نقع فيه لما وسع ذلك المجلدات، ولكن حسبنا الإشارة، فاللبيب بالإشارة يفهم.

عباد الله "حاسبوا أنفسكم قبل تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم". (يَوْمِئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) [الحاقة: ١٨]. أي يوم القيامة لا تخفى على الله خافية من أجسامنا ولا من أعمالنا، فالله -تعالى- عالم الغيب والشهادة. وفي هذا السياق، يقول الله -عز وجل- في آيتين تنفطر منها القلوب الحية، وتخر لها الجبال الراسية.

أما الأولى: فقوله جل وعلا: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) [الأنبياء: ٤٧]

أما الثانية: فقوله -جل وعلا-: (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) [الكهف: ٤٩].

فسبحان الله! ما أشد غفلتنا، وقد علمنا أن الله لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وما أعظم اغترارنا بفضل ورحمته، وقد عرفنا أنه لا يترك مثقال ذرة من الحسنات والسيئات إلا أتى بها.

✓ وصية السلف للخلف في محاسبة النفس

ولما عرف السلف الصالح عظم خطر الأمر، أخذوا أنفسهم على المحاسبة، ومحاسبة النفس مهمة في تجديد الإيمان يقول جل وعلا: (: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنتظرن أنفسن ما قدمت لعد و اتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) [الحشر: ١٨] . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا " ويقول الحسن لا تلقى المؤمن إلا وهو يحاسب نفسه، وقال ميمون بن مهران إن التقي أشد محاسبة لنفسه من شريك شحيح. وقال ابن القيم رحمه الله: وهلاك النفس من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها، فلا بد أن يكون للمسلم وقت يخلو فيه بنفسه فيراجعها ويحاسبها وينظر في شأنها، وماذا قدم من الزاد ليوم المعاد ، قال الحسن: "المؤمن قوام على نفسه، يحاسبها لله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة".

فضائل وآداب عيادة المريض

العناصر :

- * تدعيم روابط الأخوة الإيمانية .
 - * أداء بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم .
 - * التحلي بالفضائل والتأدب بالآداب الشرعية .
 - * الحصول على الأجور العظيمة والدرجات العالية .
 - * حسن الاقتداء بالسلف الصالح – رضوان الله عليهم .
- مقدمة :

إنّ من الآداب الرفيعة والأخلاق العالية التي حثّ عليها الشرع [عيادة المريض] ، وهي زيارته وتفقد أحواله ومواساته ، حيث جعلها الشرع من أولى حقوق المسلم على أخيه المسلم ، لما لها من تخفيف آلام المريض ، وتطبيب خاطره ، وإدخال السرور عليه ، وتعويضه بعض ما حرمه من القوة والصحة ، وكذا لما لها من آثار في تأليف القلوب وتدعيم روابط الأخوة ، ولذا كان من آداب السلف الصالح - رضوان الله عليهم - أنهم إذا افتقدوا أحدا من إخوانهم سألوا عنه ، فإن كان غائبا دعوا له ، وإن كان مريضا عادوه ، وإن كان مصابا واسوه وخففوا عنه.

المرض محن و منح :

- فالصحة والعافية غنيمة يجب على العبد ألا يضيعها كما قال صلى الله عليه وسلم : " اغتسبوا خمساً قبل موتكم .. " وذكر منها : [وصحتك قبل سقمك] [صحيح الترغيب والترهيب]
- فيجب على العبد أن يستثمر صحته في طاعة الله - عز وجل - قبل أن يفقدها ، فكم من غافل مغبون لا يستثمر نعم الله في طاعته ، كما قال صلى الله عليه وسلم " نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس الصّحة والفراغ " [صحيح البخاري]
- وأما الأمراض والأسقام فهي مما يُبتلى به العبد ، ويتجرع آلامها وأوجاعها ، ومع ذلك فهي لا تخلو من منح وعطايا ، لو تدبرها المبتلى أعانته على الصبر وتحمل الآلام ، بل وقادته إلى شكر المليك العلام سبحانه .

• فالأمراض مكفرات للخطايا والذنوب ، قال صلى الله عليه وسلم : " ما يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ ، وَلَا نَصَبٍ ،

وَلَا سَقَمٍ ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّىٰ الِهِمِّ يُهْمُّهُ ، إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ " [صحيح / مسلم]
• الأمراض والأوجاع تخرج العبد من الكبر والعجب والفخر والطغيان ، فالمرض يكسر القلب كائناً من كان صاحبه ، فإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء ليستفرغ به تلك الأمراض المهلكة ، ويحظى بقرب الله تعالى منه .

• والمرض علامة على إرادة الخير بالعبد ، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً :
" مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ " [البخاري]

• والعبد قد يكون له المنزلة في الجنة ، ولم يبلغها بعمله فيبتليه الله تعالى في جسده ليبلغها ، كما قال صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ فَلَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلٍ ؛ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ، ثُمَّ صَبَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا " [صحيح لغيره / الألباني ، صحيح الترغيب والترهيب]

• " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغْهَا بِعَمَلٍ ، فَمَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا " [حسن ، الألباني / صحيح الجامع]

• والعبد ما ابتلى بمرض إلا وهناك ما هو أشد منه قد عافاه منه ، فقد كان للفضيل - رحمه الله - ابنة صغيرة ابتليت بمرض في كفها ، فسألها يوم : يا بنيّة كيف حال كفك ؟ ، قالت : يا أبت بخير ، والله لأن كان الله تعالى ابتلى مني قليلاً فقد عافى مني كثيراً ، ابتلى كفي وعافى سائر بدني فله الحمد على ذلك .

• ولما أصيب عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - بالأكلة في إحدى رجليه فقطعت ، وفي نفس الوقت قتل الفرس أحد أبنائه ؛ قال : " اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لي أطراف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة ، ولئن ابتليت فقد عافيت ، ولئن أخذت لقد أبقيت " وغير ذلك كثير .

• ومع كل هذا فإن العبد يسأل الله العافية ، قال الحسن - رحمه الله : الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم " سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ " [صحيح ، الألباني صحيح الجامع]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَمَدَّ اللَّهُ فَشَمَّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ " .

[مسلم ، والبخاري في الأدب المفرد ، وأحمد] حتى بوب البخاري - رحمه الله - في صحيحه باب وجوب عيادة المريض ، قال ابن حجر - رحمه الله - جزم البخاري بالوجوب على ظاهر الأمر بالعبادة ، أي في قوله صلى الله عليه وسلم : " وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ ، عُوِدُوا الْمَرِيضَ ، وَفَكُّوا الْعَانِي " [البخاري]

قال ابن بطال : يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية ، أو للندب ، للحث على التواصل والألفة ، ونقل النووي الإجماع على أنها لا تجب ، قال الحافظ : أي على الأعيان ، واختار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : أنها فرض كفاية .

وكذلك استدلوا بحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : " خمسٌ تجبُ للمسلم على أخيه: ردُّ السلام، وتشميتُ العاطس، وإجابةُ الدعوة، وعبادةُ المريض، واتباعُ الجنائزِ " [صحيح الجامع]

وأكثر علماء العصر على أنها سنة مؤكدة ، لكنها تصبح واجباً عينياً أو كفايياً حسب ظروف معينة ، كتعين عيادة الولد لوالديه ، ومخاطبة العامة بعبادة من ليس له أحدٌ يعودُه أو يراعاه .

فإذا علم المؤمن أن من حق أخيه المريض عيادته وزيارته ، وتفقد أحواله ، اهتم بهذا الأمر ولازمه تأدية لذلك الواجب ، وطاعة الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وكذا لما في عيادة المريض من فوائد وثمار كثيرة وعظيمة .

والمريض الذي تجب عيادته هو الذي حبسه المرض عن الخروج إلى الناس ، وليس ذلك المريض الذي يخرج ويراه الناس .

فضائل و ثواب عيادة المريض:

١- عيادة المريض إتباع للسنة :

قال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : " إنا والله صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر ، فكان يعود مرضانا ، ويتبع جنازتنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير "

[أحمد – وحسنه شعيب الأرنؤوط فى الجامع الصحيح فى اللسنن والمسائيد]

٢- عائد المريض يحظى بدعاء الملائكة :

فعن أبي فاخنة قال : " أخذ علي رضي الله عنه بيدي وقال انطلق بنا إلى الحسن نعوده ، فوجدنا عنده أبا موسى رضي الله عنه ، فقال علي : يا أبا موسى : أعائدُ أنت ؟ ، قال : نعم قال سمعت رسول الله صلى الله يقول :

" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدُوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ حَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ "

[صحيح الترغيب]

٣- عيادة المريض من أسباب دخول الجنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : أَنَا ، قَالَ : " فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : أَنَا ، قَالَ : " فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : أَنَا ، قَالَ : " فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : أَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : " مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ " . [رواه مسلم]

٤- من عاد مريضاً حظي بنزول الرحمة والمغفرة :

فعن عمر بن الحكم بن رافع الأنصاري ، قال : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما يقول : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : " مَنْ عَادَ مَرِيضًا ، خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ ، حَتَّى إِذَا قَعَدَ اسْتَقَرَّ فِيهَا " . [البخاري في الأدب المفرد] .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ قَالَ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَذَا لِلصَّحِيحِ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ فَمَا لِلْمَرِيضِ مَالُهُ ؟ قَالَ ﷺ : تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ " .
(ضعيف الترغيب والترهيب)

٥- من عاد مريضاً حظي بالسعادة والنعيم :

وكان ممشاه إلى المريض كأنما يمشي في رياض الجنة ويتبوأ منها منزلاً ، فعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ ﷺ : جَنَاهَا " [مسلم]

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمَشَاكَ وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا " . [البخاري في الأدب المفرد وأحمد]

٦- عيادة المريض تُرقق القلب وتُذهب قسوته:

شكا رجل إلى أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وقال : يا أم المؤمنين إن بي داء ، فهل عندك من دواء ؟

قالت : وما داؤك ؟ ، قال : القسوة ، قالت : بأس الداء داؤك ؛ عد المرضى ، واشهد الجنائز ، وتوقع الموت .

آداب زيارة المريض وعيادته

فهناك جملة من الآداب الشرعية ينبغي الالتزام بها حتى تتحقق الحكمة من عيادة المريض ، فتكون للزائر تذكرة بنعم الله عليه بالصحة والعافية ، وينال من ورائها الثواب الجزيل ، وتكون للمريض تخفيفاً ومواساةً وتسليّةً ، وتثمر الألفة والمحبة بين أهل الإيمان .

من تلك الآداب :

١- اختيار الوقت المناسب للزيارة:

فلا يعود في وقت يظن انه قد يكون نائماً فيه ، أو وقت طعامه ، أو وقت الظهيرة صيفاً ، فالواجب مراعاة مصلحة المريض ؛ ويمكن الاستفسار عن الوقت المناسب من خلال الاتصال بمن يصاحبون المريض .

سئل الإمام أحمد - رحمه الله - عن زيارة المريض وقت الظهيرة ، فقال : لا ينبغي أن يعاد فيه مريض .

٢- الالتزام بالآداب العامة للزيارة:

يدق الباب برفق ، والتعريف بنفسه ، وغض البصر ، وعدم مقابلة الباب عند الاستئذان .

٣- عدم إطالة الزيارة:

قال صلى الله عليه وسلم : " يا أبا ذرٍّ ، زُرْ غِبًّا ، تَزِدْ حُبًّا " [الطبراني ، صحيح الترغيب والترهيب]

فإطالة الجلوس عند المريض ليس من الهدى النبوي إلا إذا كانت لمصلحة المريض أو بطلب منه .

٤- الدعاء للمريض بالشفاء والعافية :

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ : " أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبِّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا " . [البخاري ومسلم]

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما من عبدٍ مُسلمٍ يعودُ مريضًا لم يحضُرْ أجله، فيقول سبعَ مرَّاتٍ: أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أنْ يشفيكَ، إلَّا عوفي " [صحيح الجامع]

وله أيضاً : [إذا جاء الرَّجُلُ يعودُ مريضًا، فليقل: اللهم اشفِ عبدك، ينكأ لك عدوًا، أو يمشي لك إلى صلاة] [حسنه الألباني صحيح الجامع] .

٥- : أن يبعث فيه الأمل يطمئنه

فقد عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابياً فقال له : " لا بأسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ " [البخاري]

كما يقال : الحمد لله بسيطة إن شاء الله / أو : قدر الله و لطف ..

٤- أن يحمله على الصبر ويعده بعظم الأجر :

بمثل حديث أبي هريرة رضي الله عنهما " عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ " [أحمد ، البخاري ومسلم]

وحديث أنسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : " إِذَا ابْتَلَى اللهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ قَالَ لِلْمَلَكِ اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ فَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ " [أحمد والبخاري في الأدب المفرد]

٥- دعمه مادياً :

ولو في صورة هدية خاصة إذا كان بحاجة إلى ذلك ، لئلا يجتمع عليه عوز ومرض ؛ وكذا قضاء حوائجه التي يعجز عن قضائها لمرضه على قدر الإمكان والمستطاع .

٦- إرشاد المريض إلى فقه الطهارة والصلاة الخاصة بحالة المرض :

لما زار النبي صلى الله عليه وسلم عمران بن حصين - رضي الله عنه - وكان مريضاً فقال له : " صلِّ قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنبٍ " [صحيح / البخاري / ١١١٧]

٧- أحاديث ضعيفة في عيادة المريض :

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا دخلتَ على مريضٍ فمُرّه يدعو لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة " . [ضعيف جدا الألباني السلسلة الضعيفة ١٠٠٤]

حديث : [إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله فإن ذلك لا يرد شيئاً ويطيب نفسه] [الترمذي / ضعيف ، ضعفه الألباني وابن حجر]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : [كان رسول صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضاً إلا بعد ثلاث] [موضوع / الألباني السلسلة الضعيفة ٤٥١]

تقبل الله منا ومنكم

العناصر:-

- * خطبة رسول الله في حجة الوداع.
- * حرمة المسلم في دمه وعرضه وماله.
- * الإسلام يهدم شرائع الجاهلية.
- * الوصية بالنساء.
- * قصة الذبيح.
- * أحكام الأضحية.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم ... وبعد:

فمن فضل الله تعالى على عباده أن جعل لهم مواسم للطاعات، يستكثرون فيها من العمل الصالح، ويتنافسون فيها فيما يقربهم إلى ربهم، والسعيد من اغتنم تلك المواسم، ولم يجعلها تمرّ عليه مروراً عابراً.

عباد الله قد أظننا أشرف أيام العام عند الله عز وجل، ألا وهو يوم الأضحية، يوم العج والثج، يوم النحر، يوم يصبح فيه الحجيج مغفورا له، يوم الحج الأكبر.
الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ما حج المسلمون بيت الله الحرام، تلبية لنداء إبراهيم: ((وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا)) [الحج: ٢٧].
يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.
الله أكبر ما طافوا وسعوا وشربوا من ماء زمزم، الله أكبر ما هامت بهم مطايا الأشواق إلى عرفات.

الله أكبر ما ابتهلوا فيه إلى الله وغفرت لهم جميع السيئات، الله أكبر ما وقفوا بالمشعر الحرام شاكرين الله على ما هداهم إلى معالم السعادات، الله أكبر ما وصلوا إلى منى ونحروا هداياهم وحلق كل أو قصر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر لما نزل قول الله عز وجل: ((وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)) [آل عمران: ٩٧].

خرج النبي في السنة العاشرة من الهجرة، وخرج معه خلق كثيرون، فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر، وقال :
(خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا))
(أخرجه مسلم).

✽ خطبة رسول الله في حجة الوداع.

فلما كانوا بعرفة خطبهم رسول الله خطبة جامعة، أرسى فيها قواعد الإسلام، وهدم فيها قواعد الجاهلية، وعظم فيها حرمة المسلمين، فقال : ((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمَ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَكَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَهُ هُذَيْلٌ وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رَبَا أَضَعُ مِنْ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُونَهُ فَإِنْ فَعَلَنَّ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟)) قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِئُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ « (أخرجه مسلم) .

✽ حرمة المسلم في دمه وعرضه وماله.

فقوله : ((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا)) تعظيم لحرمة المسلم وكان ابن عباس رضي الله عنهما ينظر إلى الكعبة ويقول: ((إِنَّ اللَّهَ حَرَمَكَ وَعَظْمَكَ وَشَرْفَكَ وَالْمُؤْمِنَ أَعْظَمَ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ)) (لم أقف عليه من كلام ابن عباس رضي الله عنهما، وهو مروى عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(قال الألباني في صحيح الترمذي "حسن صحيح").

وروى مسلم عنه قال: ((كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)) (صحيح مسلم).

✽ الإسلام يهدم شرائع الجاهلية.

ثم قال : ((أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ)) أعز الله بهذا النبي الدين وأهله وأذل به الكفر وأهله، وجعل به كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.
وأول شيء هدمه رسول الله شرك الجاهلية، فأتاهم بلا إله إلا الله، شعار الإسلام وعلم التوحيد، كلمة نخلع بها جميع الآلهة الباطلة، ونثبت بها استحقاق الله عز وجل وحده للعبادة، فهو الخالق عز

وجل وما سواه مخلوق، وهو القاهر عز وجل وما سواه مقهور، قال الله عز وجل: ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) [الروم: ٤٠].

واعلموا عباد الله أن الأموات قد أفضوا إلى ما قدموا لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا: ((إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)) [فاطر: ١٤].

فلا تدعوا غير الله، ولا تذبحوا لغير الله، ولا تنذروا لغير الله، ولا تستغيثوا بغير الله، ولا تحلفوا بغير الله، ولا تحلفوا بالله إلا صادقين.

ومما هدمه رسول الله ووضع تحت قدمه حكم الجاهلية قال تعالى:

((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) [المائدة: ٥٠].

والتحاكم إلى شرع الله عز وجل من صلب العقيدة، من صلب التوحيد، من صلب لا إله إلا الله قال عز وجل: ((إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)) [يوسف: ٤٠].

ثم قال: ((ودماء الجاهلية موضوعة)) أهدر النبي دماء الجاهلية، وقال:

((وأول دم أضع من دماننا دم ابن ربيعة بن الحارث))، ثم قال: ((وربا الجاهلية موضوعة وأول

ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله)) فأبطل النبي ربا الجاهلية قال عز وجل: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِمَّ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَّا تَظْلَمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ)) (سورة البقرة: ٢٧٩، ٢٧٨)

وقال عز وجل: ((يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)) [البقرة: ٢٧٦].

فاحذروا عباد الله من التعامل مع الهيئات الربوية ومن العمل فيها .

* الوصية بالنساء.

ثم وصى النبي بالنساء فقال: ((فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن

بكلمة الله))، ومن تقوى الله في النساء أن نعلمهن دين الله عز وجل، وأن نلزمهن بالحجاب

الشرعي قال الله عز وجل: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ

جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ)) [الأحزاب: ٥٩].

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)) (أخرجه مسلم).

ثم استشهد أمته أنه قد بلغ رسالة ربه فقال : ((وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت)) ونحن نشهد بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنك قد بلغت وأديت ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، وجاهدت في الله حق جهاده، فجزاك الله عنا خير ما نبيا عن أمته.

* قصة الذبيح.

ومن شرف يوم النحر عباد الله أن الله عز وجل ابتلي فيه الخليل إبراهيم بذبح ولده فقال الله عز وجل: ((فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ))

[الصافات: ١٠٢-١٠٧].

بلاء مبین عباد الله، ولكنه الخليل إبراهيم الذي أسكن ولده الرضيع وأمه بواد غير ذي زرع، لا حسيس ولا أنيس، ولا زرع ولا ضرع، امتثالا لأمر الله عز وجل، ثم توجه إلى بيت الله فقال: ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ)) [إبراهيم: ٣٧].

بلاء مبین عباد الله، ولكنه الخليل إبراهيم الذي مدحه عز وجل بقوله: ((وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى)) [النجم: ٣٧].

بلاء مبین عباد الله، ولكنه الخليل إبراهيم الذي قال الله عز وجل فيه:

((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)) [البقرة: ١٢٤].

بلاء مبین عباد الله، أبُّ قد رزق ولدا على كبر، هو بكره ووحيدته، ولما صار الولد يسعى مع أبيه، يرى الأب في المنام أنه يؤمر بذبح ولده، ورؤيا الأنبياء وحي، واستجاب الأب لأمر الله وأثر رضاه على هوى نفسه، وأخبر الولد تطيبيا لخاطره، وحتى لا يأخذه قسرا ويذبحه قهرا، فما كان جواب الولد عباد الله؟ ما قال: ما ذنبي؟ ما قال: وهل تطاوعك نفسك أن تقتلني؟ فيحرك في أبيه عاطفة الأبوة، بل قال الولد الحليم: ((يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)) جواب سديد عباد الله من الغلام الحليم.

الوالد هو إبراهيم الخليل والولد إسماعيل عليه السلام جد نبينا ((فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ)) استسلم الابن للقتل وهمّ الوالد أن ينفذ أمر الله عز وجل، ووجه الغلام إلى الأرض، حتى لا يرى وجهه وهو يذبحه ما الحكمة التي أرادها الله عز وجل من ذبح أب لابنه؟ إنه الاختبار والابتلاء.

((لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَا يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)) [الحج: ٣٧].
ما الحكمة التي أرادها الله عز وجل من ذبح أب لابنه؟ إنه الاختبار والابتلاء.
((وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ)) [الصافات: ١٠٤-١٠٧].

✽ **أحكام الأضحية. عباد الله:**

✽ بادروا إلى ذبح الأضاحي بعد صلاة العيد، فالأضحية علم على الملة الإبراهيمية،

والشريعة المحمدية قال الله عز وجل: ((فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)) [الكوثر: ٢].

واعلموا عباد الله أن رسول الله لم يكن يدع الأضحية، وكان يضحى بكبشين أملحين

((عَنْ أَنَسٍ قَالَ: ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ قَالَ:

رَأَيْتَهُ وَاضَاعَا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا وَيَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»))

(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ - الْأَمْلَحُ هُوَ الْأَبْيَضُ الَّذِي يَخَالِطُهُ سَوَادٌ -) وكان ينحرهما بعد صلاة العيد، وأخبر أن

من ذبح قبل الصلاة فليس من النسك في شيء، وإنما هو لحم قدمه لأهله عَنِ الْبِرَاءِ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يَذْبَحُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ

وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

وكان من هديه اختيار الأضحية، واستحسانها، وسلامتها من العيوب، ولا يضحي بالعمياء
والعوراء، والعرجاء، والعجفاء، ومقطوعة الأذن، ومكسورة القرن، ومقطوعة الذنب، ويجوز من
الإبل ما استكمل: خمس سنوات، وفي البقر: سنتان، وفي الماعز: سنة، وفي الضأن: ستة أشهر،
أي: نصف سنة، فما دون ذلك لا يجزئ • ويستحب للمضحي أن يذبح بيده، إن كان يحسن الذبح،
ويستحب له أن يأكل من أضحيته، ويتصدق منها على الفقراء ويهدي منها لجيرانه وإخوانه، وفقنا
الله وإياكم لمراضيه، وجعل مستقبل حالنا وحالكم خيرا من ماضي .

فهل أنتم منتهون ؟؟؟؟؟؟؟
(مخاطر المخدرات على الفرد والمجتمع)

العناصر:-.

- * حفظ العقل من الضروريات الخمس .
- * خطورة المخدرات على الفرد والمجتمع .
- * لماذا نهرب من الواقع؟
- * المخدرات بأنواعها محرمة شرعاً .
- * عقوبات أخروية تنتظر مدمن الخمر والمخدرات.
- * نصيحة لتجار المخدرات .
- حفظ العقل من الضروريات الخمس :

لقد وهب الله الإنسان العقل وميَّزه به من بين الحيوانات والجمادات، ولقد جعل الله حفظ العقل من الضروريات الخمس التي حافظ عليها الإسلام وسد كل الطرق التي تخدش هذه الضروريات، وإن من الأسلحة التي تعد من أعظم أسلحة الدمار الشامل، والتي استخدمها أعداء الدين للفتك بأبناء المسلمين، ولقد نجحوا في ذلك للأسف، فوقع فيها كثير من المسلمين، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، فقيرهم وغنيهم، إلا ما رحم الله، إنها المخدرات بكل أنواعها.

أصبحت تجارة عالمية تقوم عليها دول وجماعات وأفراد، ولقد حرمت الخمر التي يدخل فيها كل ما خامر العقل وغطاه من المسكرات، وانتشرت الخمر في الجاهلية ، وحرمت في الإسلام ، رحمة بهذه الأمة، ولم يكن يتركها قبل الإسلام إلا عقلاء الناس، ترفعاً عن حركات يعملونها أثناء سكرهم وفقد عقلهم، ثم نزل تحريمها بالتدريج حتى أحكم الله تحريمها وأوجب فيها الجلد تعزيراً، وقيل حدًّا ليقلع الناس عنها رحمة بهم، فكم أزهقت من أرواح! وقُطعت من أطراف! وهُتكت من أعراض بسببها!!

✓ خطورة المخدرات على الفرد والمجتمع :

عباد الله: لو أخذنا في تعداد مضر المخدرات ل طال بنا الوقت، وهي معروفة لدى الجميع، ولكن نمر على أبرزها، فمن ذلك أن تعاطي المخدرات يحطّم إرادة الفرد المتعاطي؛ وذلك لأن تعاطي المخدرات، يجعل الفرد يفقد كل القيم الدينية والأخلاقية، ويتعطل عن عمله الوظيفي والتعليم مما

يقال إنتاجيته ونشاطه اجتماعياً وثقافياً، وبالتالي يحجب عنه ثقة الناس به، ويتحول بالتالي بفعل المخدرات إلى شخص كسلان سطحي، غير موثوق فيه ومهمل ومنحرف في المزاج والتعامل مع الآخرين.

كما أن من أضرارها الاجتماعية تشتت الأسرة إن لم تقع في نفس المستنقع..

ومن أضرارها الاجتماعية أن كل متعاطٍ للمسكرات غالباً ما يكون بائعاً لها؛ ليوفر مالا يشتري به وبذلك تنتشر المسكرات في المجتمع.

معاشر المسلمين: ما أكثر ما نسمع عن شاب قتل أمه أو أباه أو زوجته أو أبناءه، بسبب المخدرات، وكم من مدمن أوقع زوجته وأمه وأخته في المخدرات ليتكسب بهن بعد أن أفلس وباع كل ما يملك حتى أثاث البيت!! فأين أهل العقول والنهي الذين يفرقون بين الحق والباطل ويعرفون الضار من النافع.

عباد الله: لقد انتشرت بعض أنواع المخدرات في أواسط الناس بشكل مخيف ويحضرها تجار الحرام من البر والبحر والجو .

لا يكاد يمر أسبوع دون تنفيذ حكم إعدام أو سجن على مهربين قاموا بإدخال المخدرات إلى البلاد أو عقابهم .

لكن وبالرغم من تلك الأحكام الشديدة لا تزال معدلات تعاطي المخدرات في بلادنا في تزايد مستمر.

عباد الله: نحن نعيش في بلد مستهدف من كل الجوانب، من الداخل والخارج، وإن لم ننتبه لهذا الاستهداف فسنسقط في شباكهم، أعاذنا الله منهم ومن خططهم.

أمة القرآن، إذا كان الله -جل وعلا- قد أمر باجتنب الخمر، مُبيِّناً جملةً من أضرارها وأخطارها، ومُنَبِّهاً إلى أن تزيين شربها والإغراء بها من عمل الشيطان؛ ليوقع به العدوان والبغضاء بين المسلمين، ويصدِّهم عن ذكر الله، وعن الصلاة، ونحو ذلك مما ينقص الإسلام أو ينقضه، فقال - سبحانه -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) [المائدة: ٩٠ - ٩١].

وللتأكيد على خبث الخمر وشره، وشؤمه وسوء عواقبه دنيا وآخرة قرنه الله - عز وجل - بالأوثان والميسر والأزلام ونحوها، من كبائر وعظائم أهل الجاهلية التي أشقتهم في دنياهم، وجعلتهم من الأخسرين أعمالاً في أخراهم، المستوجبين لغضب الله ولعنته، والخلود في شديد عذابه وأليم عقابه.

✓ لماذا نهرب من الواقع؟

معاشر المؤمنين: لماذا نهرب من الواقع؟

من ابتلي هو أو ابنه أو بنته أو زوجته بمثل هذه المصائب، فليبادر بالعلاج، فليس بعيب، إنما العيب الاستمرار في الخطأ.

✓ فالمخدرات بأنواعها محرمة شرعاً :

قال الله تعالى: { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (المائدة/ ٩٠) والأمر بالاجتناب هو من أقوى الدلائل على التحريم وقد قرن الخمر بالأنصاب وهي آلهة الكفار وأصنامهم فلم تبق حجة لمن يقول إنه لم يقل هو حرام وإنما قال فاجتنبوه!!

وقد جاء الوعيد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم لمن شرب الخمر فعن جابر مرفوعاً:

" ... إن على الله عز وجل عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال " قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: " عرق أهل النار أو عصارة أهل النار " (رواه مسلم) .

وعن ابن عباس مرفوعاً: " من مات مدمن خمر لقي الله وهو كعابد وثن "

(رواه الطبراني - وهو في صحيح الجامع) .

وقد تنوعت أنواع الخمر والمسكرات في عصرنا تنوعاً بالغا وتعددت أسماؤها عربية وأعجمية

فأطلقوا عليها مسميات مختلفة وظهر في هذه الأمة الصنف الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله: "

ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها " (رواه الإمام أحمد - وهو في صحيح الجامع)

ويطلقون عليها مشروبات روحية بدلا من الخمر تمويها وخداعا (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا

يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (سورة البقرة - ٩). وهذه سنة إبليسية عندما سمي الشيطان

المعصية بغير اسمها فسمى المعصية بغير اسمها وقال هل أدلك على شجرة الخلد .

وقد جاءت الشريعة بالضابط العظيم الذي يحسم الأمر ويقطع دابر فتنة التلاعب وهو ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: " كل مسكر خمر وكل مسكر حرام " (رواه مسلم) . فكل ما خالط العقل وأسكره فهو حرام قليله وكثيره " ما أسكر كثيره فقليله حرام " (رواه أبو داود - وهو في صحيح أبي داود) ومهما تعددت الأسماء واختلفت فالمسمى واحد والحكم معلوم.

وهذه موعظة من النبي صلى الله عليه وسلم لشراب الخمر ومن يتعاطى المخدرات، قال عليه الصلاة والسلام: " من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا وإن مات دخل النار فإن تاب تاب الله عليه وإن عاد فشرب فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن مات دخل النار فإن تاب تاب الله عليه وإن عاد فشرب فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن مات دخل النار فإن تاب تاب الله عليه وإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من رذغة الخبال يوم القيامة قالوا يا رسول الله وما رذغة الخبال قال: عصارة أهل النار. (رواه ابن ماجه - وهو في صحيح الجامع) .

فإن شرب الخمر والمخدرات كبيرة من كبائر الذنوب.. وهي أم الخبائث.. ومفتاح كل شر.. تغتال العقل.. وتستنزف المال.. وتصعد الرأس.. وهي كريهة المذاق.. ورجس من عمل الشيطان؛ توقع العداوة والبغضاء بين الناس.. وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة.. وتدعو إلى الزنا.. وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم.. وتذهب الغيرة وتورث الخزي والندامة والفضيحة.. وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين.. وتهتك الأستار.. وتظهر الأسرار.. وتدل على العورات.. وتهوّن ارتكاب القبائح والمآثم.. وتخرج من القلب تعظيم المحارم.. ومدمنها كعابد وثن..

كم أهاجت من حرب؟.. وأفقرت من غني؟.. وذلت من عزيز؟.. ووضعت من شريف؟.. وسلبت من نعمة؟.. وجلبت من نقمة؟..

وكم فرقت بين رجل وزوجته؟.. فذهبت بقلبه وراحت بلبّه.

وكم أورثت من حسرة أو جرّت من عبرة؟..

وكم أغلقت في وجه شاربها باباً من الخير وفتحت له باباً من الشر؟..

وكم أوقعت في بلية وعجلت من منية؟..

وكم جرّت على شاربها من محنة؟..

فهي جماع الإثم ومفتاح الشر وسلابة النعم وجالبة النقم..

ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد لكفى بها من مصيبة.

وأفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا " أ. ه كلام ابن القيم رحمه الله من حادي الأرواح.
✓ عقوبات أخروية تنتظر مدمن الخمر والمخدرات.

وقد حذرنا الله منها في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى:

١- رَجِسُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَامُ رَجِسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة/٩٠)

٢- لعن الله شارب الخمر ... ففي سنن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم " لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا
وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ " (وصحه الألباني كما في صحيح أبي داود) .

٣- شبه النبي صلى الله عليه وسلم مدمن الخمر بعباد الوثن.. فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:
" مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثْنٍ " (رواه ابن ماجه - وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه) .

٤- الحرمان من دخول الجنة لمن أدمن على شرب الخمر فعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يدخل الجنة مدمن خمر " (رواه ابن ماجه - وصحه الألباني في صحيح ابن ماجه) .

٥- أمّ الخبائث .. عن عثمان رضي الله عنه قال: " اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ
مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ تَعَبَدَ، فَعَلَّقَتْهُ (أَيَّ عَشِيقَتِهِ وَأَحَبَّتِهِ) امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا فَقَالَتْ لَهُ إِنَّا
نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَعْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ
وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيئَةٌ خَمْرٌ (أَيَّ إِنَاءٍ) فَقَالَتْ إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ
عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأَسَا أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ قَالَ فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأَسَا فَسَقَتْهُ
كَأَسَا قَالَ زِيدُونِي فَلَمْ يَرَمْ (أَيَّ فَلَمْ يَبْرَحْ وَلَمْ يَتْرُكْ ذَلِكَ) حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا وَقَتَلَ النَّفْسَ فَاجْتَنَبُوا الْخَمْرَ
فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا لِيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ..
(رواه النسائي - وصحه الألباني في صحيح النسائي)

٦- أنه لا تقبل له صلاة أربعين يوماً فعن عبد الله بن عمرو قال قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَنْ شَرِبَ
الْخَمْرَ وَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ
فَشْرِبَ فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ
فَشْرِبَ فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ
كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدْعَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَدَعَةُ الْخَبَالِ قَالَ عَصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ "

(رواه ابن ماجة - وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة) .

وليس معنى عدم قبول الصلاة أنها غير صحيحة، أو أنه يترك الصلاة، بل المعنى أنه لا يثاب عليها. فتكون فائدته من الصلاة أنه يبرئ ذمته، ولا يعاقب على تركها.

قال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي: " قوله " لا تقبل له صلاة " أي: لا يثاب على صلاته أربعين يوماً عقوبة لشربه الخمر، كما قالوا في المتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب إنه يصلي الجمعة ولا جمعة له، يعنون أنه لا يعطى ثواب الجمعة عقوبة لذنبه. " تعظيم قدر الصلاة "

وقال النووي:

"وَأَمَّا عَدَمُ قَبُولِ صَلَاتِهِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا ثَوَابَ لَهُ فِيهَا وَإِنْ كَانَتْ مُجْزِئَةً فِي سُقُوطِ الْفَرَضِ عَنْهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى إِعَادَةٍ " اهـ .

فعلى هذا القول لا يقبل الصوم أيضاً، وليس معنى ذلك أن من شرب الخمر يترك الصوم بل إنه يؤمر به ولكنه لا يقبل منه تنكيلاً له.

ولا شك أنه يجب على شارب الخمر أن يؤدي الصلاة في أوقاتها، وأن يصوم رمضان، ولو أخل بشيء من صلاته أو صيامه لكان مرتكباً لكبيرة عظيمة هي أشد من ارتكابه لجريمة شرب الخمر. وليعلم أن وقوع المسلم في معصية وعجزه عن التوبة منها لضعف إيمانه لا ينبغي أن يسوغ له استمرار المعاصي وإدمانها، أو ترك الطاعات والتفريط فيها بل يجب عليه أن يقوم بما يستطيعه من الطاعات ويجتهد في ترك ما يقترفه من الكبائر والموبقات.

والواجب على المسلم أن يتقي الله تعالى وأن يحذر من إغواء الشيطان ونزغاته، وألا يجعل من نفسه ألعوبة بيد الشيطان، فإن انتصر عليه شيطانه، وأوقعه في معصية الخالق جلّ وعلى فليبادر إلى التوبة

وهذه العقوبة على شارب الخمر إنما هي لمن لم يتب، أما من تاب وأتاب إلى الله فإن الله يتوب عليه ويتقبل منه أعماله.

٧- **ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة** عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتَّبْ لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ» . (رَوَاهُ مُسْلِمٌ) ، هذه عقوبات أخروية تنتظر مدمن المخدرات؛ إن لم يتب إلى الله.

✓ **نصيحة لمدمن المخدرات أخي الحبيب !** تب إلى ربك، وأشفق على نفسك وذريتك ووالديك، وانظر للمستقبل المشرق، وثق بربك أنه سيفيك، ولكن اصدق النية واسع في التوبة، وابدأ العلاج، وغدا تعود سويًا، فكم عرفنا من رجال **غرقوا في مستنقعات الإدمان** ثم شفاهم الله وعافاهم وصلحت أحوالهم، فكن منهم يا رعاك الله.

وأنتم يا أهل المدمن وأقاربه: لا تنبذوا ذلك المدمن، بل ساعده في التخلص من هذا المرض، مدوا له يد العون والمساعدة، أكثروا له من الدعاء.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فُجِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُجِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ". (أخرجه البخاري)**

أرأيتم تلك المعاملة التي تنتشل المدمن من مرضه، إنه التعزيز، والنظر للمدمن بعين الرحمة، حتى لا تتلفه أيدي الشياطين فيلقونه في جحيم النار.. اللهم أصلح أحوال المسلمين، اللهم اهد شباب المسلمين..

أخي تاجر المخدرات!

إتق الله وسارع بالتوبة قبل أن يدركك الموت فإله يفرح بتوبة العبد وما عند الله خير وأبقى

ولأريب في أن تجارة المخدرات من الإفساد العظيم الداخل في تلك الأنواع من الشر، وقد بين العلماء أن فسادها أعظم من فساد الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في متعاطيها تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد وتهريب المخدرات وإدخالها البلاد من الفساد العظيم لا يقتصر على المهرب نفسه، بل على الأمة بمجموعها، ويلحق بالمهرب الشخص الذي يستورد أو يتلقى المخدرات من الخارج يمون بها المروجين.

وتعد المخدرات والخمر من أخطر ما يتناوله أصحاب الشهوات المحرمة، لما ينجم عنها من الأمراض المختلفة، فضلا عن الانحلال، وفساد الخلق، وانتشار الفاحشة والجرائم في المجتمع.

ثم إنها بانتشارها في المجتمعات المسلمة أو غير المسلمة تنتقل عن طريق أهل السوء والفساد إلى بلاد المسلمين، بأنواعها المختلفة، وأمراضها المستعصية، سواء كانت أمراضاً للقلوب أو الأبدان. فوجب منع هذا الشر، ومحاربتة بكل طريق.

ودعوى الضرورة لا ينبغي الالتفات إليه، بل المسلم إن اضطر جاز له أكل الميتة ولا يجوز له بيع المخدرات، فإنه لا توجد ضرورة حقيقية تبيح للمسلم أن يبيع المخدرات، ويتاجر فيها وقول التاجر: "إذا كان هذا هو السبيل الوحيد للرزق وللحفاظ على الحياة فيه" مبالغة واضحة. فالذي يغرس أرضه بالنباتات المخدرة ليبيعهها أو يتاجر فيها يمكنه أن يغرسها بنباتات مباحة، يأكل منها، ويبيع ما تبقى من المحصول.

وفي الترخيص في مثل ذلك فتح باب عظيم من أبواب الشر، ودعوة لنشر هذا الفساد.

وقد روى أبو داود عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

إِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ ((وصححه الألباني في "صحيح الجامع" .
وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا [يعني: الخمر] حَرَّمَ بَيْعَهَا) (رواه مسلم).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: (إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ) (متفق عليه)
قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

" ما حرّم الله الانتفاع به، فإنه يحرم بيعه وأكل ثمنه، كما جاء مصرحاً به في الراوية المتقدمة: (إِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئاً حَرَّمَ ثَمَنَهُ) ، وهذه كلمة عامة جامعة، تَطَرَّدُ فِي كُلِّ مَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ حَرَاماً ". انتهى.

"جامع العلوم والحكم" .

وقال ابن حزم رحمه الله: " لا يَحِلُّ بَيْعُ الْخَمْرِ، لا لِمُؤْمِنٍ، وَلا لِكَافِرٍ ". انتهى. "المحلى" (٣٥٦/٧)

وقال ابن القيم : في "زاد المعاد" (٧٦٣/٥) : " فإن قيل: فهل تُجوزون للمسلم بيع الخمر

والخنزير من الذمي لا اعتقاد الذمي حلها؟ قيل: لا يجوز ذلك، وثمرته حرام " انتهى.

وقال ابن جزري: " لا يحل لمسلم بيع الخمر إلى مسلم ولا كافر " انتهى.

"القوانين الفقهية" (ص ١١٧) .

وقال النووي:

" بَيْعَ الْخَمْرِ بَاطِلٌ سِوَاءَ بَاعَهَا مُسْلِمٌ أَوْ ذِمِّيٌّ أَوْ تَبَايَعَهَا ذِمِّيَّانِ ، أَوْ وَكَّلَ الْمُسْلِمُ ذِمِّيًّا فِي شِرَائِهَا لَهُ ،

فَكُلُّهُ بَاطِلٌ بِلَا خِلَافٍ عِنْدَنَا " انتهى.

"المجموع" (٢٧١/٩) .

وجاء في "فتاوى اللجنة الدائمة" (٤٩/١٣) :

" لا يجوز المتاجرة فيما حرم الله من الأطعمة وغيرها، كالخمور والخنزير، ولو مع الكفرة؛ لما

ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه) ، ولأنه صلى الله عليه وسلم لعن الخمر وشاربها

وبائعها ومشتريها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها وعاصرها ومعتصرها". انتهى. فهذه أقوال

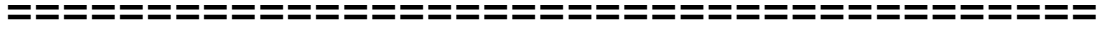
علماء الإسلام في تحريم بيع الخمر والمخدرات، ولو كان يبيعها لغير مسلم، استدلالاً بالأحاديث

الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

(فهرس المواعظ والدروس)

م	عنوان الموعدة والدرس .	الصفحة
١	مقدمة مهمة عن أهمية الوعد وفضائل الجمعة وأحكامها .	٣
٢	التحذير من مظاهر الشرك .	١٤
٣	التحذير من السحر .	١٨
٤	الإيمان بالملائكة .	٢٤
٥	صدق التوكل على الله .	٢٨
٦	فضل حسن الخلق .	٣٢
٧	الترغيب في سلامة الصدر .	٣٧
٨	فضائل ((سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)) .	٤٢
٩	شهر الله المحرم .	٤٩
١٠	تذكير الأحياء بخلق الحياء .	٥٢
١١	بدعة الاحتفال بالمولد النبوي .	٦٠
١٢	أسباب تحصيل البركة .	٦٧
١٣	البدعة .	٧٥
١٤	لماذا نحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -	٨٠
١٥	فوائد وأحكام عن شهر صفر .	٨٧
١٦	المطر أحكام وآداب .	٩٣
١٧	فضل الشكر وجزاء الشاكرين	١٠٠
١٨	الإيمان بالقضاء والقدر .	١٠٦
١٩	الحسد .	١١٥
٢٠	الحلف بغير الله .	١٢٤
٢١	فضل الذكر .	١٢٩
٢٢	الهموم الداء والدواء .	١٣٧
٢٣	فضل الإيمان بأسماء الله الحسنى .	١٤٢
٢٤	حول اسم الله الحفيظ .	١٥١
٢٥	حق الجار .	١٥٨
٢٦	صل رحمك رحمك الله .	١٦٦
٢٧	الغيبة .	١٧٣
٢٨	فضائل الدعاء .	١٨٠
٢٩	الولاء والبراء .	١٨٨

(فهرس المواعظ والدروس)



م	عنوان الموعدة والدروس .	الصفحة
٣٠	حرمة التعدي على الميراث .	١٩٣
٣١	حول اسم الله الرقيب	٢٠٢
٣٢	التوحيد أولاً .	٢٠٧
٣٣	قصة موسى مع بنتي صاحب مدين .	٢١٣
٣٤	فضل القرآن الكريم و أهله .	٢٢١
٣٥	الأدب مع النية .	٢٢٨
٣٦	شهر رجب بين السنة والبدعة .	٢٣٥
٣٧	وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا .	٢٤١
٣٨	غفلة الناس عن شهر شعبان	٢٥٠
٣٩	كيف نستقبل شهر رمضان؟	٢٥٦
٤٠	لعلكم تتقون .	٢٦١
٤١	فضائل شهر رمضان .	٢٦٩
٤٢	رمضان شهر التوبة .	٢٧٤
٤٣	رمضان شهر الانتصارات والفتوحات .	٢٨١
٤٤	فضل العشر الأواخر وليلة القدر .	٢٨٩
٤٥	تقبل الله منا ومنكم .	٢٩٤
٤٦	سَبِّتْ وَقَفَاتٍ بَعْدَ رَمَضَانَ !	٢٩٧
٤٧	معالم التوحيد في الحج .	٣٠٣
٤٨	حول اسم الله الوكيل .	٣٠٩
٤٩	كيف نستقبل عشر ذي الحجة؟	٣١٥
٥٠	موعدة مودع .	٣٢٢
٥١	ومضى عام من أعمارنا	٣٢٨
٥٢	فضائل وآداب عيادة المريض .	٣٣٤
٥٣	تقبل الله منا ومنكم .	٣٤١
٥٤	فهل أنتم منتهون ؟؟؟؟؟؟؟؟؟	٣٤٧
٥٥	الفهرس .	٣٥٦

زاد الواعظ

في الخطب والمواعظ

(الجزء الأول - ١٤٤١هـ)

الخطب المنبرية



زاد الواعظ

في الخطب والمواعظ

(الجزء الأول - ١٤٤١هـ -)

((أذنت لمن أراد طباعة الكتاب لنشر العلم
النافع والخير دون أن ينتفع منه بشئ مادي
ويرجى المحافظة على مضمون الكتاب وهيئته))
الأستاذ / ناصر حمد عبدالجواد السمالوسى .

زاد الواعظ في الخطب
والمواعظ

زاد الواعظ في الخطب
والمواعظ